الطبعة ٣

رواية

عادل العجواني

الحُفرَة

المصري للنشر والتوزيع

الحفرة

إلى ابني محمد،
فكل ما بحياتي مِلكٌ له..

«إن حدَّقتَ بالهاوية طويلاً، فإن الهاوية تحدق بك أيضًا»

فريدريك نيتشة

إن دفعك الفضول..

مقدمة

خُذ نفَسًا عميقًا..

نفسٌ آخر واحتملني..

سيحتاج كلانا للكثير من الصبر أثناء قراءة هذا الكتاب أو كتابته. فالجنون -إن كنت لا تدري بَعد- لا يأتي يسيرًا، إنه يتطلب الكثير من العمل الشاق..

ما تحمله بين يديك الآن هو رواية، تدور أحداثها حول ذلك الشخص الذي ابتاع وقرأ كتابًا ما، أصابه بالجنون. ولكن ربما يتوجَّب عليَّ أن أخبرك منذ بدايتها أن بطل روايتنا الذي تقرأ عنه الآن، هو أنت.

أنتما نفس الشخص..

قرأ عنك بطلنا بروايته أيضًا ، مثلما تفعل أنت به الآن. ذلك الكتاب الذي ابتاعه والذي تحمله أنت بين يديك الآن، هما نفس الكتاب. قرأ بطلنا هذا السطر مثلك دون أن يغلق كتابه أو يلقي به بأقرب سلة مهملات، فقط كإجراء احتياطي.. لم يصدق أيضًا أنه مجرد شخصية خيالية برواية يحملها بين يديه، حتى اقتربت نهايتها..فبحلول تلك السطور إليه، كل ما فكر به بطلنا كان كيفية إثباته أن تلك الرواية لا تخصه، وأن تلك الشخصية الخيالية التي يقرأ عنها الآن ليست هو. فإن توقَّف عن القراءة فورًا، فإنه يعلن بذلك تصديقه لما يخبره به ذلك المؤلف المختل. كما أنه يتوقف بهذا عن إدراك ما ستفعله «شخصيته» بالرواية لاحقًا،

TW/ @Rabe3_elkotob

منهيًا بذلك.. وإلى الأبد احتمالية إثبات اختلافهما.

إذ ربما يكون آخر سطر يقرأه، هو أيضًا آخر سطر تقرأه شخصيته بالرواية. آخر ما سطر بها. لتنتهي بذلك روايتي القصيرة.

أما إن استكمل قراءتها، فإنه يفعل بذلك ما أكدت الرواية عليه، ومن أنه سيصاب نتيجة له بالجنون، قبل حتى الانتهاء منها.

يحمل بطل روايتنا نفس اسمك.

ربما لكونه اسمًا شائعًا، أو ربما كانت هي مجرد المصادفة أو ربما، لأنك شخصية روايتنا الأساسية..

ووسيلة إقناع هذه الشخصية - أنت أو هو- أنكما واحد، أمر بسيط للغاية. يعتمد اختيار الضمير أعلاه على صلابة الإنكار لديكما، أو على تفضيل أيكما إلى كيفية الإشارة إليه.

يمكنني البدء في ذلك ببساطة، بكتابة أن بطل روايتنا ذَكرٌ متزوج، وهو ما يشكِّل تقريبًا خمسين بالمئة من القُرَّاء. مدخن، وهو ما يشكِّل خمسين بالمئة من الذكور المتزوجين. مصاب بداء السكري، وهو ما يشكل عشرين بالمئة من الذكور المتزوجين المدخنين. ليصبح إجمالي نسب المشمولين بتلك الأوصاف جميعًا هو خُمس بالمئة من القرَّاء. ولتزداد لعبة المصادفات مع كل وصف أضيفه لشخصيتي إلى أن يتشكك القرَّاء المشمولون بها جميعًا أن التشابه لم يعد مصادفة، وليتسلل إليهم بالنهاية شكٌ ولو بسيط في احتمالية أن يكونوا تلك الشخصية بالفعل.

ولكن، دعني أطمئنك أنني لن ألعب معك تلك الألعاب الذهنية القذرة. فشخصية روايتنا على الرغم من كونها فريدة وغريبة وخارج النسب الأكثر شيوعًا تمامًا ستبقى مشابهة لك حتى النهاية.. ستظلان متماثلين. سأظل أتحدث عنك. ستظل رغم كل شيء بطل روايتنا..

TW/ @Rabe3_elkotob

الكتاب الذي يقرأه بطل روايتنا مكتوب بقلم عادل العجواني.

تشابه آخر، فخ آخر.

وبذلك تشتمل روايتنا - من قبل أن تبدأ حتى - على أربع شخصيات.

عادل، أنا، أنت، وبطل روايتنا.

أو ربما كنا ثلاثة أشخاص، إن اتضح بالنهاية أنك وبطل روايتنا شخص واحد.

أو ربما كنا اثنين، إن اكتشفت أنا وعادل أيضًا أننا شخص واحد.

أو ربما كنا شخصًا واحدًا، لو أن ما يحدث هو أنني أكتب رواية يقص بها عادل حكاية بطل خيالي يتضح بالنهاية أنه أنت، وحينها يكون عادل بطل روايتنا وأنت مجرد خيال بذهني. أو لو أن عادل يكتب رواية أقص بها عليك حكاية بطلها الذي هو أنت، وحينها أصبح أنا وأنت وبطل الرواية مجرد خيال يعبث به عادل.. مَن منا حقيقي ومن منًا خيالي؟ من يتحكم بمن؟ من منًا حر ومن منًا مقيد بسيناريو؟ من منا عاقل ومن سيجنّ؟ من سيثبت ماذا وكيف؟ هذا هو ما ستدور حوله أحداث روايتنا.. هذا هو كابوسنا.. المقلِق بشأنه ألا أحد منا نائم..

تم تغيير أسماء شخصيات روايتنا تسهيلاً على القارىء، وذلك لحملها جميعها نفس الاسم، الذي هو اسمك.

فإن افترضنا أن اسم بطل روايتنا هو إبراهيم، يصبح ما تحمله إليك الصفحات القادمة هو قصة إبراهيم، الذي يجد كتابًا ما يقص عليه حكاية شخص - لندعوه كريم- والذي يجن بعد قرائته لكتاب ما.

لنتفق معًا الآن أن إبراهيم وكريم خياليان. على الرغم من إنكار إبراهيم تمامًا لهذه الحقيقة وكون كريم لا يفقه عنها شيئًا. إلا أننا -أنا وأنت وعادل- مقتنعون بها. لذلك لن نعير لهما بالاً أو نهتم

TW/ @Rabe3_elkotob

لردود أفعالهما أثناء تلقيهما تلك الحقيقة. سنراقبهما فقط بكل برود وهما يعبران هذا الكابوس المقدَّر لهما، على الرغم من إجحاف ذلك، كونهما يملكان الحق مثلك في أن يقتنعا قبل أن يُعامَلا كشخصيات خيالية، ولكن لتكن هذه هي بداية اتفاقنا.. عربون تعاوننا..

أن نضحي بمن هم في أسفل السلم الروائي.

وحتى ذلك السطر، فأنا - أو عادل- هو من يمكنه التحدث. وبقدر يقيني من أنني صاحب الكلمات التي يخطها بكتابه ومن أنه مجرد شخصية بعقلي، بقدر اقتناعه من أنني مجرد صوت بروايته وأن كلماتي هي صدى أفكاره.

من منا صوت الآخر؟ من جلب كل هذا الجنون على الباقين؟ من المُسيطِر على باقي الدمى؟

يعود هذا إليك لتقرره، ولي لأثبته..

أو لأكتشفه..

TW/@Rabe3_elkotob

الحفرة

TW/ @Rabe3_elkotob

الفضول فقط...

TW/ @Rabe3_elkotob

الفصل الأول

تصفيق حاد، قابله «د. إبراهيم» بابتسامة واثقة، قبل أن ينحني فى حركة مسرحية لم تُزِد التصفيق إلا حفاوة.

طقوس معتادة، أعلن بها انتهاءه من إلقاء محاضرة ناجحة كالعادة، ليبدأ على الفور اقتراب بعض الطلبة من منصته في مزيج من الشوق والشغف. يسألونه أسئلة يعرفون من قبله ألا داعي لها، وإنما هي أقرب لاقتناصهم فرصة تمكّنهم فيما بعد من إخبار زملائهم بأنهم تحدثوا معه حقًا، وبشكل شِبه شخصي.

اقتربت منه إحداهن في تردُّد سألته شيئًا ما لاعلاقة له بمحتوى المحاضرة من قريب أو من بعيد.

ردَّ عليها ممازحا:

- والنبي دا سؤال.. قولي إنّك عايزة تتصوري معايا وخلاص..

ضحكت واحمر وجهها، قبل أن تخرج هاتفها النقَّال مقرِّرة استغلال عرضه هذا حتى وإن جاء من باب المزاح. ناولته لأحد زملائها مشيرة إليه بأن يلتقط لهما الصورة. توجه إليه إبراهيم بالكلام:

- يابني أنا باين عندك في الصورة.. طلعني معاها لو سمحت..

التفت إليها مضيفًا:

- صحابي مش هيصدقوا.. هيقولوا أكيد الصورة فوتوشوب..

ضحكت في ارتباك قبل أن تخطف الهاتف من يد زميلها وتنصرف مهرولة.

TW/ @Rabe3_elkotob

أدرك إبراهيم مبكرًا كم الانتقادات اللاذعة التي أدرَّها عليه تباسطه هذا مع طلابه، والصادرة من قِبَل المجموعة الأكثر تحفظًا والمشكِّلة - للأسف- لغالبية زملائه من أساتذة الجامعة، لكنه لم يعد يكترث لهم حقًا. كان قد تخلَّص قديمًا من الحاجة لإقرار تصرفاته من قِبَل أي شخص كان. وسواء أكانوا زملاءه أوعميد كليته، أو حتى مجتمعه بأكمله فإن جماهيريته العارمة كانت قد منحته حصانة تمكِّنه من فعْل ما يرغب به، بل وأعطته الحق في إعادة تعريف ما هو مقبول أو جذاب.

كان أقرب لنجم سينمائي من كونه أستاذًا جامعيًا، ومتلقو علمه كانوا أشبه بالمعجبين من كونهم طلابًا، ولذلك فإن كان لأحد الحق في تغيير قوالب الجامعة الجامدة، فهو أولهم. لم يكن حماسه هذا ناجمًا عن صغر سنِّه، فهو بمنتصف العِقد السادس من العمر، كما أنه لم يكن بسبب مراهقة متأخرة أو أزمة منتصف العمر، فهو سعيد وناجح لدرجة مدهشة في كل ما يفعله.

لم يكن تأثيره الطاغي علي طلابه بسبب ريادته العلمية أو لمحتوى محاضراته العلمي السلس، على الأقل لم يكن بسببهما فقط. وإنما جاء ذلك لأسباب أكثر موضوعية بكثير، كوسامته الفجة التي فاقت أغلب نجوم السينما المقاربين لعمره، بشعره الفضي الناعم ووجه القسيم وعينيه الزرقاوين. أناقته الشديدة الصارخة بتكلفتها في أي من بدله المستوردة والتي يشكِّل ثمن أي منها مرتب عدة أشهر مما يتلقاه رئيس جامعته، فيلته الضخمة الشهيرة، الكائنة بأحد أرقى أحياء القاهرة، وسيارته الفارهة التي يمكن عد مثيلتها في مصر على أصابع اليد الواحدة. وأخيرًا زواجه من ابنة أحد أكبر رجال الأعمال بمصر والمعروفة إعلاميا بإدارتها عدة جمعيات أهلية.. «بسمة»، تلك الشابة الحسناء التي تصغره بأعوام عديدة، والتي يثبت زواجه منها خطأ تلك الحقيقة الدرامية المقتبسة من معظم الأفلام العربية التي أوضحت حتمية فشل أي زواج ذي فارق

TW/ @Rabe3_elkotob

عمري كبير. يأتي بالنهاية تمويله لإحدى أكبر الجوائز الثقافية بعالم الأدب والحاملة لِاسمه ليتوِّج بها كل ما سبق.

أحال إبراهيم بتواضعه كل ذلك من موضع غيرة وحسد لموضع إعجاب، في سلاسة. على الأقل كان ذلك هو ما فسَّر به معجبوه سلوكه وطريقة تعامله معهم. لم ينتبه أحدهم إلى ما كان يدركه إبراهيم جيدًا؛ وهو أن ذلك لم يكن تواضعًا بقدر ما كان احترافًا لفن التعامل، خاصة مع جيل الشباب. ذلك الجيل المشكِّل لغالبية مجتمعه، والمحدِّد الرئيسي لكل ما هو موضة يتوجب على الجميع اتباعها، أو على الأقل احترامها، ليعلنه ذلك الجيل بالفعل أحد أكبر مشاهير المجتمع، عبر نجاحات ساحقة للعديد من رواياته وسلاسل مقالاته الأسبوعية وسيناريوهات العديد من الأفلام. ولتأتي- نتيجة لذلك - طلته محببة بكل تلك البرنامج الحوارية أو الثقافية التي يظهر بها، وليضاعِف ظهوره بأي منها من عدد مشاهديها وفواصلها الإعلانية، جاعلاً إياه أحد أكثر الضيوف الإعلامية المرغوب في استضافتهم.

إمبراطورية إعلامية ومادية وثقافية بناها على مدار أعوام، ظهرت ملامحها بكل جوانب حياته، حتى بات من السهل تصديق انتمائه لجنس آخر أكثر رقيًا. بدأت بباب بسيط عُرِضَ عليه كتابته منذ عقود بإحدى المجلات الشبابية. صحيح أن المجلة كانت واسعة الانتشار، وأن المساحة المخصصة لبابه تزايدت سريعًا لتتناسب مع كمِّ المراسلات التي تلقاها، إلا أنه لم يكن لأحد أن يتوقع عندها أن يصل به هذا الباب لكل ذلك النجاح والهالة الإعلامية التي يحظى بها الآن. ولربما كان ذلك هو السبب الذي دفعه للاستمرار في كتابته حتى اليوم، على الرغم من انشغاله المتزايد وأجر المجلة الزهيد وكون الباب لا يحمل أي قيمة فنية تُذكَر. كان أشبه بالصورة الورقية من برنامج أسامة منير أو برنامج اعترافات ليلية، إلا أنه استحال بعد أعداد قليلة فقط لجسرٍ عملاق ربطه بهذا الجيل الشاب

TW/@Rabe3_elkotob

ومصعد حمله لآفاق ثقافية أكثر رقيًا بمرور الأعوام. أضاف عمله كأستاذ جامعي بقسم علم النفس عمقًا خاصًا لكل ما خطه من نصائح ومن تحليلات نفسية جاعلاً كل ما يتفوه به أو يكتبه يحمل قيمة وتأثيرًا مبالغًا به لم يملك شخصيًا إنكاره، وإن لم يمنعه إدراكه من الاستمتاع به ومن الاستفادة منه بكل الوسائل..

غادر إبراهيم قاعة المحاضرات سريعًا مخترقًا الحشود الشابة المحيطة به. بادلهم الابتسام متوجها لسيارته التي لم يجرؤ أي منهم على الاقتراب منها لأكثر من عدة أمتار، معلنين بذلك معرفة صريحة بثمنها. ابتسم واستقل سيارته متوجهًا للمبنى الكائن به مكتبه، شاعرًا ببعض الإثارة وهو يتخيل ما تم إرساله من مشاركات بمسابقته الثقافية، اليوم كان آخر ميعاد لتلقيها. كان قد خصص جائزة هذا العام لأفضل بحث بعنوان «كتاب غيَّر حياتي، لماذا وكيف؟ »

لم يكن هدف البحث حقًا هو ما تعلنه مؤسسته على الدوام من تشجيعها المستمر للقراءة والكتابة. على الأقل لم يكن ذلك هو السبب الرئيسي وراء اختياره هذا، وإنما جاء ذلك لأسباب أكثر موضوعية بكثير. كان وسيلة سهلة لتلقي أبحاث جاهزة، تمكنه - بعد الاطلاع عليها - من معرفة نوعية الكتب الأكثر نيلاً لإعجاب القرَّاء مؤخرًا، ليسهل عليه بعد الاطلاع عليها من التنبؤ عما ستدور حوله روايته القادمة. فالأمر ليس وكأنها ستحمل خلاصة فكره وإبداعه، بإمكانه الكتابة عن أي شيء حقًا، هو يقوم فقط بخلط بعض الأفكار الأزلية التي قُتِلَت بحثًا ببعض الأفكار الجديدة التي يجدها بسهولة من خلال اطلاعه الواسع بكل ما يكتب ويصور، ليلقي في النهاية بذلك الكوكتيل بأسلوب مشوق تحت غلاف غامض يحمل اسمه.

مزيج قديم أثبتت قدرته وفاعليته مرارًا على جعل رواياته تحتل رأس قائمة الكتب الأكثر مبيعًا لشهور طويلة، ليأتي بعد ذلك قيامه ببعض

TW/@Rabe3_elkotob

الندوات والحوارات التلفزيونية التي تدفع النقاد للإشادة بعمله وتجعل من فوزه ببعض الجوائز الأدبية أمرًا مفروغًا منه، ثم يأتي في النهاية كتابة سيناريو المسلسل أو الفيلم السينمائي المقتبَس عن قصته، ليكون - وفي غضون سنة على الأكثر - قد عُرِض على الجميع روايته بشكل أو بآخر.

وسواء أكانت جيدة أو كانت لا تحمل أي قيمة أدبية تُذكَر، يتحول كل ما وردَ بباله من أفكار للحدث الفني الأكثر اطلاعًا هذا العام، ليقرأ المثقفون كتابه ويشاهد طلبة الجامعات الفيلم السينمائي المُقتبَس عنه، وتطلع ربات البيوت على المسلسل التلفزيوني.

إن جاء انحناؤه اليوم لطلابه أو ارتداؤه لثيابه المفجعة الثمن أو حتى تمويله لجائزة أدبية كوسيلة للإبقاء على تلك الشعبية والجماهيرية لفترة أطول، فإنه سيقوم بذلك وبمنتهى السرور، بل ويرقص لهم أيضًا إن تطلب الأمر، ربما بعد بضعة أعوام فهو لم يكن بحاجة للقيام بذلك بعد..

دلف لمكتبه مبتسمًا بعد أن أبصر أكوام المراسلات المتراصة به، مؤكدًا لنفسه أن ذلك بخلاف ما سيعود ليجده بالمنزل. جلس وفتح ما طالته يداه منها ليقرأ بشغف ما حملته من كلمات حماسية. جاء بمعظمها عنوان من عناوين كتبه السابقة. لم يدرِ إن كان ذلك نفاقًا أم أنه قد غيَّر بالفعل حياة الكثيرين من حوله. إن كان نصفها فقط صادقًا، فالمجتمع المحيط به أكثر سذاجة مما تخيَّل. حمل بعضها الآخر عنوانًا لكُتَّاب آخرين كانوا قد انتشرت كتبهم بين شباب القُرَّاء مؤخرًا، قرأها إبراهيم مسبقًا مدركًا في سرية كم كانت جيدة بحق. دوَّن على «الأي باد» الخاص به عنوان كتاب لم يسمع به من قبل ليتذكر ابتياعه لاحقًا، قبل أن تمتد يده للظرف الأخير.

لم يكن آخر ما بمكتبه من أظرف، لكنه كان آخر ما فتحه إبراهيم من مراسلات..

وما وجده به كان آخر ما قرأه..

طوال حياته..

TW/@Rabe3_elkotob

الفصل الثاني

وجدَ إبراهيم بالظرف كتابًا، حمل غلافه الأسود عنوانًا لم يسمع به إبراهيم من قبل: «الحفرة»..

سقطت من الظرف ورقة مطوية، انحنى إبراهيم لالتقاطها قبل أن يفتحها ويقرأ ما خُطَّ بها من كلمات..

«عزيزي إبراهيم،

إن أردت معرفة الكتاب الذي غيَّر حياتي، فهاهو بين يديك. دونما بحث أو وصف له، فأنا لا أملك من الكلمات ما يمكنها فعل ذلك، كما أنني خشيت ألا تتمكن من العثور عليه، لذلك ارتأيت إرساله لك مباشرة. فلتطلع عليه، ولتخبرني عن رأيك به لاحقًا، عندما نلتقي..

ملحوظة:

لم يحدد عنوان مسابقتك عما إن كان التغيير الذي أصابني هو للأفضل أم للأسوأ. الأمر الذي لم أتيقن منه بعد.. ولذلك تذكَّر دائمًا ،مهما حدث، أنني لم أخدعك.

تحياتي وتمنياتي بلقاء قريب.. ».

ألقى إبراهيم بالورقة جانبًا وهو يبتسم:

- إبراهيم حاف كدا، إيه الجرأة دي.

حمل الكتاب الذي أوشك على الاهتراء وقلَّبه بين يديه محاوِلاً اكتشاف

TW/ @Rabe3_elkotob

أي علامات مميزة به دون جدوى.

فبالإضافة لكون العنوان مجهولاً تمامًا بالنسبة له، خلا غلاف الكتاب من أي إشارة لاسم مؤلفه أو دار نشره.

بدا وكأنه قد طُبِعَ بجهودٍ ذاتية، ليحيل نجاحه المحدود تاليا - إن وُجِدَ أساسا - دون نشره على نطاق أوسع.

بدت تلك المشاركة لإبراهيم كمحاولة يائسة من مؤلفه لإضفاء بعض الشهرة على روايته كوسيلة أخيرة لخروجها إلى النور. محاولة ذكية غلَّفها بغموضٍ وتقديم غريبٍ غير معتاد، نجحا في إثارة فضوله بالفعل. لا بأس، هو لم يمانع أبدًا في أنْ يستفيد الآخرون من نجاحه. تمنى فقط لو أن الكتاب يستحق.

زفر مدركًا أن أمنيته في الأغلب لن تتحقق. فهو لم يعد يذكر آخر ما تلقاه بدهشة أو بإعجاب حقًا بعد كل ما قرأ وشاهد واختبر طوال سنين عمره الحافل. ولكن من منطلق الفضول ومن دون إدراك تبعات ما يقوم به، فتح إبراهيم الكتاب القابع بين يديه قارئًا ما حمله بين طياته..

ربما إن احترس يومها قليلاً أو وضع بعض المصداقية للرسالة المرفقة به، لظل باقيًا معنا حتى اليوم، ولكن لأنه لم يفعل، فقد اختفى «د.إبراهيم فؤاد» بعد ثمانية أشهر بالضبط من ذلك اليوم.

من دون أثر..

TW/@Rabe3_elkotob

TW/ @Rabe3_elkotob

الحفرة

TW/ @Rabe3_elkotob

لسبر أغوار الظلام..

TW/@Rabe3_elkotob

الفصل الأول

استجمَع «كريم» ما تبقى لديه من طاقة، ليخطو بها فوق الدرجة الأخيرة الموصِّلة لباب شقته. كان يومه شاقًا حقًّا. أخبره ذهنه المنهك على الفور بأن ذلك غير صحيح، وأن ذلك الوصف يُعَدّ تسطيحًا لما كان عليه اليوم حقًّا. بحَثَ كريم عن مُرادف آخر أكثر دقة يصف به يومه ويرضي به ذهنه، فلم يجد ما هو أكثر بلاغة من كون اليوم شاااااااااااق.

ابتسم في رضا وقد بدت له الكلمة مناسبة تمامًا. لم يكترث إن كان منطوقها يشبه نهيق الحمار، فقد شعر اليوم بالفعل بالكثير من الصفات المشتركة بينهما. يوم شاااق حقًّا لكنه راضٍ عمَّا أنجزه به من عمل. شهور قليلة أخرى وتصبح ترقيته مضمونة، سيأخذ بعدها إجازة طويلة يسافر بها هو وزوجته ياسمين وابنهما عمر ليغسلوا جميعًا عناء ذلك التوتر الذي صبَّ جزءًا لا بأس به منه عليهما ، بكل تلك الأوقات التي استقطعها بصعوبة بالغة متملصًا من متطلبات وظيفية لا تنتهي ليقضي معهما بالنهاية دقائق معدودة يعرف - نتيجة لعصبيته - كم يستعجلان انتهاءها. وليضحى السبب وراء الالتزام بها هو محاولة لإخراس ضميره، أو بالأصح زوجته..

أخرج مفاتيحه وقد شرد مسبقًا في ذلك البحر الأزرق الصافي الذي سيستلقيان أمامه وهما يشاهدان «عمر» يعبث برمال الشاطىء، بلا شيء يشغل بال كريم سوى ابتكار وسائل جديدة لتدليلهما وتعويضهما. ما عكَّر صفو غوصه في أحلام يقظته تلك كان حتمية ذهابه للحمَّام فورًا.

TW/ @Rabe3_elkotob

فطريق عودته وسط زحام القاهرة الأسطوري كان قد استهلك من الوقت ما فاق قدرة مثانته على الاستيعاب، وحاجته الملحة للتبول منذ وقت طويل مضى دفعته لارتكاب حماقات قيادية لم يكن ليجرؤ على القيام بها لو أنه بكامل قواه البولية، ولتحقّق مثانته بصمودها اليوم معجزة طبية بكل المقاييس. فخر جديد أضافه لإنجازات اليوم الذى استحق قبيل انقضائه بأن يستمتع قليلاً بكل ما بذل في سبيل الحصول عليه من وقت وجهد.. كزوجته الحسناء وابنه المرح وبيته الواسع المريح الذي تعكس كل تفصيلة فيه مدى ما أنفقه كريم من مبالغ خيالية حتى وصل لتصميمه الحالي، وليكشف كل ركن في أناقة عما احتواه من أثاثٍ عصري حمل مظهره وعدًا صادقًا براحة فائقة لكل من لبَّى نداءه.

ارتمى كريم على الأريكة الضخمة التي احتلت نصف مساحة غرفة المعيشة تقريبًا في مقابل تلفاز ضخم اقترب حجمه من حجم شاشة سينمائية متوسطة. غاص بالأريكة حتى كادت تبتلعه وسائدها العملاقة الرخوة، جاهد قليلاً للطفو فوقها قبل أن يستسلم لما وصل إليه من وضع بأعماقها..

هو بأواخِر العِقد الرابع من عمره، بدأ منذ فترة يسيرة في جني ثمار جهده المضني بذلك البنك الذي يعمل به منذ سنوات قضى معظمها بمكاتب يجاهد بها سكتة دماغية تحاول إيقاف انفعاله المكبوت تجاه أحد الموظفين أو العملاء. وسيم، حليق الوجه، أنيق حتى في ملابسه المنزلية. تشع عيناه ثقة وسعادة وتصدق عليهما ابتسامة لا تكاد تغادر فاه. نمَّ جسده المتناسق عن كل تلك الساعات الأسبوعية التي يقضيها بانتظام مدروس بأحد الأندية الرياضية لحرق سعرات الوجبات الجاهزة التي باتت تمثل غذاءه الأساسي، إلا فيما رحم ربه من عطلات..

اقتربت منه «ياسمين»، جلست بجواره في نعومة وهي تتأمله بعينيها

TW/ @Rabe3_elkotob

الواسعتين اللتين لم تغادرهما بعد نظرة الحب التي فضحتهما منذ أن رأته أول مرة. كان ذلك منذ إحدى عشر عامًا، ثمانية منها كان عمر زواجهما.

أعوام أقل ما ملكت أن تصفها به هي أنها كانت كل ما حلمت به يومًا. لكنها ربما احتاجت - لتكون أكثر صدقًا - أن تحذف العام الماضي من مخيلتها. ذلك العام البغيض الذي شوَّه الكثير من تلك الذكرياتها الرومانسية المتراكمة جراء زواجها من فتى أحلامها. لم تعد تدري ما الذي أصبحت تكرهه أكثر مؤخَرا، غيابه المستمر عنها أم عصبيته الشديدة كلما تواجد بجوارها. حاولت إبعاد تساؤلاتها عن ذهنها، فهي لم تكن ترغب في العثور على إجابة لها حقًا. خشيت ما ستجلبه الإجابة من وساوس وشكوك، حاولت فقط الاستمتاع بتلك اللحظات التي يقضيها كريم بجوارها والتي يطغى فيها إنهاكه على كل شيء آخر، بما في ذلك عصبيته. حين يسهل عليها استرجاع حنانه وهدوئه فى ظلال إنهاكه. لم تعد تكترث لما بين الاثنين من فارق شاسع، فقد أضحت تلك اللحظات هي أقصى ما يمكنها الحصول عليه..

تقافَز عمر من حولهما وهو يلعب مع إحدى شخصياته الخيالية التي يعوض بها غياب أي رفاق لعب له بالمنزل. تشاجر اليوم معها محدثًا تلك الضوضاء المحببة لياسمين، ضوضاء منزل سعيد وأسرة هانئة. دون أن يشير شيءٌ اليوم لحقيقة انتهاء ذلك كله في غضون أسابيع قليلة..

نظر كريم للساعة المعلَّقة أمامه لتخبره أنها قد تخطت التاسعة مساءً بقليل، أسندت ياسمين رأسها على كتفه، تشاركه - معنويًا على الأقل- ما يشاهده على شاشة التلفاز، قبل أن تلاعب خصلات شعره وتتخللها بأطراف أناملها. تلك العادة القديمة التي تعشقها ويكرهها هو، معللاً ومكررًا لها في مئات المرات بأنه لا يستطيع متابعة ما يشاهده ما إن تبدأ هي بفعل هذا. لتنهي ياسمين المناقشة في كل مرة بابتسامة ساحرة

TW/@Rabe3_elkotob

تعلن بها أنها لا تبالي بما يشاهده حقًا، وإن كانت تسامحه على استحواذ مشهد رجلين يتشاجران بفأس على كامل انتباهه. لينفخ هو في يأس بالنهاية معلنًا تيقّنه من أنها لن تكف عن تلك العادة أبدًا.

لكنه اليوم لم يعترض، بدا بحاجة بالغة لذلك الحنان القادر وحده على غسل عناء يومه.وبعد أن قضى أحد الرجلين على الآخر أخيرًا، بعد أن أسقط جميع أطرافه أولاً، استدار إليها كريم مبتسمًا قبل أن يُذهِب صراخ عمر المدوي بكل ما أراد التفوه به في تلك اللحظة. كان يعلن إطلاقه صاروخين ليزاريين فائقي القوة تجاه سفينة عدوه الفضائي المدعو منذ الأمس باسم «جوفر»

-لا بد أن أركب سفينتي الفضائية.. سأدمرك يا جوووووفر..

ردَّ عمر بنفسه بعد أن غيَّر نبرة صوته لإضافة المزيد من الحبكة الدرامية: هاهاهاهاها لن تستطيييييع !

أدرك كريم فور سماع تلك النبرة المحشرجة الحادة أن جوفر هذا ينتمي لجنس فضائي نتج عن تزاوج فأر وجحش. نظر لياسمين في حنق مسرحي قبل أن يستدير صائحًا بعمر في أداء كارتوني مماثل:

- يلا معاد النوم جيه...على السريييييررر... بكرة فييييييه مدرساااااااة.

توقف عمر عما يفعل واستدار لوالده محاوِلاً استيعاب كيف يمكن لأحدهم تصوُّر قدرته على إيقاف الحرب الكونية الثالثة بمعركتها الفاصلة لأن الساعة أضحت التاسعة مساءً، ولكنه عند قراءة ملامح أبيه الجادة أيقن فورًا عدم جدوى أي مفاوضات، مدركًا أن الحرب الكونية الثالثة قد أصابها عطل فني مفاجىء سيستمر على أقل تقدير لحين عودته من مدرسته غدًا، إن لم يكن لحين الانتهاء من واجبه المدرسي.

TW/ @Rabe3_elkotob

رسم بوجهه الصغير أقسى علامات الحنق التي أمكنه اصطناعها قبل أن يمسك بالجانب الأيسر من صدره متأوِّهًا وهو يهتف:

- بابا الحتة دي واجعاني..

تعبير وتصريح اعتاده كريم قديمًا وتعلَّم وجوب تجاهُله، خاصة بعد عدة محاولات سابقة أوضحت له نتيجة الاستجابة لأي من توسلات ابنه الهادفة لكسر أي قانون موضوع.

- يلا يا عمر بلاش دلع، خش يلا على السرير..

نهض عمر مسجلًا أبطأ سرعة لبشري حتى الآن، ليحطمه فورًا مع توجهه لغرفة نومه، كأنه أسير حرب يقاد لمقبرة جماعية. استدار إليهما فجأة وقد استدلَّ على ثغرة قانونية يمكنها أن تؤجِّل تنفيذ حكم نومه لثلاثين ثانية إضافية، تكمن في أنه لم يقبِّل والديه قبيل نومه كما يقضي بذلك دستور المنزل. هرع إليهما وانقضَّ على والده دافسًا إياه وسط الوسائد العملاقة في مزيج من الحب والانتقام معًا صارخًا به:

- سأدمرك أنت أيضًا.. لا أحد يعبث مع سيوان زعيم المناولقين..

ليبدأ مع قوله هذا في دغدغة أبيه الذي بذل جهدًا خرافيًا للحفاظ على جدية ملامحه وصرامتها، محاوِلاً التأكيد لابنه أن قراره نهائي وغير قابل للطعن، وإن بدا في الحقيقة أشبه بمن أصيب بإمساك حاد..

TW/@Rabe3_elkotob

الفصل الثاني

«ررررررررررررررننننننننننننننن»

«رررررررررررننننننننننننننننننن»

جاهد كريم كل خلية عصبية بعقله والتي أمرتْه في حزم أن يغمض جفنيه، ويستسلم للنوم ثانية. حاول وسط أحداث تلك المعركة الضارية العثور على ذلك البوق اللعين الذي أذن معلنا بدئها..

المنبه..

وجده مغمض العينين وقد ملأه يأس هائل من إمكانية الاستجابة لصراخ عقله الملتاع، عالمًا أن عادة الاستيقاظ ستنتصر ثانية، حتى وإن بدت مستحيلة..جلس بحافة سريره، مقسمًا - ككل صباح- بكل ما يحفظه من أيمان، أنه لن يفعل اليوم شيئًا بعد عودته من عمله سوى الاستلقاء والنوم حتى الصباح.

عالمًا ما ستبدو عليه خطته من سذاجة بعد دقائق معدودة.. لكنها بتلك اللحظة كانت الشيء الوحيد القادر على إخراس عقله المستمر بإعلان إضرابه عن العمل، خاصة بعد نوم ليلة الأمس الذي جاء مضطربًا لا يزيد عن بضع ساعات متقطعة..

نوم اضطر كريم لاعتياده منذ فترة طويلة بعد أن اقتحم الأرق اللعين حياته بغتة، وبعد أن فقد رفاهية الساعات الإضافية التي كان يمنّ عليه بها منوم ما كان قد وصفه لنفسه ولم يجد صعوبة في الحصول عليه من

TW/ @Rabe3_elkotob

صيدلي صديق، اضطر للتخلي عنه لاحقًا بسبب أثاره الجانبية، كان بحاجة لكامل وعيه وتركيزه في تلك الفترة من عمله.

نهض في يأس وأعدَّ قدحًا من القهوة حاول به إنهاء صراعه الصباحي المعتاد، ليساعده الكافيين بالفعل بعد لحظات ويقنع عقله بالشروع في العمل، ليستخدمه كريم على الفور في ترتيب أولويات يومه.

TW/@Rabe3_elkotob

الفصل الثالث

ركن كريم سيارته بمكانها المعتاد، ذلك المكان الذي استسلم قديمًا لفكرة استئجاره من منادي المنطقة في مقابل مبلغ شهري غير بسيط. قاده عنده فترة للبحث عن أي حلٍّ آخر دون جدوى. بحث أسابيع طويلة عن أي مكان يسع سيارته في محيط عدة كيلومترات مربعة من مقر البنك ليكتشف بالنهاية ألّا حلولًا أخرى بهذه المدينة المختلة سوى الاستسلام لصوت اللامنطق، وليستأجر نتيجة لذلك جزءًا من الطريق العام ممن أعلن في وقاحة.. أنه يملكه.

أفاق من شروده على صوت عم عبده الأجش والذي ساعده بالتأكيد كثيرًا يوم أن أعلن ملكيته لهذا القطاع الهائل من شارع شهاب..

- اطلع قدام شوية يا باشا.. بس تمام كده..

طوي عم عبده - مع إعلانه هذا عن رضائه المعقول بملكات كريم القيادية - مرآة السيارة الجانبية، في حركة مسرحية أظهرت كم ما يحمله من حنان بالغ تجاهها. ليأتي دور كريم - ككل صباح - في إظهار إعجابه بموهبة عم عبده التمثيلية الفذة، مستعينًا في ذلك بابتسامة صفراء هي أقرب للسباب. تجاهلها عم عبده في براعة كالعادة، معلنًا بذلك إصراره على استمرار علاقتهما الطفيلية التي تظهر أعراضها في كل صباح، دون أن يملك أيٌّ من الطرفين الاستغناء عنها، علاقة مشوهة أخرى كمعظم علاقات تلك المدينة العشوائية العليلة..

TW/ @Rabe3_elkotob

نفض كريم عن ذهنه غبار تلك الأفكار السوداوية، توجه للبنك مستعينًا بمشية من إبداعه الشخصي أطلق عليها قديمًا «مشية-المدير-النشيط- المقبل-على-عمله». عبرَ بها بوابات المبنى الشاهق الذي حمل شعار البنك في فخرٍ، ليبدأ على الفور في إرسال تحيته الصباحية على من لقى من زملاء العمل، مستمتعًا كالعادة بمراقبتهم وهم يبادلونه إياها بأفضل ما ملكوا من مقومات البلاغة محاولين تعويض ما بينهم من فارق بمسمياتهم الوظيفية بعبارات ترحاب حارة وتربيت شديد على يده يعلنون بهما مكانة خاصة بقلوبهم لا يملّون من تذكيره بها في كل صباح. اتسعت ابتسامة كريم وهو يسأل أستاذ حسين عن حال أسرته ساردًا أسماء أفرادها فردًا فردًا قبل أن يطمئن على ظرف طارىء ألمَّ بعم محمود، ثم هنَّأ هشام بمناسبة عائلية خاصة، مُزيدًا- عن قصد - من إعجابهم وتقديرهم له. ليأتي بالنهاية الجزء المفضل لديه وهومشاهدتهم وهم يستسلمون ويكفّون عن محاولة مجاراته في أن يكون لهم ذات التأثير أو الحضور.

استمرَّت الطقوس الصباحية المعتادة حتى وصل كريم لمكتبه الكائن بالدور الثامن، لتكون آخر تحية من نصيب سكرتيرته شذى. طلب منها اليوم في رقة - بعد أن اطمأن على ابنها محمد المريض منذ يومين- قدحه المعتاد من القهوة، ثم دلف لمكتبه مغلِقًا الباب من خلفه في هدوء.

جلس خلف المكتب الأنيق الذي طمس الاعتياد إدراكه. أخذ نفسًا عميقًا شحذ به همته قبل أن يبدأ في التنقيب وسط أكوام بريده اليومي عمَّا لم يملك تجاهله أو التباطؤ في الرد عليه، معلنًا بذلك بدء فعاليات يوم عمل جديد. يوم علم يقينًا خلوَّه من أي جديد به سوى كمٍّ المشكلات التي سيختبر بها ثباته الانفعالي..

تتحوَّل في تلك اللحظة كل ما كان يشعّه كريم من دفء وسعادة وثقة

TW/@Rabe3_elkotob

منذ لحظات ليحل محلها حنق وتوتر وضجر هائل، تنطفىء ابتسامته التي حملها بإتقان منذ دقائق، ليتغير على الفور مسار التجاعيد المحيطة بها وتستبدلها بأخرى حفرت عبوسًا عميقًا، بدا أن ملامحه تحفظه جيدًا في سرية.

يحدث كل ذلك بسرعة غير مقبولة بمنطق المشاعر الإنسانية، لحظة علم شخصيًا قدرتها- إن رآها أحدهم- على تحويل كل ذلك التقدير والإعجاب الذي يتلقاه إلى خوف أو شفقة حين تفضح كم ما يحمله بداخله من زيف وكذب وخداع.

مشهد يمكن بالسهولة عرضه على مجموعة من الأطباء النفسيين في محاضرة عن نوبات الهلع أو القلق يذكره في كل صباح قدر ما بسعادته ونجاحه وثقته من مبالغات، حتى وإن صدقها جميع من حوله..

يتذكر ذلك رغمًا عنه في كل صباح، من دون الحاجة للنبش بداخله كثيرًا. فتنكره - على الأقل بالنسبة إليه - لم يكن محكمًا لهذه الدرجة، ولكن ما الذي يمكنه فعله بعد أن أضحى عمله الكريه هذا هو الوسيله الوحيدة المتاحة لتوفير المال المطلوب للاعتناء بأسرته وتدليلها. ابتسم ساخرًا وقد ضبط عقله متلبسًا بمحاولة تمرير تلك الكذبة إليه. عليه -إن أراد أن يكون أكثر صدقًا- الابتعاد عن لعب دور الضحية، فذلك المال مطلوب أساسًا لإعلان نجاحه ولإبراز تميُّزه وتفوقه، مسألة تدليل أسرته هذه هي مجرد أثر جانبي لذلك الهدف..

دلف أستاذ هشام لمكتبه، مديره البدين اللئيم غزير العرق. تفقده بعينيه الضيقتين قبل أن يلقي إليه بالتحية في برود، ليخرج كريم فور سماعها من خضم أفكاره بسرعة وببراعة يُحسَد عليها. ربما كانت أقرب لكونها سرعة وبراعة تثير الشفقة، لكنه لم يتوقف للتفكير بهذا كثيرًا. بادله كريم التحية سريعًا قبل أن يظهر انشغاله ببعض الأوراق الملقاة أمامه،

TW/@Rabe3_elkotob

مجهضًا بفعله هذا محادثة لزجة لم يرغب في الشروع بها أساسًا. نظر إليه أستاذ هشام في شكٍ قليلاً، قبل أن يغادره في صمت. ليعود كريم على الفور لخضم أفكاره. كانت لا تمل من تذكيره أبدًا بكم حلم طويلاً بواقع آخر.. بحياة أخرى..يشعر أحيانًا من شدة إتقانه تجاهلها أنها باتت تخص شخصًا غيره، يحاول نسيانها- أو تناسيها غالبًا - ليظل شبحها متربصًا به، يترقب أي لحظة ملل تصيبه لينقضَّ عليه من خلف أسوار الواقعية المنيعة التي حاول حبسه خلفها.

كم تمنى لو تنزوي عنه تلك الأحلام الساذجة يومًا، لتنطمس معالمها تحت غبار الزمن أو الروتين حتى ويستحيل عليه الاستدلال عليها. تلك الأحلام السخيفة الملوَّنة بألوان الطفولة المثيرة للغثيان والتي تأبى أن تتركه وحاله. كحلمه القديم الساذج في أن يصبح كاتبًا. ذلك الحلم العبثي الذي حرص ألا يعلم به أحدٌ غيره، خاصة بعد أن فقدَ أي أمل في إمكانية تحقيقه. أخفاه بداخله في خجل كمَن يخفي صور مرحلة مراهقته. حلم لم يعد بمقدوره شخصيًا الاستدلال عليه، إلا عندما يبلغ به الحنين مبلغه، فيفتح عند عودته لمنزله أحد أدراج مكتبه المنسية.. ذلك الدرج الذي امتلأ بكل ما كتبه يومًا؛ من مقالات وروايات وقصائد شعر أغلبها لم ولن يكتمل. يزدحم بهم ليذكِّره في سخرية بثراء مخيلته يومًا ما انقضى منذ عصور، قبل أن يصبح بهذه الواقعية ويلقي بإبداعه وسط أكوام من المتطلبات الحياتية اليومية..

ولكن بدا له أن اليوم هو أحد تلك الأيام التي يحتاج فيها لتذكير نفسه بأنه أكثر من مجرد موظف ناجح وعائل أسرة حنون.. يوم تفشل فيه تلك المظاهر الاجتماعية- التي اختار بعضها في غباء والآخر كوسيلة دفاع- في الحفاظ على تلك الثقة الأسطورية التي يعكسها حوله عن قصد..

حاوَل إحالة انتباهه لأول ما يتوجب عليه فعله، ليساعده الانغراق

TW/ @Rabe3_elkotob

في تفاصيله بالفعل ويمتصه الروتين. وإن بقى شعور كريم طوال اليوم كما هو.. ضجر ويأس وخوف هائل من أنه قد أهدر مسبقًا كل فرصة متاحة لتحقيق أحلامه، وأنه أهدر حياته للتدرُّب على إتقان ما يكره مجرد القيام به، حتى لم يعد يجيد فعل غيره. وحتى أضحى هو كل ما يملك فعله في عجز.. وإلى الأبد..

أوَلَيس العمل هو استبدال أولوياتك بأولويات مديرك، في مقابل ثمن معقول..

لم يمنعه حتى إدراك ذلك من إتمام عمله بكفاءة تامة..

كالعادة..

TW/@Rabe3_elkotob

الفصل الرابع

عاد كريم لمنزله تائهًا وسط أفكار لم يفقد القدرة على تذكُّر أي منها فحسب، بل وجهْل حتى طريق الوصول إليها.. اعتاد زيارتها له قديمًا، كلما سمح لها جدول أعماله بفعل ذلك، تأتيه كلما شرد ليجد بالنهاية نفسه وسط عالم منسي لم يملك دليلاً على وجوده حقًا سوى بإحساس عميق بالخواء ملأه كلما عاد منه.

أغلق باب المنزل من خلفه في خفوت. لم يكن يملك اليوم القدرة على مبادلة ترحاب زوجته وابنه إلا بأقل ما يمكن، من منطلق اللباقة فقط لا أكثر. أو بالأحرى من منطلق عدم إهدار الأمسية في جدل عقيم مع ياسمين، تسرد هي عبره ببراهينها الدالة على سوء تعامله معهما مؤخرًا..

أخذله ذهنه المشغول باستحضار لحظة فتح درجه والغوص به، عن إتقان تقمُّصه لدور رجل مشتاق لعائلته بعد يوم عمل. انتهى من طقوس استقباله بسرعة قبل أن يدخل غرفة مكتبه ويغلق بابها من خلفه في إحكام، متجاهلاً نظرات ياسمين إليه والتي تحاول بها جلد ظهره، معلنًا بصرامته تلك أنه لا يرغب في أي مقاطعة كانت.. إجراءات واضحة تعلمتها ياسمين واستسلمت لها مرغمة، بعد أن أضفى إليها كريم قدسية لا تقبل النقاش، حين أعلن أن سبب قيامه بها هو عمل متأخر ما استوجب عليه استكماله. كيف يمكنه إخبار ياسمين بأنه وبعد يوم عمل طويل بأنه مازال يفضِّل قضاء وقته وسط ذكرياته وقصائصه؟ تغلَّب على تأنيب ضميره سريعًا من دون مقاومة تُذكَر. لم يعد بمقدور

TW/ @Rabe3_elkotob

شيء حقًا أن يَحُول دون استمتاعه بعالمه الخاص..

ذلك العالم الذي لم يتأثر بشيء مطلقًا، مهما بلغت أهميته أو سلطته أو حاجة كريم له، ذلك العالم الذي لم يعترف بكل تلك الأولويات السخيفة التي تحكَّمت بجميع تفاصيل حياته الأخرى.. فتح درج مكتبه مخرِجًا ما بأحشائه في مزيج من حرص مرمم أثار وسعادة طفل في محل دمى. قرأ ونقح بعضًا مما أتى به،مضيفًا -في شك- بعبارات لم يدرِ إن كانت تحمل نضجًا جديدًا أم أنها تشوِّه خيالاً سابقًا.

إدراكه لعمق ما أصاب إبداعه من تيبُّس وضمور جعله يرتاب دومًا قبل تعديل أي كلمة ترِد بنصه الأصلي. القاعدة الأساسية التي حاول الالتزام بها دومًا هي:

«إن لم تكن متأكدًا فلا تفعل، وإن كنت، فراجِع نفسك ثانية. فإن ظللت على يقينك فلتبق على النص الأصلي، لعلَّ لوثتك العقلية هذه تزول يومًا فتعود لاكتشاف عظمته»..

وإن شعر اليوم اليوم بشيء مختلف، شيء دفعه للقيام بما لم يجرؤ على فعله منذ سنين. استجاب له محضرًا بعض الأوراق البيضاء التي سخرت من مجرد تفكيره في إمكانية ملئها، ليظل يقينه اليوم من انتصاره عليها.. صامدًا..

خطَّ بأعلى الورقة الأولى منها عنوانًا، استرسل بعده في الكتابة من دون توقُّف. وكأنما أصابه مسٌّ ما.. تراكمت السطور تحت ذلك العنوان الذي لم يدرِ علاقته بما كتب حقًا، ولكن فتح ذلك العنوان لباب إبداعه، وخياله الصدىء على مصراعيهما، منعه من مجرد التفكير في تغييره. عنوان غامض مكوَّن من كلمة يتيمة، اعتلت أول ما خطَّه من صفحات.

«الحفرة»..

TW/ @Rabe3_elkotob

أفاقه طرق عصبي على باب الغرفة، أزاح ما بيده من أوراق سريعًا ليفتح ذلك الملف عديم القيمة الحامل لشعار البنك والموضوع أمامه لمثل تلك الأوقات. انهمك به قبل أن تدخل إليه ياسمين وتخبره:

- العشا جاهز.

كان يدرك معنى ذلك جيدًا..

عَنِي هذا أن وقته الخاص قد انتهى، بما سيستهلكه العشاء من وقت وما يتبعه من خمول وأخيرًا ما ستهدره محاولات إقناع عمر بأن معاد نومه قد حان حقًا من وقت.. خطوات مُحكَمة توصَّلت لها ياسمين وشكَّلت بها برنامجها الدفاعي المضاد والذي استطاع اختراق جميع دروعه في يسرٍ تام، لتجبره بالنهاية على قضاء وقت أطول معهما، وليحيله القيام بذلك مرغمًا لعبء نفسي ثقيل أصبح يلقيه عليهما من دون حرج، ربما لازدياد حنقه تجاهها أو لرغبته الملحة في معاقبتها. اكفهر وجهه فور سماعه ما ألقت عليه به، مدركًا أن نبراتها البريئة تلك لم تكن تلقائية أبدًا، أخنق كم الافتعال بها..

حدث تاليًا كل ما توقعه كريم وخشيه. وجد نفسه بنهاية اليوم جالسًا بجوار ياسمين وقد امتلأ ضجرًا وفقدَ أي أمل في إمكانية أو جدوى العودة لغرفة مكتبه في ذلك التوقيت المتأخر أو بذلك الذهن المنهك. التزم الصمت متظاهرًا بمتابعة هراء تلفازي ما، معاقبًا إياها على قتلها المتعمد - مجددا- لحماسه وإبداعه بروتينها المنزلي البغيض، وعلى نجاح خطتها ثانية في تدمير أمسية حمل لها خطط سرية أكثر إمتاعًا.. أفاق من شروده على نبرة ياسمين الآتية إليه واضحة الاصطناع، كأنها تتعمد تجاهل تجهمه:

- جبتلك هدية يا كريم...من كام يوم كدا.. كنت مستنية مناسبة عشان أقدمهالك بس لما لقيت ان ما فيش حاجة قريبة قلت مش مهم..

TW/@Rabe3_elkotob

أديهالك وخلاص.

بدت أشبه بعالِم يراقب ردود أفعال فأر يدخل متاهته الجديدة، وعندما لم يستوعب كريم سر ذلك الترقب.. أجابها بنفس الاصطناع:

- هدية إيه؟ أنا قلبي كان حاسس.

أخرجت من خلف الأريكة هدية مستطيلة الشكل، مدت بها يدها إليه ليتلقفها سريعًا ويمزق عنها غلافها في فضول كاشفًا عما أتى بها..

- كتاب يا ياسمين؟ أنا يعني عندي وقت؟!

- يا سيدي.. هو واجب يعني.. لما تلاقيله وقت أبقى أقراه.. هي دي شكرًا؟

- شكرًا يا أفندم.

لم تبتسم، لم تحاول حتى اصطناع ذلك، كانت ما تزال تتفحصه. أنهى كريم ذلك الترقب المريب بقُبلة خاطفة بركن فمها، قبل أن يعود لما ألقت عليه بحمل قراءته. قلب الكتاب بين يديه ليصيبه عنوانه على الفور بتوتر بالغ. رفض تفسير ما رآه أمامه بكونه مجرد مصادفة. تأمل الغلاف الأسود الداكن الذي سطع عليه عنوانه بشكل مبالغ بفعل التناقض الذى جاء بينهما. غلاف قبيح، نمَّ من دون شك أن مصممه أراد المنافسة به بقوة على جائزة أقبح غلاف، أو أنه كان يخطط للانتحار. قرأ كريم عنوان الكتاب ثانية، يتذوقه وقد بدا له مألوفًا للغاية.

«الحفرة»..

خلا غلاف الكتاب من أي أثر لاسم مؤلفه أو لمختصر لأحداث الرواية بظهره كما جرت عليه العادة. أدهشه أن يقرر مؤلف ما إحاطة إبداعه بذلك السواد القاتم عديم الإرشادات. سأل ياسمين:

- جبتيه منين دا يا ياسمين.. دا مش باينله أي ملامح.. سمعتي

TW/ @Rabe3_elkotob

عنه فين دا؟

ابتسمت في عصبية وهي ترد عليه:

- لقيته.. قدام الباب..

- باب إيه؟ باب البيت؟ ازاي يعني؟

- ما اعرفش.. لقيته في وسط الجرنال.. الكلام دا كان من كام يوم كدة.. سألت ريهام إذا كان جالها كتاب مع الجرنال.. قولت يمكن يكون دعاية مثلاً.. قالتلي لأ..

صمتت لحظات ثم أضافت في خجل:

- اتأخرت يومين كدة كنت فاكرة اني هاقرا فيه شوية.. ولما لقيت ان ما فيش أمل.. رحت غلّفته..

قاطعها سريعًا:

- اااااه.. أنا كدة فهمت.. أومال إيه بقى جبتلك هدية.. وما لقيتش مناسبة.. وفي الآخر تطلعي لاقياها في الشارع.. ماشي يا ياسمين.. من هنا ورايح اعملي حسابك هي دي المعاملة اللي هاعاملك بيها.. عيد ميلادك.. عيد جوازنا.. كله من دا..

- عيد جوازنا كان أول امبارح يا كريم..

ألقت بها في سرعة وعصبية من يلقي قنبلة يدوية. ليتوقف عندها عقل كريم عن العمل تمامًا ويزداد غباء تحت تأثير توسلات كريم المستميتة إليه بإيجاد مخرج لتلك الورطة فورًا، دون جدوى..

الصمت..

الصمت.. الصمت..

المزيد من الصمت..

TW/@Rabe3_elkotob

بحث كريم في هيستيريا بكل ثنايا عقله عن أي إجابة تصلح، حاول تذكُّر اليوم المشار إليه، عله يجد بمجريات أموره عذرًا مناسبًا فلم يجد. ما الذي حدث يومها؟ ما الذي ألقى به في هذا الموقف العسير؟ فيما قضاه؟.. بدأت ذكريات اليوم في التسلل إليه ليدرك كريم السبب فورًا..

نعم، بالطبع..

حمار..

كيف أغفل تلك العلامات التى امتلأ بها ذلك اليوم؟

كيف تجاهل رائحة عطرها الساحر وبقاءها بجانبه طويلاً معلِنة نشاطًا مفاجئًا فور ذهاب عمر للنوم ، قبل أن تتوجه للنوم لاحقًا في صمت بعد اعتكافه هو بغرفة مكتبه. ألم يعنِ ذلك كله أن شيئًا ما يتوجب عليه تدبره.. الغبي، قضى أغلب يومه هذا بغرفة مكتبه طامسًا معنى تلك الإشارات عن الوصول إليه، مراقبًا ما تحاول إخباره في بلاهة، وكأنها تتحدث بلغة قديمة لا يفقه عنها شيئًا.. اقتلعه من سيل ذكرياته ضرورة التلفُّظ بأي شيء فورًا..

- أنا.. أنا.. أنا آسف.. ما انتي عارفة يا ياسمين.. الشغل..

ليته صمت.

قامت دون أن ترد عليه وغادرت الغرفة، ليأتيه بعد لحظات صوت صفعها لباب حجرة نومها معلنة إليه أنها قد أضحت مكانًا محرَّمًا عليه الليلة، وأنه إن كان بالقدر الكافي من الغباء أو الفضول لاستطلاع جدية حظر تجواله بها، فليفعل. ليلقى ما تخبئه له جيوش النكد من عتاد..

TW/ @Rabe3_elkotob

الفصل الخامس

هي غرفة المعيشة إذن، عالق بها حتى الصباح. مرت الدقائق بطيئة للغاية، تنامى عبرها شعور كريم بالملل حتى فاق بالنهاية حنقه، لتوجه دفاعاته العقلية على الفور ما بقى منه تجاه ياسمين. لماذا لم تخبره بشكل أوضح؟ لماذا تعشق دائمًا اقتناص تلك الفرص؟ لماذا تضخِّم دومًا أي خطأ يرتكبه حتى تصل به في النهاية لذلك المشهد المسرحي المتكامل؟ بحث عن أي شيء يشتت به ذهنه عن متابعة العرض المتواصل لأحداث الساعات الماضية فلم يجد، لا شيء بالتلفاز الممل القذر أمامه يصلح لتحقيق تلك المهمة. شعر بالغرفة تلفظه!..

تساءل في برود إن تبقى أيٌّ من عصير اليوم، أم أن عمَّر قد أجهز عليه مسبقًا كالعادة. نهض لاستطلاع النتيجة قبل أن يلفت انتباهه شيء لم تعتَده عيناه في ذلك المكان من الغرفة من قبل. التفت إليه ليبصر ذلك المستطيل الأسود القابع فوق الأريكة الحمراء الزاهية وكأنه لوحة كتاب ينزف..

كيف نسي أمر تلك الرواية؟ كيف أغفل عن ذلك التوتر الذي أصابه فور رؤيته لعنوانها؟ أيجد بالكتاب ما خطه منذ قليل بغرفة مكتبه؟

نفض عن ذهنه ركام تلك الميلودراما السخيفة وأمسك بالكتاب. بدا له أنه قد اختزل مشاعره كلها في تلك اللحظة في عنوانه فقط.. الحفرة..

قلَّب الكتاب بين يديه متسائلاً إن تمكَّن من أن يجد به حلاً ولو مؤقتا

TW/ @Rabe3_elkotob

لحالة الملل التي تكاد تبتلعه. لم يكن يطمح فيما هو أكثر من بعض التشتيت. استطلع عقارب الساعة أمامه، أخبرته أن منتصف الليل قد حل منذ دقائق. أقلقه تأخر الوقت لهذا الحد، فهو سيستيقظ في الغد مبكرًا. راجع قراره بسبر أغوار الرواية مرة ثانية. ربما كان الأفضل تأجيل القيام بذلك والتوجه للنوم فورًا، خاصة وأن محاولات النوم الليلة على الأريكة ستجعله صعب المنال. توجه للأريكة حانقًا، مدركًا أن تمدده عليها سيستمر في الأغلب لساعات، يقضيها مستيقظًا متقلبًا متوسلاً للنوم بالمجيء، قبل أن يتوقف ثانية مقررًا بأنه لن يلتزم بروتينه المعتاد الليلة. ما حدث منذ ساعات يعطيه الحق ولو قليلاً في مخالفة بعض تلك القوانين السخيفة. كميعاد نومه المعتاد.. وكمنع التدخين بغرفة المعيشة..

انطلق لغرفة مكتبه قبل أن يعود منها حاملاً علبة سجائره. أشعل إحداها في تحدٍّ ونفث بدخانها وسط هواء الغرفة في استمتاع آثم. نظر للكتاب الموضوع أمامه في شك قليلاً، قبل أن تمتد إليه يده..

لا بأس، سيقرأ مقدمته فقط..

علها تحمل إليه أي جديد يشغله أو يستحوذ على انتباهه قليلاً..

بل ربما يكتشف حتى سر تطابق عنوان ذلك الكتاب مع ما خطه منذ قليل..

اعتدل وفتح الكتاب، مستعيدًا متعة تلك العادة القديمة..

القراءة..

TW/@Rabe3_elkotob

الحفرة

TW/ @Rabe3_elkotob

فهل أنت مسؤول عما تجد..

TW/ @Rabe3_elkotob

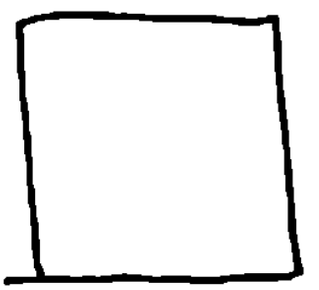

TW/ @Rabe3_elkotob

الفصل الأول

الجحيم..

إنه الجحيم..

لا أتصور وجود عذاب كذلك الذي أُختبِرته -وما زلت- والذي فاق أبشع كوابيسي إلا بأعماقه.. وعلى الرغم من بشاعة الفكرة -وهي أنني بالجحيم- فأنا ما زلت أتمسك بها وأحاول إقناع نفسي بها كلما لفظها عقلي.. فهي تضفي إليَّ رغم كل شيء ببعض السكينة..لأنه إن لم يكن ذلك صحيحًا، إن لم أكن بالجحيم ، فأنا لا أدري أين أنا..

مرَّت حياتي أمام عيني سريعًا. ثلاثون عامًا من التفاصيل استعدتها في لحظات، ليبدو لي كل ما امتلأت به من أحداث وأحلام و طموحات مثل فيلم هزلي، سخيف وساذج، بل مثل سراب لم يوجد أبدًا.. نعم أشك في حياتي السابقة، فلابد وإنني موجود هاهنا منذ الأزل. لا بد أنني لم أُوجَد أبدًا قبل بداية هذا الكابوس.. إن أي حياة أخرى قد أكون تصورتها لهي مجرد سراب أو خيال مريض، لا هدف منه إلا تحطيم ما بقى منِّي، بأن يتسلل لعقلي احتمالية وجود حياة أخرى قد أكون حييتها قبل هذا العذاب..

بحثتُ عن السبب كثيرًا فلم أجد ما استحققت بسببه كل هذا العذاب. بل إنني لا أعتقد في وجود جرم يستحق مرتكبه كل هذا العذاب. أضحك رغمًا عني، متسائلاً في سخرية:

- أما زلت تؤمن بحتمية وجود سبب لأي شيء؟

فكرة ساذجة اعتنقتها قديمًا، لأعتقد بها إمكانية تجنُّب ما أنا به الآن،

TW/ @Rabe3_elkotob

خاصة إن كنت حريصًا أو إن تصرفت بذكاء واتبعت إرشادات الأمان.
وهمٌ من حياة قديمة ساذجة -لم أحيَها- ما زال عقلي يحملها.

خدعة زرعها والدي بداخلي، لأتبع جرائها قوانينًا عقيمة طوال حياتي، آملا في أمان زائف.. ولكني أكثر نضجًا الآن، فأنا أعرف مدى سخافة تلك الفكرة.. أعرف أن الطريق للنجاة ليس عدم ارتكاب أي أخطاء، وأن حزام الأمان لا يضمن لك السلامة كما لا يضمن لك التطعيم النجاة من وباء.. ما هي إلا احتمالات،. وما نلاحق إلا سراب الأمان.. الحقيقة أن ما يحدث لك هو ما يحدث لك، بلا أسباب تتجنبها، وبلا محاذير تنتبه إليها وبلا نتائج تتعلَّم منها. يومًا ما تكون مشمولاً ضمن الاحتمالات الأكثر شيوعًا، تؤمن تمامًا بوهم الأمان، لتستحيل في لحظة لحالة منفردة تكسر عموم تلك القاعدة، مثيرًا للشك في نفوس البعض. إن استنتج أحدهم سببًا لفاجعتك فإنك تستحيل لعِظة أوعِبرة أو درس مستفاد، ليستكمل الجميع بعده ما يفعلونه، معتقدين إمكانية تجنبهم ما أصابك، كونهم أكثر حنكة ودهاءً..

أضحت فكرة الانتقام يومًا هي الشيء الوحيد الذي ما زال يستطيع الوصول لعقلي عبر عواصف الألم والجنون التي تعبث به. ترسم بوجهي كلما أتت إليَّ ابتسامة مجنونة مشوَّهة. ابتسامة ظننتها قديمًا تخص الوحوش والشياطين فقط، أصبحت أشاركهم إياها، تعلو وجهي كلما تخيلت لحظة انتقامي، من أي شخص يدفعه حظه السيء لأن يلتقي بي بعدما حدث لي.. ولأنه لا أحد مسؤول عمَّا أنا به، فسوف أنتقم من الجميع.. من أي شخص.. سيعلم الجميع يومًا أن أي شيء قد يحدث لهم، بأي وقت..

أي شيء قد يأتي إليهم في أية لحظة..

ليدمر حياتهم..

إلى الأبد..

وأن أي حياة أخرى يحيونها الآن متناسين تلك الحقيقة، ما هي إلا أوهام.. أوشكت على الانتهاء..

TW/@Rabe3_elkotob

الفصل الثاني

بدأت الأحداث كالعادة بما لم يوحِ بكل هذا، بدأت بيوم عادي من أيام حياتي السابقة. يوم سخيف آخر لم اتصور إنه سيكون آخرَها، قضيته بعد انتهائي من عملي مع بعض الأصدقاء على المقهى، لأنني آمنت كما آمن الجميع حينها أن حياتي باقية إلى الأبد، وأن لدي كل ما يلزمني من وقت حتى أدرك - بترو شديد- قيمة حياتي. إن لم يكن إيماني هذا راسخًا، فأنا لم أتصرف يومًا بما يوحي بوجود أدنى شك عندي به..

كنت أتوقع أن يبدأ يوم كهذا - يوم يدمر ما بقى من حياتي وعقلي- بشكل مخيف أو حتى مختلف.. ولكن أبدًا. بدأ كابوسي بلا أي دلالات أو تحذيرات، كالعادة.. يوم تقليدي، آخر ما فعلته به هو أنني نظرت لنفسي بالمرآة. لا أعتقد أنني فعلت ما هو أكثر من ذلك.. فما الذي حدث يومها؟ ولمَ حدث لي؟ لا أعرف..

ستة بلايين شخص آخر على سطح هذا الكوكب الكريه يتأملون أنفسهم بالمرآة عشرات المرات في كل يوم، فلماذا أنا؟

لكنها نظرية الاحتمالات كما أخبرتك سابقًا. يومًا ما تكون مشمولاً في نطاق لاحتمالات الأكثر شيوعًا وتتأمل نفسك بالمرآة في إعجاب، لتنزوي عنك عموم تلك القاعدة فجأة، وتجد نفسك فجأة بالجحيم..

وحدك..

لكنهم سيعانون..

سوف أعمل على هذا و أتأكد من تحقيقه تمامًا، سأنتقم من أي شخص

TW/ @Rabe3_elkotob

مهما كان ما فعله – أو لم يفعله– وأريه أن هناك ما لم يكن يعتقد في وجوده قد يأتي إليه ويغيِّر حياته كلها بلحظة.. هل أخبرتك بهذا من قبل؟!

لا أذكر.. ولكني لن أمل أبدًا من تكرار هذه الفكرة كلما أتت لعقلي، أو بالأصح، كلما أتت لما بقى منه..

لأستطرد.. في ذلك اليوم اللعين عدت لمنزلي بعد أن فرغت من تسكُّعي مع أصدقائي. أبدلت ثيابي قبل أن أذهب للحمَّام لأغسل وجهي. نظرت للمرآة مبتسمًا وبعض الذكريات المرحة تتقافز أمام عيني.. نظرت لوجهي في المرآة– أو ما اعتقدت أنه وجهي– فإذا به لا يبادلني الابتسام كما كنت أفعل أنا حينها. لا أدري كيف لاحظت هذا الاختلاف. ولربما كان ذلك هو خطأي؛ أنني دققت النظر وأطلته للمرآة حتى لاحظت هذا الاختلاف..

لربما كان ذلك هو السبب الذي حذَّرنا من أجله أباؤنا و أجدادنا من إطالة النظر بالمرآة. بعد أن أدرك أحدهم هذا السر قديمًا وحاول تحذيري منه بوضوح، ذلك التحذير الذي تحوَّل من معلومة يقينية إلى أسطورة سخيفة عند وصولها إليَّ عبر عدد هائل من الأجيال الغير مصدقة، في الأغلب لكونه لا يخضع للاحتماليات الأكثر شيوعًا..

لم يكن غياب ابتسامتي بالمرآة هو أكثر ما أخافني، ولكن ما هالني كانت نظرة الحقد الواضحة التي رمقني انعكاس وجهي بها في ثبات..

كره عميق لا حدود له، لا أدري كيف أغفلته سابقًا..

هل حدث هذا اليوم فقط أم أن اكتشافي له تأخر لوقت لا أرغب بالتفكير في مداه أبدًا..

هل حدث هذا التغيير توا أم أن انعكاسي ظل يقلدني بإتقان طوال ثلاثين عامًا دون أن ألاحظ بعض الاختلافات به.. مثل أنه يحتقرني..

لماذا لم يتكبَّد اليوم عناء تقليدي؟ لماذا أظهر اليوم حقيقة مشاعره؟

TW/ @Rabe3_elkotob

ما الذي جعله لا يخشى الآن التعبير عن كرهه؟

الحقيقة أن تلك الأسئلة لم تكن ما دارت ببالي في حينه.. فكرت بها لاحقًا، في وقت لم يكن لدي ما أفعله إلا الشرود وسط افكار مظلمة والألم ينهش عقلي. لم أعتقد قديمًا في إمكانية الجمع بين التفكير والألم. ظننت أن ابتعاد يدك عن مصدر الألم برد الفعل الانعكاسي وتوقف العقل عن اختراع الأكاذيب والاعتراف بالحقيقة بعد قدرٍ معين من العذاب يعني بوضوح استحالة الجمع بينهما.. ما لم يخطر ببالي في حينه هو مدى تغيُّر ذلك إن استمر الألم لمدة اثنين وخمسين عامًا.

أيمكنك التوقف عن التفكير طوال هذه المدة؟ أم أنه يتسلل إليك رويدًا رويدًا رغمًا عنك بما يسمح به الألم من أن يردك من أفكار، والتي غالبًا ما تكون جنونًا وحقدًا و انتقامًا.

سأخبرك - عن تجربة- إن ذلك هو ما يبقى بعقلك بعد اثنين وخمسين عامًا من الألم.آخر ما يغادرك وآخر ما تفرط به.. الجنون والحقد والانتقام..

توقف عقلي عن العمل تمامًا في تلك اللحظة..

ظننت أن... أي شيء..

ظننت أنني أحلم أو أهلوس، ظننت أن ما أبصره أمامي هو مجرد خدعة بصرية، وأن ابتسامتي غير واضحة بالمرآة. دعك من نظرة الحقد التي بالتأكيد توهمتها نتيجة لتلاعب الظلال بوجهي..

والحقيقة أن ذلك لم يكن أيضًا هو ما فكرت به في حينه..

ولكني لن أتمكن أبدًا من إخبارك بصدقٍ عمَّا دارَ بذهني في تلك اللحظة..لأنني ببساطة لا أعرفه..

كل ما أدركته هو أنني لا أستوعب ما كنت أراه أمامي.. كان أي شيء، غير كونه واقعًا.. أنكرت ما رأيته أمامي في وضوح، تاركًا لعقلي

TW/@Rabe3_elkotob

إقناعي بما شاء من هراء.أليس ذلك هو ما نفعله دومًا عند مواجهة أي كابوس.. وكمحاولة أخيرة لتبديد تلك الهواجس، اقتربت بوجهي من المرآة وأنا أزيد إبتسامتي اتساعًا، متوقعًا أن أكتشف مدى سخافتي عندما يبادلني انعكاسي بالمرآة ذات الابتسامة البلهاء.. لنتهي في تلك اللحظة بالفعل كل شكوكي..

فقد ظل جامدًا كما هو.. لم يقترب، لم يبتسم، لا شيء..

نظر إليَّ وقد أضاف لحقده نظرة ساخرة.

والآن، وبعد أن اقتربت بوجهي من المرآة -منه- لهذا القدر، أدركت متأخرًا فداحة خطأي.. خشيت أن أبتعد عنه سريعًا، حتى لا يكتشف أيضًا ذلك الخطأ، فينقض عليَّ. ولذلك لم أجد ما أفعله سوى التجمُّد محدقًا بذلك الشيء المفترض به أنه أنا.. لا أدري كم ظللت أنظر إليه.. لحظات أعتقد، لن أعترف أنني كنت من الغباء الذي جعلني أستمر في مراقبة شخص أرى تمامًا ألا همّ له إلا إيذائي لأكثر من مجرد لحظات، حتى و إن كان ذلك الشخص هو أنا.. لا أذكر ما الذي حدث أولاً. هل خرجت من الحمَّام راكضًا، لا أدري إلى أين تحملني ساقيَ الهستيريتين راغبًا ليس في الخروج من الحمَّام فحسب بل من هذا العالم بأكمله أم أنني ظللت أصرخ آملا أن أوقظ نفسي من كابوس ثقيل؟

شعرت به خلفي، وقبل أن أستدير إليه، راقبت في ذهول تحوُّل جزء من خوفي إلى غضب وقد أزاح سيلٌ من الأسئلة الاستنكارية شعوري بالهلع جانبًا.. لا تستهن أبدًا بقدرة دفاعاتك العقلية في العبث بذهنك..

خرج من المرآة و جاء خلفي؟؟هل وصلت به الصفاقة لهذه الدرجة؟

هل جُنَّ؟ أم أنني من يجن حقًا؟

هل أشاهد الآن وبالتصوير البطيء عقلي وهو يفقد اتصاله بالواقع ويذهب رويدًا رويدًا ناظرًا إليَّ في غباء ملوِّحًا بالوداع؟

TW/@Rabe3_elkotob

نظرت ورائي لأجده بالفعل خلفي..

وحش..

لن أصفه بغير ذلك، حتى وإن بدا لك ذلك المصطلح ساذجًا سخيفًا، حتى إن كانت ماثلَتْ ملامح وجهه ملامحي، فإن تلك النظرة المجنونة التي حملها لم تكن لتأتي إلا لمخلوق قادم من أعماق الجحيم.. لم يكن يركض، كان يسير ببطء، خلفي، يتبعني، يقترب مني بالرغم من ركضي أنا بكل قوتي.. صرخت كما لم أفعل من قبل.. أيمكنك الصراخ إلى أن تُمزَّق حنجرتك أو أن تخيف نفسك به إلى أن تجن؟

لا أدري.. ولكني حاولت.. واقتربت كثيرًا من تحقيقه..

أتذكَّر الآن تيقُّني الساذج - المقتبس عن كل أفلام الرعب - عندها من أنني سأصل لباب المنزل فيرفض الاستجابة لمحاولتي فتحه، لتؤخرني محاولاتي المتتالية وتنكمش المسافة بيننا سريعًا ويلحق بي و..

وماذا.. لا أدري..

لم أتمكن من تخيُّل ما الذي سيحدث إن لحق بي ذلك الشيء، وإن أدركت مسبقًا أنه لن يكون قريبًا من أسوأ تخيُّلاتي.

أتذكر جيدًا يدي المرتجفة الممتدة لمقبض الباب وهي تديره في يأس تستجديه، متوقعتة رده بالرفض..

قبل أن يفاجئني وينفتح في سهولة تامة..

وقبل أن أجد بداخلي بعض الأمل من جديد، هوي ما رأيته أمامي بقلبي أرضًا..

ولكني لم أصرخ من جديد..

لأنني ببساطة لم أكن أقوى على التنفس..

وأيًا كان ما يزحف خلفي..

توقفتُ..

TW/@Rabe3_elkotob

الفصل السادس

انتفض كريم لذلك الصوت الذي مزق الصمت المطبق من حوله بتلك الساعة المتأخرة من الليل، مدركًا في هلع - بعد لحظات ارتباك طويلة- أن ذلك هو منبهه. يرن بالغرفة المجاورة معلنًا إليه حلول الصباح، وأن خيار النوم الليلة قد زال، إلى الأبد.. التفت لساعة الحائط أمامه، محاوِلاً نفي هذا الخبر المستحيل عنه. نظر إليها ببلاهة، غير مستوعب ما الذي تعنيه بقولها إن الساعة قد أضحت السادسة صباحًا. استدار لشباك الغرفة، متوسلاً أن يأتي إليه بنبأ مختلف، كأن يصارحه مثلاً أن عطبًا قد أصاب منبهه وتلك الساعة في معجزة تكنولوجية من نوع ما.

فكرة طفولية لم تدعمها سوى قوة إنكاره الهائلة التي شعر بقدرتها في تلك اللحظة على إدحاض تلك المعلومة وجعلها تتوارى خجلاً. ولكن برؤية الضوء القادم إليه من شباك الغرفة، تأكد كريم في هول مما أخبره به منبهه في فصاحة منذ لحظات.. لقد حل الصباح حقًا، أتى موعد استيقاظه. لم يذكر متى حمل إليه شروق الشمس هذا القدر من الذهول والحنق معًا. قذف بالكتاب الذي جلب عليه هذا على الأرض أمامه في غضب.

كيف سيتمكن من مواصلة يوميّ عمل من دون أن يفصل بينهما بلحظة نوم واحدة، هو المحتاج لكل طاقته وتركيزه، اللعنة..كيف امتص ذلك الكتاب اللعين كل ذلك الوقت في بضع صفحات لم يتجاوزها. أمسك بالكتاب ثانية محاوِلاً التأكد مما ظنه مستحيلاً، ليتيقن في هول من حدوثه. بالفعل لقد قرأ ثمانية صفحات في ست ساعات.

TW/ @Rabe3_elkotob

أي هراء هذا.. لم يكن يملك من الوقت ما يكفيه لتدبُّر هذا، هرع لغرفته قاصدًا الحمَّام الملحق بها ليجد ياسمين جالسة على السرير وقد أفاقها صوت المنبه..

- صباح الخير..

قالها بنبرة مصطنعة محاوِلاً إضفاء أكبر كم من الذكورة بها لاستعادة دفة الأمور من دون الحاجة للتطرق لأحداث الأمس. ردت عليه ياسمين بكلمات مبهمة ساخطة تعلن أن وقت الغفران ما زال بعيدًا:

- ص.... ير..

لم يملك من القوة أو من المنطق ما يستطيع به مواجهتها، لذا ألقى عليها بأول ما جاء في ذهنه المشوش:

- أنا آسف مرة تانية..

تركته ياسمين في صمت متوجهة للمطبخ لتبدأ في تحضير وجبة الإفطار، معلِنة بذلك التزامها بالأعمال المنزلية للزوجة المصرية، من باب أصالتها فقط، وليس لكونه يستحق. يبدو أن الأجواء النكدية قائمة لفترة ليست بالوجيزة. اغتسل وأبدل ثيابه في دقائق قبل أن يهرع للمطبخ متوسلاً بينه وبين نفسه في أن تجدي القهوة نفعًا. قفز عمر على الكرسي المجاور ليرتشف الكاكاو الساخن..

- صباح الخير يا عمر.

قالها كريم في فصاحة، محاوِلاً دحض غمغمات زوجته المبهمة التي ما زالت تتردد بأذنه. انتظر قليلاً حتى يقوم الكافيين بتأثيره، أتى اليوم غير كافٍ لإبعاد ضباب الإجهاد الكثيف المخيِّم عليه. دسَّ بضع لقيمات في جوفه، ليتمكن فقط من اتباعها لاحقًا بسيجارة من دون أن يصاب بالغثيان، قبل أن يودع عائلته ويهرع لعمله..

غافلاً عن بداية انهيار عالمه الذي يعرفه..

TW/@Rabe3_elkotob

الفصل الثالث

اعتدل إبراهيم مُنهكًا. لم يدرِ كم مضى عليه من الوقت وهو يقرأ.. استطلع ساعة يده لتخبره أنها قد أضحت الثامنة مساءً. كان قد تأخر عن موعد عودته للمنزل منذ ساعات، الأمر الذي لم يحدث منذ سنين، فروتينه المعتاد حمل بمرور الوقت قداسة العبادات، وجدوله الحافل خلا منذ وقت طويل مضى مما يكفي من الوقت لتخيُّل مجرد فكرة تغييره. وإن لم يضايقه تأخره على غير العادة، فالكتاب الذي تسبب بهذا جاء مشوقًا وغريبًا حقًا. حمله تاركًا ما عداه من مراسلات قاصدًا منزله.

لاقته بسمة فور دخوله الفيلا بابتسامة عريضة وقبلات حارة، قبل أن تسأله:

- إيه اللي أخَّرك كدا؟ وما كنتش بترد على موبايلك ليه؟

- انتي اتصلتي؟ والله ما خدت بالي.. كنت في المكتب، انتي عارفة النهارده آخر يوم لتلقي المشاركات. قعدت أقرا فيها.. واحد بعتلي كتاب غريب جدًا.. سرق مني الوقت خالص..

هرع إليه ولداه قبل انتهائه من جملته وارتميا بحضنه. ياسمين ذات الأحد عشر ربيعًا، وكريم البالغ من العمر سبع سنوات. صاح به :

- هنروح فين النهاردة.. هتودينا فين؟

كانت تلك إحدى عادات إبراهيم التي حاول الالتزام بها، ربما في محاولة لإظهار أن كِبر سنه لن يمنعه من تدليل ابنيه،

TW/ @Rabe3_elkotob

حتى وإن تطلب ذلك نشاط شاب في الثلاثين من العمر، ليواظب جراء ذلك على اصطحابهما في نزهات بمعدل فاق زملاءهما كثيرًا.. أجابهما بنبرة إعلانية:

- النهاردة هنروح السيرك..

- هيييييه!!!

التفت لباسمة قائلاً:

- عاملين مهرجان دولي في السيرك اليومين دول وفي فقرات من دول كتير، ما تيجي معانا؟

- مش هانبسط يا إبراهيم، مانت عارف.. أنا مليش في الكلام دا.. روحوا أنتم وانبسطوا..

- براحتك.. بس هيفوتك الأراجوز..

قالها منطلقا تجاه ولديه مقلدًا أراجوزا بدا من مشيته كم التسلخات الذي يعانيه. حملهما ضاحكين وتوجه بهما للمطبخ وهو يزأر:

- في أكل النهاردة ولا آكل العيال دي؟؟

ضحكت بسمة في عذوبة وهي تلحق بهم:

- لا.. في أكل يا عم الأراجوز.. سيب ولادي لو سمحت، ما تاكلهمش..

لم يلقى أحدهم بالاً لذلك الشيء المظلم الذي أحضره إبراهيم لأسرته والموضوع من دون اكتراث على الطاولة التي انتصفت بهو الفيلا العملاقة.. لم يكن مظهره يشير أنه على وشك تدمير حياتهم جميعًا..

بدا ككتاب عادي متوسط الحجم، أسود اللون، ذي عنوان كئيب..

«الحفرة..».

TW/@Rabe3_elkotob

الفصل الرابع

تمطع إبراهيم في رضا قبل أن يُحرِس منبهه بضغطة على الزر الذي توسطه. استدار متأملاً بسمة الممدة بجانبه ترتدي شيئًا ما لا يدري اسمه أو تعريفه. وإن أدرك في يسر أنَّ عبقريًا ما من بلاد بعيدة قد أقنعها بشرائه، لترتديه اليوم نائمة. لم يشك للحظة في كونه مريحًا للغاية، لها كما هو للناظرين. فلم تكن مساحته تتعدى بضع السنتيمترات المربعة، ليكشف عن جسدها اليافع. ابتسم إبراهيم متخيلاً قدر ما بذل في تصميمه من مجهود شاعرًا برغبة عارمة في إرسال برقية شكر لمصممه مصرحًا إليه أنه قد غفر له مسبقًا ما استولى عليه من ثمن فاق يقينًا أضعاف قيمة تكلفته.

لا بأس، فقيمة بعض الأشياء لا تُقدَّر بثمن.. وهذا ال.. شيء، أحدها.. هزها في رفق محاوِلاً إيقاظها، لتأتي محاولته وسط تأملاته أقرب للتحرش، فتحت بسمة عينيها الواسعتين وابتسمت إليه في دلال قائلة:

- إيه يا استاذ.. مش هتبطل شغل الاتوبيسات دا..

- أنا بتاع شغل اتوبيسات!!! طيب.. والله لاوريكي بقا شغل بيوت الدعارة. قالها وانقض عليها.. بدت بسمة أكثر احتشامًا بكثير لاحقًا وهي تعد وجبة الإفطار. ابتسمت وهي تسترجع ما أظهره إبراهيم منذ دقائق ما ظن أنه شغل بيوت الدعارة. أتى إبراهيم إليها واحتضنها قبل أن تفيق من ذكرياتها، مقبلا تلك البقعة من عنقها التي يعرف جيدًا ما تسببه من قشعريرة كلما لامسها بشفتيه.

TW/ @Rabe3_elkotob

انتظر أن تسري القشعريرة بجسدها قبل أن يجلس بجوارها في هدوء وينهل من قدح قهوته الصباحي.. كان استيقاظها هي وإبراهيم مبكرًا، قبل ساعة - على الأقل- من موعد استيقاظ أولادهما عادة قديمة حاولا الحفاظ عليها. بدأت قبل أن يُرزقا بهما، مع إدركهما أن جدول أعمالهما الحافل لن يساع سوى ذلك الموعد لقضائهما ما أسمياه بـ«وقتهما الخاص» ليقتطعاه من دون تردد من ساعات نومهما، يتحدثان ويلهوان به كعاشقين. أخبرته وهي تشرب كوبها من عصير البرتقال:

- الولاد امبارح انبسطوا قوي.. من ساعة ما رجعوا لحد ما ناموا وهما ما وراهمش سيرة غير السيرك واللي شافوه هناك..

- بصراحة كان عرض حلو.. فاتك والله.. لولا الملامة كنت وريتك مشية الأراجوز تاني..

ضحكت ضحكة صافية وهي ترد: لا خلاص قلبك ابيض.. انت اراجوز فاشل على فكرة.. المهم انكم انبسطوا..

- أنا بكرة رايح على العين السخنة.. هاتفرغ يومين هناك عشان اكمل قراية مشاركات المسابقة..

سألته: رايح الفيلا ولا الصومعة؟

ضحك طويلاً قبل أن يجيبها: تاني.. تاني.. هو كل مرة هاسافر فيها السخنة هتسألي أم السؤال دا؟

أجابته بابتسامة صافية أخرى دون أن ترد..

الصومعة كانت ذلك الشاليه الذي ابتاعه إبراهيم بالعين السخنة منذ أعوام، بقرية هادئة، ذو مساحات خضراء واسعة تحيط بكل وحدة سكنية، وجيران أغلبهم في سن الشيخوخة جاءوا للاستجمام الهادىء بعيدًا عن صخب المدينة، مما جعلها المكان المثالي المفضَّل لديه للبدء في

TW/@Rabe3_elkotob

أي عمل أدبي جديد.

أخبرها قديمًا أن كتابة أي رواية يتكون من قسمين: مرحلة «بناء عضم الرواية» كما أسماه وهو الجزء الإبداعي الذي يشتمل على خلْق الفكرة والشخصيات والأحداث والتكهن - إن كان محظوظًا - بنهايتها. وهو ما يستوجب عزلة وتركيزًا وإلهامًا لا يجده سوى بالصومعة. يعود منها بعد فترة محملاً بخرائط لأحداث روايته الجديدة وتشابُك شخصياتها، مصحوبة بملف خاص لكل شخصية منهم يحتوي على تفاصيل ملامحها وصفاتها ووظيفتها وهواياتها.. يأتي بعد ذلك «الجزء التقني» كما أطلق عليه. وهو اختياره من الكلمات والجمل ما يحمل تلك الأحداث والشخصيات للقارىء على الوجه الأنسب أدبيا دون الإخلال بتشويق الرواية. وهو ما يقوم به بغرفة مكتبه طوال الأسابيع التالية لعودته من الصومعة، من دون الحاجة لذلك الانعزال أو الاعتكاف. حين يبدأ بتعليق خرائط روايته الجديدة بجدران الغرفة، ويفرش الأرض بملفات شخصياتها وتصبح غرفة مكتبه مكانًا محرَّما على الجميع طوال شهور. يخرج منها يومًا مبتسمًا ابتسامة لا تعني سوى أنه قد فرغ.

لتبدو الغرفة عند دخول بسمة إليها لأول مرة منذ شهور بصحبة «خضرة» التي تأتي لتنظيف الفيلا كغرفة عزل مريض عقلي كالتي تظهر بالأفلام الأجنبية..

مشهد لم يكف -رغم سنين زواجها الطويلة - عن إثارة دهشتها وإعجابها في آن واحد، يذكّرها مجددًا في كل مرة أنها قد تزوجت من رجلٍ يرقص بالفعل على تلك الشعرة الفاصلة بين العبقرية والجنون.

أما الفيلا فتقصد بها بسمة تلك التي اشتراها منذ عامين، بعد إلحاح متواصل منها، بقرية استطاعت عبر إعلاناتها وإشاعة قائمة أسماء القانطين بها من إقناع الكثيرين أن عدم تملُّك وِحدة بها سيضر كثيرًا بمستواهم الاجتماعي.

TW/ @Rabe3_elkotob

قرية كريهة مليئة بشباب صفيق وأغانٍ صاخبة تأتي من كل صوب. لم يحبها إبراهيم منذ أول يوم قضاه بها، وإن اضطر التردد عليها خاصة كلما كان قرار السفر عائليًا ومتوافقًا مع بعض الأصدقاء.

- مش هاطوّل يا بسمة.. هما يومين.. هاقرا فيهم المشاركات بسرعة.. كلمت سيد امبارح عشان ينضف الشاليه ويجهزه.. وهاسافر بكره..

- ماشي يا حُبِّي.. have fun...

انطلقت بسمة لإلحاق الأولاد للمدرسة قبل أن تلحق هي الأخرى بجدول أعمالها.. فرغ المنزل به واستمتع إبراهيم بالهدوء الذي غلّفه. أخذ حمامًا ساخنًا طويلاً لم يرغب في إنهائه فعليًا إلا بعد أن أصبحت كثافة البخار المحيط به خانقة. ارتدى ثيابًا منزلية مريحة وانطلق لغرفة مكتبه. نظر لأكوام المراسلات المتكدِّسة بها في سعادة قبل أن يخطف عينيه ذلك الكتاب الملقى في بهو الفيلا..

«الحفرة»..

كيف نسيه؟!..

انطلق إليه وحمله عائدًا لغرفة مكتبه..

ثم أشعل سيجارًا كوبيًا غاص عبر دخانه لعوالم تلك الرواية الكابوسية..

TW/@Rabe3_elkotob

الفصل السابع

خرج كريم من سيارته وهرع إلى لبنك، لم يكن يذكر آخر مرة تأخر بها على عمله. لن يعفيه إنهاكه المتواصل طوال الشهور الماضية من تعليق سخيف يلقي به أستاذ هشام ويبتسم لسماعه بعض المغفلين من حولهما. أفاق من شروده على صراخ مفاجيء أتى من خلفه. استدار إليه كريم مذعورًا محاوِلاً استبيان الأمر، ليجد عم عبده يصيح به بأعلى صوته:

- إيه يا باشا.. ما حضَّنتهاش كويس ليه؟

انفجر به كريم وهو يستكمل ارتداء سترته:

- بقولك إيه وحياة أبوك مش نقصاك خالص النهاردة.. حل عن نافوخي دلوقتي.. بلاش الحبتين بتوع كل يوم دول.. مش بتاخد إتاوتك يا عم أنت.. يبقى تنقطنا بسكاتك بقى..

فغر العجوز فاه محاوِلاً استيعاب ما الذي ألقى به من عبارات اليوم استحق بسببها هذه الثورة العارمة. غادره كريم قبل أن يفيق من ذهوله وتوجه للبنك في سرعة. لم يرد على ترحاب زملائه اليوم سوى بغمغمات مبهمة مقتضبة سريعة. لم يقوَ على مجاراتهم اليوم بتلك المظاهر الاجتماعية السخيفة. بدت له أكثر زيفًا من أن يستطيع احتمالها. شعر بها كعبءٍ ثقيل رغب في التخلص منه بأسرع وقت. دلف لمكتبه سريعًا مخبرًا شذى في اقتضاب: القهوة

- بلاك ولا بمبيِّض يا فندم؟

أجابها في احتداد: يعني بقالك سنتين معايا، وكل يوم هتسأليني السؤال دا..

TW/ @Rabe3_elkotob

- ما حضرتك اللي بتشربها ساعات كدا وساعات كدا..

- يا ستِّي خلصي، هاتي أي زفت أشربه وخلاص..

قَدَمت لمكتبه بعد دقائق تجر قدميها وتضع فنجان القهوة أمامه، متحاشية النظر إليه، قبل أن تغادره في صمتٍ تام..

- هاتعملي فيلم بقا؟

نظر لكوب القهوة الحالك أمامه قبل أن يضيف:

- وكمان جايباهالي بلاك..

قلَّب المراسلات الملقاة على المكتب أمامه من دون فكرة عما يتوجب عليه فعله بها. بدت له اليوم مثل جبل شاهق لن يجدي معه شيءٌ نفعًا. انقضَّ عليه هلع بالغ.. كيف سيمضي يومه أو ينجز أي شيء به وهو فاقد القدرة على التركيز من قبل أن يبدأ حتى؟ سيكتشف الجميع اليوم أكذوبة تمكُّنه الشديد من عمله، سيعرف مديروه قدر ما به من افتعال.. حاول جاهدًا الإمساك بزمام نفسه. أخذ نفسًا عميقًا وأرخى رابطة عنقه. شعر بها اليوم تخنقه، بدت له كطوق كلب أصرَّ صاحبه على إلباسه إياه لإثبات ملكيته. أخبره مديروه قديمًا أن ارتداءها ضروري لإبراز حُسن مظهر الموظفين، لكنه أيقن اليوم أن سبب ارتدائها هو تذكيره وجميع الموظفين يوميًا بقدرتهم على التحكم بهم وإخضاعهم.

ولِمَ لا، وقد ملكوا حياته في مقابل توفير نفقاته الشهرية ومنحه عنوانًا وظيفيًا فخمًا حمله كارته الخاص في فخر بحروف بارزة. بإمكان البنك أن يشترط على موظفيه ارتداء بدلة رقص إن أراد، وسيكون في الأغلب أول المستجيبين له، معللاً لنفسه حينها أنه يقوم فقط بمتطلباته الوظيفية.

هتف بنفسه: مش هتنجز حاجة كدا.. اتمالك أعصابك.. التوتر دا كله نتيجة أرق ليلة امبارح...هيروح أول ما تنام.

مشِّي بس النهاردة بأقل قدر من الخسائر..

TW/ @Rabe3_elkotob

الفصل الثامن

راقب كريم التحرك الأخير لعقرب الدقائق بالساعة أمامه الذي أعلن إليه أن الخامسة مساءً قد حلت أخيرًا.. لقد نجح، مرَّ يومه بسلام. بل أفضل، لقد كان يومه رائعًا. صحيح أنه لم ينجز به أي شيء بخصوص العمل، سوى بالادعاء بقيامه بشيء هام ما، ولكن ما فعله به حقًا لربما كان أهم ما قام به منذ سنين.

لقد كتب. حلَّ عليه ذلك الطوفان من الإبداع ثانية، واستسلم له كريم سريعًا من دون القدرة أو الرغبة حتى في تأجيل الاستجابة له. وعندما انتهى من تدوين ما يعصف بعقله، ألقى بنظرة عليه ليكتشف - في دهشة - كمًّا لم يملك تصديقه من الصفحات. تحسسها في فخر قبل أن يضمها إليه ويحملها مغادرًا البنك. تمنى لو أن مديره صدَّق أن انشغاله كان بشأن العمل، وأن تمثيليته لم تكن فجة مكشوفة للجميع. وإن كان في الحقيقة لم يكترث لهذا كثيرًا.

كان منهكًا، أراد فقط العودة لمنزله أو بالأحرى لسريره بأسرع ما يمكن. نغصت عليه فورًا ذكريات مشاجرة ليله الأمس. اللعنة، لن يقوى على تطييب خاطر ياسمين، ليس اليوم. لن يعتذر، لن يدعوها للخروج أو لتناول العشاء، لن ينظر إليها في حنانٍ جارف، لن يتناقش معها، لن يفعل أيًا من هذا.. فلتذهب للجحيم إن لم تقدِّر إنهاكه..

وصل لشقته يجر ساقيه ويحلم بلحظة لقائهما للسرير،

TW/@Rabe3_elkotob

ليجد ياسمين في استقباله تنظر إليه في ترقب.

ردَّ عليها بنظرة خاوية، قبل أن يخبرها في وهن:

- أنا تعبان جدًّا.. شكلي خدت دور برد.. أنا هادخل أنام شوية..

تركها متوجهًا لغرفة نومه. خلع بها ثيابه وتركها تنسال عنه أرضًا قبل أن يتمدد بسريره، مستهلكاً بفعله هذه آخر ما بقى لديه من طاقة. أغمض جفنيه محاوِلاً استعادة أحداث يومه، بلا جدوى. رفض عقله المنهك إخباره بأكثر مما ظل يردده إليه طوال الساعات الماضية.

عايز أنام.. عايز أنام؟ عايز أنام! عايز أنام.. عايز أنام.. عايز أنـ.....

TW/@Rabe3_elkotob

الفصل التاسع

أفاق كريم مذعورًا، لم يكن قد نام لأكثر من ساعة. زالت دهشته لبحل محلها غضب عارم فور إدراكه لما أوقظه؛ كان صياح ابنه الذي بستكمل حربه الكونية بالغرفة المجاورة..

عمر، اللعين..

سيقتله..

هو يزحف الآن خارج سريره، متوجهًا لتلك الغرفة التي يأتي منها صوته السخيف، ليشنقه.. سيقذف به بعرض الحائط مرات ومرات حتى يدرك عمر فداحة خطأه ويتوسل الغفران.. سيلقي بعدها بالتلفاز فوقه ويراقبه وهو يصعقه ويشتم رائحة لحمه وهو يتفحم.. بعدها سيا..

ما هذا؟ ما الذي أصابك؟!!

لم تتمكن هذه التساؤلات سوى أن توقف سيل تلك الصور المريضة عنه، من دون أدنى تأثير على ما ملأه من غضب. اقتحم غرفة المعيشة صائحًا بابنه:

- في ناس نايمة جوًا يا حيوان..

هل سبَّه من قبل... لا يذكر.. لا يعتقد هذا.. ولكن لا يهم..

فلكل شيء بداية.. ونهاية كذلك.. وهو لم يعد يحتمل هذا الهراء..

هرع عمر مفزوعًا لياسمين التي كانت تتصفح مجلة ما.

TW/@Rabe3_elkotob

وقف بجانبها مذهولاً يحاول الاحتماء بها بينما سقطت المجلة من بين يديها أرضا.

لم يتلقَّ كريم منهما ردًا، على الأقل لم يكن كلاميًا. نظرا إليه فقط في هول، وكأنه مختلٌ ما لا يستوعبان منطقه أو سلوكه. لتنهي ياسمين تسمر الجميع فجأة، وتنهض حاملة عمر متوجهة لغرفة نومها. ليسمع كريم بعد لحظات صوت باب الغرفة وقد صفعته من خلفها، معلنة بذلك استمرار حظر تجواله بها. ليبدأ بتلك اللحظة فقط عقل كريم بالعمل، وليدرك به متأخرًا فداحة ما قام به، وأن أي محاولة له لتجاهل ما حدث والعودة للنوم صار شيئًا مستحيلاً.. أحداث الأمس تتكرر بحذافيرها.. شعر بقسوة العقوبات السيزيفية وهو يعيش نفس مصير ليلة الأمس ثانية، آخر ما يود تكراره من أيام. تلك العقوبات العبقرية التي لا يهم قدر ما بها من عذاب، فمصدر قسوتها هو أنها لا تنتهي أبدًا. مثلها في هذا مثل مشاهدة ذلك التلفاز العقيم ثانية في انتظار أن يباغته النوم.

لن يرتكب خطأ الأمس. لن تمتد يده لذلك الكتاب اللعين ثانية، مهما استبد به الملل. حمله من باب الاحتياط وألقى به في درج مكتبه، قبل أن يعود لغرفة المعيشة ويتمدد على أريكتها في حسم.

سينام، حتى لو أخبره عقله باستحالة ذلك. سيغمض عينيه حتى يتيقن عقله ألا أمامه فعل شيء سوى العثورعلى وسيلة للنوم أيًا كانت، سيجبره على التخلي عن وعيه حتى ولو بالملل. نهض قبل الالتزام بتنفيذ ما انتواه وتوجه للحمَّام، مستبقًا بهذا لحظة متوقَّعة ستأتيه لاحقًا حين تنادي عليه مثانته قبيل نومه مباشرة لتخبره بحاجتها الماسة للارتخاء. أفرغ محتوياتها ثم اغتسل، لتذكِّره المرآة أمامه بما قرأه ليلة الأمس..

كيف نسي أحداث تلك الرواية.. الحمَّام.. المرآة.. الوحش.. لا بأس بها حقًا.. ترى هل قرأ ذلك بالأمس حقًا، أم أن ذلك كان ما كتبه

TW/@Rabe3_elkotob

اليوم بمكتبه. هل هذه هي أحداث الرواية التي قضت على نومه ليلة الأمس أم أنها نبؤة لما سيحدث حالاً؛ لأن ذلك الوحش المختبىء خلف صورته بالمرآة سينقض عليه، فورًا.. أبصر في هول صورته وهى تتخلى من تقليده، اتخذ انعكاسه بالمرآة جانبًا من جوانبها مسندًا ظهره عليها قبل أن يرمقه بثبات في غضب و..

يتوجه إليه..

انتفض كريم في عنف وصرخ بكل ما ملك من قوة..

TW/@Rabe3_elkotob

الفصل العاشر

أفاق كريم من سباته ليجد نفسه بالحمَّام، يستند على الحوض أمامه وهو يلهث ويرتعد. أدرك في صعوبة، بعد لحظات ارتباك طويلة، أنه قد غفل عليه دون أن يدري. نظر للمرآة أمامه محاوِلاً التأكد أن ما رآه بها كان كابوسا حقًا، ليأتي الحمَّام أشد ظلمة من أن يمكنه من فعل ذلك.

ألم يشعل نور الحمَّام قبل أن يدخله منذ قليل..

اهرب..

اهرب..

اهرب وارتمِ بأحضان زوجتك.

اهرب بعيدًا عن ذلك الكابوس.

اهرب واعتذر لها، عَلَّها تحميك.

استولى بعض المنطق على ذهنه الملتاع طاردًا منه تلك الخرافات. أشعل نور الحمَّام وهدأ قليلاً وهو يتأمل صورته بالمرآة في تحدٍّ، ساخرًا من خياله الطفولي الذي تمكن منه منذ لحظات. ابتسم لها في خبث، ليسره تلقي ذات الابتسامة. استدار عنها قبل أن ينقض عليها ثانية، يواجهها وقد ملأه شعور عارم بالنصر لإذلاله.. ذلك الطفل الملتاع داخله. لم يخجل من القيام بكل ما أتى بباله من سخافات. فمنذ أقل من دقيقة، كاد قلبه أن يتوقف عن النبض من الرعب..

رمق صورته بالمرآة في كبرياء، شاعرًا بقدرته على الاستمتاع بنصره هذا للأبد، مثل الشجرتين.. مثل ماذا؟ لم يعِ معنى هذا. هرولت تلك

TW/@Rabe3_elkotob

المكرة بذهنه بسرعة هائلة، فاقت حتى إدراكه لها. حاول استرجاعها مرارًا من دون جدوى، ليقطع لحظة انتصاره هذه المرة كابوس جديد. لم يتمكن من الاستيقاظ منه.. هذه المرة، لأنه ببساطة لم يكن نائمًا.. كان صوت منبهه، يرن بالغرفة المجاورة، معلنًا إليه أن الليل قد انقضى.. ثانية.. أي جنون هذا؟! ما الذي يحدث؟!! هل ظل يرمق انعكاسه بالمرآة طوال الليل؟!!!

وقبل أن يجيب على أي من تلك التساؤلات، لمحه بجواره..

الوحش..

يقف بمدخل الحمَّام..

يراقبه..

في صمت..

استدار إليه في هلع، ليجد ياسمين، واقفة بباب الحمَّام وهي ترمقه في برودٍ، تخبره ببرودٍ أكبر:

- إيه خلاص اتجننت.. بقالك ساعة بتبص لنفسك في المراية.. إيه؟ اكتشفت انك عجزت؟

استدار للمرآة باحثًا عما تعنيه بقولها، ليكتشف في هولٍ كم كانت محقة. بدا بالفعل وقد هرم أعوامًا عديدة في ليلة وضحاها بعد أن ظهرت اثار ذلك الجبل الشاهق من الإجهاد بملامحه. كان ذلك هو ما برر به لنفسه ما يراه بالمرآة أمامه، وإن بقي الأسوأ من دون تفسير..

فقد بدا بالفعل وقد جن، تدلت من أسفل جفنيه أكياس سوداء ثقيلة، وبدت نظراته زائغة شاردة تعلن في ثقة أن صاحبها لم يعد يعي حقيقة ما يحدث حوله. ذلك كان ما يحمله إليه انعكاس وجهه بالمرأة الذي كان يبتسم إليه في سخرية وكبرياء منذ لحظات.

تسمر للحظات محاوِلاً إدراك ما يتوجب عليه فعله. بحث عن أي رد

TW/@Rabe3_elkotob

فعل طبيعي يحول دون أن تقوم ياسمين بالاتصال بمستشفى الأمراض العقلية فورًا.. أي شيء يقاوم به ما ظل عقله يخبره بأنه رد الفعل الوحيد المتاح له الآن، الصراخ من دون توقف.. عله يستيقظ من هذا الكابوس.

أطرق برأسه أرضًا ناظرًا لقدميه في خجل، متحاشيا أن تلتقي أعينهما. لم يكن يعتقد أن بمقدوره إخفاء جنونه عنها أكثر من هذا، فهو لم يعد مستترًا لهذه الدرجة. نظرة واحدة من عينيه إليها ستفضحه وتصرح لها بعمق ما أصاب عقله من هذيان. نظراته المتوسلة إليها بمدِّ يد العون وانتشاله من هذا الكابوس ستعلن إليها - مبدئيًا - أنه لم يعد يحيا بذات العالم الذي تحيا هي به. إن استطاع التلفظ أخيرًا بأي شيء فسيخونه صوته كذلك، ستكشفه نبراته الطفولية المرتجفه الملتاعة.

شعر برغبة عارمة في الابتعاد عن نظراتها المتفحصة المرتابة. مر بجوارها في وهن في دون أن يبادلها أي كلمة. سألته في قلق صادق:

- إيه يا كريم مالك؟ تعبان بجد ولا إيه؟

لم يرد..

لن يرد.. لن يرد..

توجه لغرفته وارتدى ما طالته يداه من ثياب دون اكتراث قبل أن يغادرها أو يغادرهما أو يغادره..

يختلف الضمير أعلاه بحسب ما إذا كان المقصود به هو زوجته أم عائلته أم منزله.. أو عقله.. وفور أن استقل سيارته اتصل بمديره خشية أن يعدل عن قراره إن أعاد التفكير به.

- آلو.. أيوة يا فندم.. هممم.. أنا.. آسف.. مش هقدر اجي النهاردة.. اصلي تعبان شوية..

- ألف سلامة يا كريم.. بس انت عارف، النهاردة مهم.. ممكن تضغط على نفسك شوية.. انت عارف النهاردة المفروض اننا هنراجع الـ...

TW/@Rabe3_elkotob

هل أغلق الهاتف بوجه مديره؟!.. لا يعتقد.

وإن كان لا يمكنه أن يجزم..

قاد سيارته من دون فكرة إلى أين يتوجه بها. لفت انتباهه الكتاب الملقى علي الكرسي بجواره. لم يكن يذكر إحضاره. شعر به يتحداه، ليقبل كريم التحدي على الفور. سيقضي اليوم بصحبته إذن، لا بد من له معرفة نهاية ذلك الكابوس، أيًا كانت شاكلتها.

ركَنَ سيارته أمام كافيه لم يدرِ كيف وصل إليه. شعرَ بالدهشة فور دخوله، لم يتخيل أن يصبح مزدحمًا هكذا في تلك الساعة المبكرة من اليوم. امتلأ الكافيه بمجموعات صغيرة انتشرت على طاولاته المتباعدة واستطاع كريم تخمين طبيعتها في يسرٍ. فهذه المجموعة هي لقاء عمل غير رسمي، وهؤلاء موظفون فاشلون يتناولون جرعتهم اليومية من الكافيين ليتمكنوا من بِدء عملهم متأخرين، وهؤلاء طلبة يتبادلون الضحكات البلهاء بعد أن تسللوا هاربين من محاضرتهم بحثًا عن أي تسلية، وهذان عاشقان بدآ عملهما مبكرًا بسبب حظر تجوال صارم مفروض على الفتاة من قِبَل والدها.

عالم بأكمله لم يأتِ على أدنى قدر من الاحتكاك به منذ سنوات، حتى نسى وجوده. كيف اعتقد إمكانية كتابته لأى شيء حقًا وقد نسى أي سبيل للحياة سوى الانغراق في العمل. وعلى الرغم من العالم المزدحم من حوله، شعر كريم بوحدة قاتلة.. أدرك عمقها مع سماعه لضحكة صافية أطلقتها إحدى زبائن المقهى. لم يتمكن من استيعابها. كيف يمكن لتلك البلهاء أن تضحك هكذا، بأطراف كابوسه المروِّع. شعر وكأنه يسبح في فضاء مظلم وحده مدركًا في يأس استحالة أن يتفهَّم أحد ما هو به الآن.

سينعته الجميع بالجنون، كالعادة.. أليس ذلك هو الحل الأسهل دومًا لوصف كل ما هو مختلف.. واحد فقط لن يفعل.. لذلك سيرتمي بين

TW/@Rabe3_elkotob

ذراعيه.. حتى وإن كان هو من أتى عليه بكل هذا.. الكتاب.. وضعه على المنضدة أمامه في حرص، في خنوع. وقبل أن يهم بفتحه انتابه قلق مريع تجاه أمر ما. شيء ما لم يكن ليظنه ممكنًا حتى الأمس، ولكنه اليوم لا يمكنه الجزم باستحالة أي شيء حقًا. استجاب لما أتى به وسواسه القهري من أفكار حتى وإن أدرك لا معقوليتها. نادى على النادل أمامه طالبًا منه قدحًا من القهوة الدوبل قبل أن يرمي إليه بسبب ندائه له حقًا.

- هممم.. بعد إذنك يا جميل.. اسمك إيه؟

- إبراهيم..

بالطبع.. ولمَ لا.. ما الذي عناه بهذا؟!.. لا يدري..

هل توقع اسمه قبل سماعه؟ لماذا؟ وكيف؟

وقف إبراهيم أمامه في صمت، ينتظر معرفة ما يرغب في طلبه.

- بص يا جميل، أنا ورايا شغل كتير، وساعات بنسى نفسي.. ممكن تنبهني لما الساعة تيجي خمسة؟

نظر إليه إبراهيم في بلاهة، محاوِلاً استبيان ما إذا الزبون الجالس أمامه يمازحه أو يعبث به..

- أنبِّه حضرتك لما الساعة تبقى خمسة المغرب؟

- آه.. لو سمحت..

نظَرَ إبراهيم لساعته محاوِلاً بذلك إفهامه في أدب ما كان يدركه كريم جيدًا؛ وهو أن الساعة الآن الثامنة صباحًا. وأمام وجه كريم الجامد استعاد إبراهيم حرفيته سريعًا عازفًا عن إغضاب أول زبون له.

- تحت أمرك يا فندم..

قالها قبل أن ينصرف عنه سريعًا. ومع اطمئنان كريم للإجراءات الوقائية التي قام بترتيبها، فتح الكتاب أمامه.

ليعبر لذلك الجحيم الذي قصَّه عليه..

TW/ @Rabe3_elkotob

TW/ @Rabe3_elkotob

الفصل الثالث

توقفتُ عن الركض مدركًا - في هول- أنه لا مفر.

توقفتُ وبداخلي جزء يتمنى أن تصل إليَّ مخالب ما يزحف خلفي، لينتهي هذا الكابوس.

توقفتُ مدركًا أن ما يأتي خلفي لم يكن الأسوأ، وأن ما أنا به الآن يمكنه أن يسوء أكثر من ذلك بكثير.

توقفتُ مدركًا لأول مرة أنني ربما أكون بالجحيم..

لا أعتقد إن بإمكاني وصف ما كنت أراه أمامي، الكلمات لم تُوضَع لوصف هذا القُبح.. اعتقدت عند انفتاح الباب أنني نجوت، لأنني أسكن بمنطقة مزدحمة..فكرة ساذجة أخرى اختزنتها واتبعتها دون سؤال أو تفكير؛ وهي أن نجاتي تكمن بوجودي وسط الناس.. وسط الأغلبية. وكأن العذاب أو الألم لن يأتيك أنت وألف شخص مجتمعين.. وكأن الموت بحاجة للتركيز على شخص لقنصه، وأن الألاف منهم إنما هو تشتيت لا قِبَل له به.. حاولَتْ الزلازل والبراكين وحوادث الطائرات والكوارث الطبيعية الأخرى سابقًا توضيح خطأ هذا الاعتقاد، لكن غبائي وجبني أبيا أن أستوعب.. أليست تلك هي القواعد التي نعرفها جميعًا منذ صغرنا، وهي أن الوحوش والأشباح لا تأتي إليك إلا إذا كنت وحيدًا..

والحقيقة أن ما يزحف خلفي - ذلك الوحش- لم يخالف تلك

TW/ @Rabe3_elkotob

ا مالبد تمامًا.. لكنه بدلاً من أن يختفي الآن أو يهرب بعيدًا، أخفى الناس ... حولي. أخفى العالم الذي كنت أتوقع رؤيته عبر باب منزلي.. أخفى ا، جود كله..أو ربما كان ما قام به حقًا هو أنه أخفاني معه لهذا الجحيم، .الطبع، هذا أسهل. لا بد أنه اصطحبني إلى حيث نشأ، من حيث جاء..

لم أرَ على مرمى بصري سوى ظلام و فراغ مرعبين. صحراء سوداء امتدت أرضها الحالكة لتلاقي سمائها المظلمة بالأفق بعيدًا في مشهد مهيب. كنت أبذل مجهودًا رهيبًا لأتمكن من اجتراع الهواء الذي ازداد ثقلاً مع كل نفس.. أطرقت برأسي للسماء لأبصر ذلك البدر الذي وسطها، يتهشم أمام عينيّ الذاهلتين وتمتد به شروخ عميقة غاضبة لتحطمه لقطع صغيرة وصوت هدير غاضب يملأ الدنيا.. رأيت بالأفق شجرتين.. جافتين مغطتين بالأشواك.. تتصارعان في عنفٍ وتتشابك فروعهما في غضب ويتلوى جذعهما في هستيريا.. استطاعت إحداهما اقتلاع الأخرى من جذورها. حَمَلَتها عاليًا قبل أن تطرحها أرضًا مُرجفة الأرض من تحتي.. كان كل شيء يكره، كل شيء يتألم، على الرغم من عدم وجود أي شيء..

لن أركض لهذا الجحيم.. لن ألقي بنفسي وسط ذلك الكابوس.. إن ما يزحف خلفي الآن ليس أكثر رهبة من مجرد السير على تلك الأرض الجافة المتشققة الممتدة أمامي إلى الأبد.. وبمجرد لمسْ أنامله لمؤخرة عنقي، تغيَّرت قناعتي على الفور.. لو كان ما لمسني هو مخالب حادة أعتقد أنني كنت سأظل واقفًا جامدًا مدركًا أنني سأستريح قريبًا.. ولكن ما لمسني كانت أنامل باردة جافة قديمة كالدهر، أنامل قاسية مقززة تخبرني أن صاحبها لم يكن آدمي على الإطلاق.. لم أفكر وأنا أركض لذلك الكابوس الممتد أمامي إلى الأبد، مدركًا على الفور خطأ اختياري، ومن أنني سأكرر ما فعلته حتى لو عدت لتلك اللحظة آلاف وآلاف من المرات.. لأنه لم يكن اختيارًا.. كان رد فعل لن أملك

TW/@Rabe3_elkotob

إيقافه أبدًا، لن يمكنني اعتياد ملامسة شيء كهذا أبدًا، مهما تكرر الأمر.. كان شيئًا لا يفترض بي إدراكه عوضًا عن لمسه.. كان شيئًا لا يمكنني مقاومة الاشمئزاز منه، مهما استعددت له.. شيء يأكل روحي بأطراف أنامله.

ركضتُ خارجًا تاركًا منزلي وعالمي من خلفي مدركا أنني لم أفعل إلا ما أراد، وأنه سيظل خلفي يلاحقني طويلاً، بعد أن خرجت من بيتي وعالمي وأقحمت نفسي بعالمه. لحظة كريهة، لا أدري كيف كان بإمكاني تجنُّبها.. لآذن في تلك اللحظة ببداية اثنين وخمسين عامًا من العذاب، دون أن تعود حياتي لما كانت عليه أبدًا. ودون أن أرى ذلك العالم أو تلك الحياة التي تعتقد أنت الآن أنهما أمر مسلَّم به ثانية وأنهما الاحتمال الوحيد للوجود، وأنهما باقيتان لاحتضانك إلى الأبد.. كم أنت ساذج..

سأثبت لك هذا يومًا..

أنت أو أي شخص آخر أقابله، بعد خروجي من هذا الكابوس..

مهما توسلت إلى أيها الحـ..

كفى..

لأتمالك نفسي..

لأعد وأقص عليك بتفاصيل ذلك الكابوس الذي تقرأ عنه الآن وكأنه شيء خيالي بعيد..

ركضت لهذا العالم الكريه. الأرض تتشقق من تحتي في عنف، كأنما لا تطيق وجودي عليها. وحينما استدرت إليه وجدته يبتسم في نشوة، في جنون، في انتصار.يتبعني في هدوء، دون أن أسبقه كثيرًا ودون أن تزيد المسافة بيننا أبدًا.. أرتمي على الأرض فجأة وبدأ في الزحف خلفي، يتلوى وينعصر كأنما يتقطع. دودة عملاقة ذات وجه نسخ من ملامحي، وأطراف آدمية اختارت إلا تستخدمها زحفت خلفي وازدادت اقترابًا. استدرت

TW/ @Rabe3_elkotob

أمامي ثانية بعد أن أتاني صوت هائل مخيف..

كنت أمرُّ بجوار الشجرتين المتصارعتين، كانت المنتصرة ما تزال تحمل الأخرى من أسفلها وتطرحها في عنفٍ ثانية محدثة دويّ هائل في كل مرة، ارتجف له الوجود كله من حولي..

ركضت في رعب أحاول انتزع الهواء الذي ازداد ثقلاً حتى وددت لو أنني أستطيع التوقف عنه.بالطبع لم أفعل، إذ كان ضروريًا لاستكمال ركضي..

ركضت حتى تمزقت قدمي ونزفت وتقرَّحت طويلاً، دون أن أقوى على التوقف لحظة.

ركضت مُحطمًا أي احتمال في أن تشفى قدمي يومًا.. ركضت وكل خطوة لي فوق تلك الأرض الجافة تمزق قدمي إربًا بلا رحمة، راسمًا بدمائها مساري فوق تلك الأرض العفنة.. تنفصل عنها قطع صغيرة كلما خطوت بها – حافيًا – على تلك الصخور الحادة كالسكاكين التي انغرست بها ومزقت منها ما شاءت إلى أشلاء.

أتركها ورائي وسط بِركة صغيرة من الدماء مُعلنًا بها أنني من هنا مررت.. نظرت ورائي فلَم أتمكن من رؤية منزلي أو الشجرتين مدركًا بهذا أنني أركض منذ فترة طويلة.. وأن هذا العالم قد خلا من أي شيء يمكنني به الاستدلال على الزمن أو الاتجاهات.. أرض سوداء تمتد إلى الأبد في كل اتجاه.. أنين ساقي المتزايد هو فقط ما يخبرني أن زمنًا ليس بالقصير قد مضى على هاهنا، زمن لم أتمكن من الاستدلال على مداه بهذا المكان ذي الملامح الثابتة الكريهة التي لا تتغير.

أحتى الزمن هنا أستدل عليه بالألم؟! أي مكان هذا؟!

تذكرت ساعتي..

لم أكن قد تخلصت منها قبل الخروج لهذا الكابوس..

TW/@Rabe3_elkotob

نظرت إليها متوسلاً أن تقتل هواجسي وتخبرني يقينًا كم مضى عليّ بهذا العالم.

عقاربها تتحرك.. أول ما يقفز ببالي هو معلومة سخيفة تذكرتها من إعلانها المميَّز:

- إنها تعمل بحركة اهتزاز المعصم، لن تحتاج لبطاريات ثانية، أبدًا..

المعلومة التالية التي اقتحمت عقلي هي معلومة سخيفة أيضًا، ومخيفة.. ارتجفت لإدركها في عنف وقطعة أخرى من قدمي تودعني..

أنا أركض منذ ثمانية أيام..

ومع إدراكي لهذا توقفتُ ثانية..

توقفتُ بعد أن اعتقدت أنني بلغت قاع الجحيم وأنه لا أسوأ مما أنا به الآن..

توقفتُ بعد أن أيقنت أنني سأشيخ وأموت راكضًا فارًّا من ذلك الشيء الزاحف خلفي إلى الأبد..

توقفتُ مدركًا سذاجتي..

لم أتوقف لأن قدميّ تستجدياني فِعل ذلك..

أو لأنني أدركت أنه لا فرق بين الليل والنهار وسط هذا الكابوس، وإن بإمكاني الركض هكذا إلى الأبد.. بل توقفت لأنه لم يعد بإمكاني عمليًا الاستمرار بالجري..

لأنه ببساطة لم يعد أمامي أرض أركض عليها..

توقفت لأنني وصلت للنهاية..

نهاية الوجود..

TW/@Rabe3_elkotob

الفصل الخامس

اكتشف إبراهيم مع انطلاق رنين الهاتف بجانبه عدد ما مرَّ عليه من ساعات وهو يقرأ. كانت سارة، سكرتيرة رئيس تحرير المجلة التي يكتب بها مقالته الأسبوعية. ضغط على زِر تلقي الاتصال ليخرج صوته مبحوحًا: إحممم.. آلو أيوة يا سارة.. ازيك؟

- كله تمام يا باشا.. أنا بس بافكر حضرتك بميعاد إرسال المقالة.. حضرتك اتأخرت علينا الشهر دا والطباعة خلاص بعد بكرة..

- آه...معلش نسيت خالص.. هخل..

بتر جملته فجأة وقد أدرك ما يتوجب عليه فعله فورًا.

- بقولك إيه يا سارة.. حوليني لأدهم ضروري.. عايز أكلمه..

أدهم عوني كان رئيس تحرير تلك المجلة، الشاكر دومًا لإبراهيم استمرار كتابته بها، مدركًا أن مواظبته تلك هي أقرب للتطوع بل وربما الإحسان، واعتبره معروفًا شخصيًا لما له من تأثير على مبيعات المجلة وإعلاناتها. ولذلك كان لا بد أن تستحيل العلاقة بينهما مع مرور الأعوام إلى ما هي عليه حقًا، ليتعامل إبراهيم بالنهاية مع أدهم كأنه موظف لديه..

- حالاً يا باشا..

انطلقت النغمة المميزة المعلِنة قيام سارة بتحويل المكالمة، ليأتيه بعد لحظات صوت أدهم: آلو..

- أيوة، أدهم بيه.. ازيك، د/ إبراهيم فؤاد معاك..

TW/@Rabe3_elkotob

- أهلاً يا باشا ازيك؟؟

إن لم ينتفض أدهم واقفًا وهو يلقيها، فبالتأكيد اصطنع نبراتها بنجاح تام يوحي أنه قد فعل..

- خير يا باشا.. أؤمرني.. إيه سر الفرصة العظيمة دي؟

- بص يا أدهم أنا عايز اغير فكرة المقالات بتاعتي..

- ليه يا باشا بعد الشر.. ما الدنيا زي الفل والمقالات مكسرة الدنيا..

- ما التانية دي هتكسر الدنيا برضه.. معلش يا أدهم خليك معايا.. أنا زهقت من جو المقالات القديمة دي.. عايزين شوية تغيير.. ويا سيدي ما تقلقش لو الجديدة دي ما كسرتش الدنيا، نبقى نرجع ساعتها للمقالات القديمة..

صمت للحظات، ساعحًا لأدهم إدراك أن ما يخبره به ليس طلبًا.

أتاه صوت أدهم مترددًا: ماشي.. اللي أنت شايفة يا باشا.. هتغيَّر اسم الباب ولا المحتوى بس؟

- هنسمّيه الحفرة.. هابعتلك المقالة حالاً.. سلام..

أغلق إبراهيم الهاتف قبل أن يتلقى المزيد من تساؤلاته السخيفة، وإن تفهم في يسر سر تردده. لم يكن بمقدور أدهم أن يتخيل نجاحًا أكبر من ذلك الذي تحققه مقالات إبراهيم الحالية.. لا بأس.. مقالتان أو ثلاث على الأكثر وسيعرف بعدها أنه قد اتخذ القرار الصائب.. أو بالأصح أنه قد وافق على قرار إبراهيم الصائب.. ابتسم إبراهيم وفتح حاسوبه المحمول أمامه، قبل أن ينكبَّ عليه ويكتب في حماس لم يختبره منذ فترة طويلة..

TW/@Rabe3_elkotob

الحفرة
المقالة الأولى

أتوقع اندهاشك عزيزي القارىء عند اطلاعك على تلك المقالة، بل وربما سخطك أيضًا. أخشى جَم ما أخشى أن يكون رد فعلك بعد قراءة بعض من سطورها هو الصراخ حانقًا:

- ما هذا الهراء؟ وما الذي حدث؟

لذا أرجو منك أن تتيح لي الفرصة لأشرح لك ما حدث حقًّا..

ما حدث أولاً كان رغبتي في كتابة رواية جديدة، رواية واقعية. يقوم فيها بطلي بما يفترض لأي بطل فعله، وهو التصرف بطبيعية..

لتتوالى بعد ذلك فصول الرواية التي جاءت مملة حقًّا، تخبرك كيف حصل بطلنا على تلك الوظيفة أو ذلك المنزل، على تلك الزوجة أو السيارة، على ذلك الحيوان الأليف أو ذلك الطفل، آملا أن يكون قد حصل بذلك على حياة.. ما حدث لاحقًا كان إصابة بطل روايتنا بملل بالغ. حاول كثيرًا إيجاد سبب أو تفسير له، دون جدوى.

خاصة بعد أن عجزت كل الحلول المطروحة أمامه عن جعْلِه أفضل حالاً لأكثر من مجرد بضع صفحات.. تخبره باقي شخصيات روايته أن الذهاب للمقهى يعد حلاً لا بأس به.

انظر أيضًا: القيام برحلة بحرية..

انظر أيضًا: السفر لشرم الشيخ، للإسكندرية، لباريس ثم هاواي..

وكأنه مطارد، أو وكأنه يحاول مراوغة الملل.

أو وكأن ذلك الثقل الهائل الذي يشعر به سيغادره عند بوابات أي منتجع سياحي.. يخبروه بأن يجرب الذهاب للسينما أو لحديقة الحيوان.

TW/ @Rabe3_elkotob

انظر أيضًا: يخبروه بأن يذهب في ستين داهية بقى.

وبعد اختبار بطلنا لكل تلك الحلول، يعود لحالته المزاجية المعتادة سريعًا.. تعريف حالة بطلنا المزاجية المعتادة هي: الغضب، الإجهاد الذهني والاكتئاب.

انظر أيضًا: الصداع.

انظر أيضًا: الضجر.

أخبرتك، رواية مملة، لا شيء يحدث بها حقًا.

ما حدث تاليًا كان شرود بطلنا، من منزله لمكان عمله، من أماكن يفترض أن يمرح بها لسريره، من العين السخنة لهاواي، يهيم بها جميعًا وقد امتلأ بضجر هائل بعد أن ملّ بطلنا التردد على تلك الأماكن والتصرف طِبقًا للقواعد التي تمليها عليه..بعضها يشترط عليه ارتدائه بذلة رسمية. تشترط أخرى اصطحابه لامرأة كونها مخصصة للـ couples فقط، أماكن بـ minimum charge، مكتبات يفترض أن يبقى بها صامتًا، كليات لا تسمح بالالتحاق بها إلا بعد الحصول على مجموع يزيد على تسع وتسعون بالمئة في الثانوية العامة، أندية تفرض اشتراكًا سنويًا قدره تسعون ألف دولار، مستشفيات تشترط تشخيصًا بالجنون للإقامة بها، شركات تشترط جلوسه على كرسي من التاسعة صباحًا وحتى الخامسة مساءً خمسة أيام أسبوعيًا ليتمكن من فعل ما ترغب به باليومين الباقيين..

ما حدث تاليًا كان فقدان بطل روايتنا للأمل في إيجاد أي وسيلة لتغيير ما أصابه.

وبحلول الفصل الثلاثين من روايتنا يكون بطلنا مصابًا بالملل معظم الوقت، بعد أن أكتشف أن حصوله على تلك الوظيفة وذلك المنزل وتلك الزوجة أو الهواية أو السيارة لم يعنِ مطلقًا حصوله على حياة. بل إنه في أغلب الأوقات - إن لم يكن حريصًا للغاية- سيعني حصوله عليهم فقدانه لحياته بمرحلة ما.. ليبدأ بطلنا مع إدراكه لهذا في كره عمله ومنزله

TW/ @Rabe3_elkotob

ومصيفه وهاواي وبالنهاية نفسه.. بعد أن أصابه فعل نفس الشيء كل يوم بغضب بالغ.. انظر أيضًا: يصيبه بجنون بالغ.

انظر أيضًا: بملل بالغ.

ما حدث تاليًا كان إصابة بطلنا بخوف عميق، خوف الهائل من اختزال وصفه بروايته في كلمة واحدة يمكنها وحدها من وصفه للقارىء بكل دقة.

كلمة مثل « كان طبيبًا».

لتقرأها أنت عزيزي القارىء هازًا رأسك في حكمة وقد أدركت بالفعل كل تفاصيل حياته.

وقد تصورت كل ساعة حياها، وتخيلت مسبقًا كل ما رغب بتحقيقه ومدى استمتاعه بحياته.. إن أخبرتك بموديل سيارته، فستعرف على الفور مستواه الاجتماعي.. إن أخبرتك عن عمره عند الوفاة، فستقص عليَّ من دون شك بكل عاداته السيئة. وإن وصفت لك وجه أبويه، ستعلم يقينا مدى شعبيته مع النساء.. ثباته الانفعالي هو مجرد حقيقة أخرى ستدركها فور إلمامك بندوب جسده. وإن أخبرتك أخيرًا عن ديانته، فستقول لي بكل ثقة إن كان بالجنة أم لا..

بحلول الفصل الخامس والأربعين من روايتنا، يدرك بطلنا أخيرًا كم كانت اختياراته بها محدودة، بافتراض أنه امتلك أيًا منها من الأساس.

المشكلة أن إدراكه لهذا لا يغيِّر من مصيره شيئًا.. فمحاولة كسْره لتلك القواعد، محاولة تجنبه لأي من تلك النماذج المقولبة قد شاع بكل الروايات الأخرى حتى أضحى محاولة الاختلاف شيئًا تقليديًا يفعله الجميع.. كل ما ستجنيه عليه تلك المحاولة هو إضافة لقب آخر لوصفه بالرواية. فلو أنه، في محاولة لتحقيق هذا ابتاع يختًا، يتحول وصفه بالرواية من «كان طبيبا» إلى «كان طبيبًا ناجحًا».. لو أنه فَصلَ رأس مريضه بفعل الملل، يستحيل وصفه بالرواية إلى «كان طبيبًا مجنونًا»..

TW/@Rabe3_elkotob

لو حصل على سيارة رياضية بعد أن هرم كثيرًا على قيادتها يصبح وصفه «كان طبيبًا يعاني من أزمة منتصف العمر».. لن يستطيع بطلنا أبدًا أن يكون بهذا القدرمن الاختلاف.. لا يمكنه أن يكون بهذا القدر من من الإبداع مهما حاول.. لن يستطيع مفاجئتنا أو القيام بشيء أعجز عن وصفه لك أو تعجز أنت عن استيعابه.. أيًا كان ما سيفعله، فقد تمَّ اكتشافه وتسميته وتصنيفه وتقليده مسبقًا بشتى أرجاء العالم.. أيًا كان ما سيفعله، فلدينا اسم مسبق له..

أخبرتك، رواية مملة، لا شيء يحدث بها حقًّا..

وبحلول الفصل السابع والثمانين من روايتنا يضحى كل ما يملك بطلنا فعله هو المضي قدمًا، الفصل الواحد تلو الآخر، بلا هدف، بلا أحداث.. لا أدري كيف أعتقد في إمكانية حصوله على نهاية رائعة بفصلها الأخير.. كيف آتي إليه بها وسط ذلك الهراء الذي استمر بفعله بكل سطر من سطورها.. وبالرغم من اقتراب روايتنا من نهايتها، لا يجد بطلنا ما يقوم به سوى الاستمرار في اجتراع الملل، جالسًا مكانه، فاعلاً لا شيء، مهدرًا ما بقى له من صفحات..

انظر أيضًا: قائمًا بوظيفته.

انظر أيضًا: راسمًا لوحة.

انظر أيضا: محاوِلاً إيجاد علاج للسرطان.

انظر أيضًا: قارئًا رواية..

أي شيء..

أي شيء يحول دون إيجاده لحلٍّ حقيقي، أي شيء يجنِّبه إدراك أنه قد أهدار حياته برواية سخيفة سمجة.

ما يحدث أخيرًا هو ألا فكرة لديك عما أتحدث عنه..

إبراهيم فؤاد

TW/@Rabe3_elkotob

الفصل السادس

عادت بسمة بصحبة الأولاد للمنزل قبل انتهاء إبراهيم من مقالته. لم يقترب أيهم من غرفة مكتبه طوال الساعات التي تطلبه انتهائه منها. سنوات معاشرته كانت قد أوضحت لهم الفرق بين قيامه بعزلة اختيارية للقراءة وبين فرض حظر تجوال تام بغرفة مكتبه لإبداعه شيء ما. علامات بسيطة حفظوها جميعًا بمرور الوقت وأطاعوها في حب واحترام، كغلقِه باب غرفته بدلاً من مواربته، ونقله لماكينة القهوة بدلاً من التردد عليها بالمطبخ وأخيرا تسلل رائحة التبغ الكثيف من غرفته.

خرج إليهم بعد ساعات مبتسمًا، معلنًا أنه قد فرغ ليقضي معهم تاليا ما بقى من ساعات المساء. وفي صباح اليوم التالي سافر للصومعة، حاملاً بعض المشاركات التي اختارها عشوائيًا بصحبة ذلك الكتاب الذي لم يفرغ منه بعد. ودَّع عائلته الصغيرة وقبَّلهم جميعًا قبل أن يخرج متحمسًا كالعادة.

لم يكن لأحدهم أن يتخيل أنه لن يعود إليهم بعد يومين كما وعدهم.

الواقع أنه لن يعد إليهم أبدًا.. فمن عاد إليهم بعد ضعف تلك المدة حاملاً نفس اسمه وملامحه، لم يكن يمتّ بأي صِلة لذلك الذي غادرهم توًّا، إلا من بعض الذكريات المشتركة..

فور أن وصل إبراهيم للصومعة، فتح أبواب الشُرفة على مصراعيها. وقف بمنتصفها يتأمل المشهد المترامي أمامه في رضا.

TW/ @Rabe3_elkotob

امتدت مئات الأشجار أمامه لتلاقي البحر الفيروزي الهادىء والذي عانق بدوره الأفُق المخضَّب بحُمرة الشروق.

أخذ نفسًا عميقًا وملأ به صدره، مستمتعا بهواء البحر المالح الذي استطاع الفتك فورًا بأثار رحلته القصيرة. كان الطقس رطبًا قليلاً، ولكن لم يضايقه ذلك بتاتًا. كان يعشق طقس الساحل بكل تفاصيله. جلس مسترخيا على الكرسي الذي توسَّط الشُرفة قبل أن يشعل غليونه. «غليون الإبداع» كما يحب أن يطلق عليه، ذلك المتروك في الصومعة دومًا ليعلن إبراهيم عبر دخانه إتمام مغادرته لعالم المدينة الممل والإيذان بدخوله عالم رواياته.

نهض بعد أن استكفى عقله بما امتصه من نيكوتين وعينه بما أبصرت من جمال لداخل الشاليه، أفرغ محتويات حقيبتيه قبل أن يتوجه مباشرة لما أتى من أجله. أمسك بالرواية بين يديه، وانتقل في يسرٍ لذلك لعالم الكئيب الكامن بين سطورها..

TW/@Rabe3_elkotob

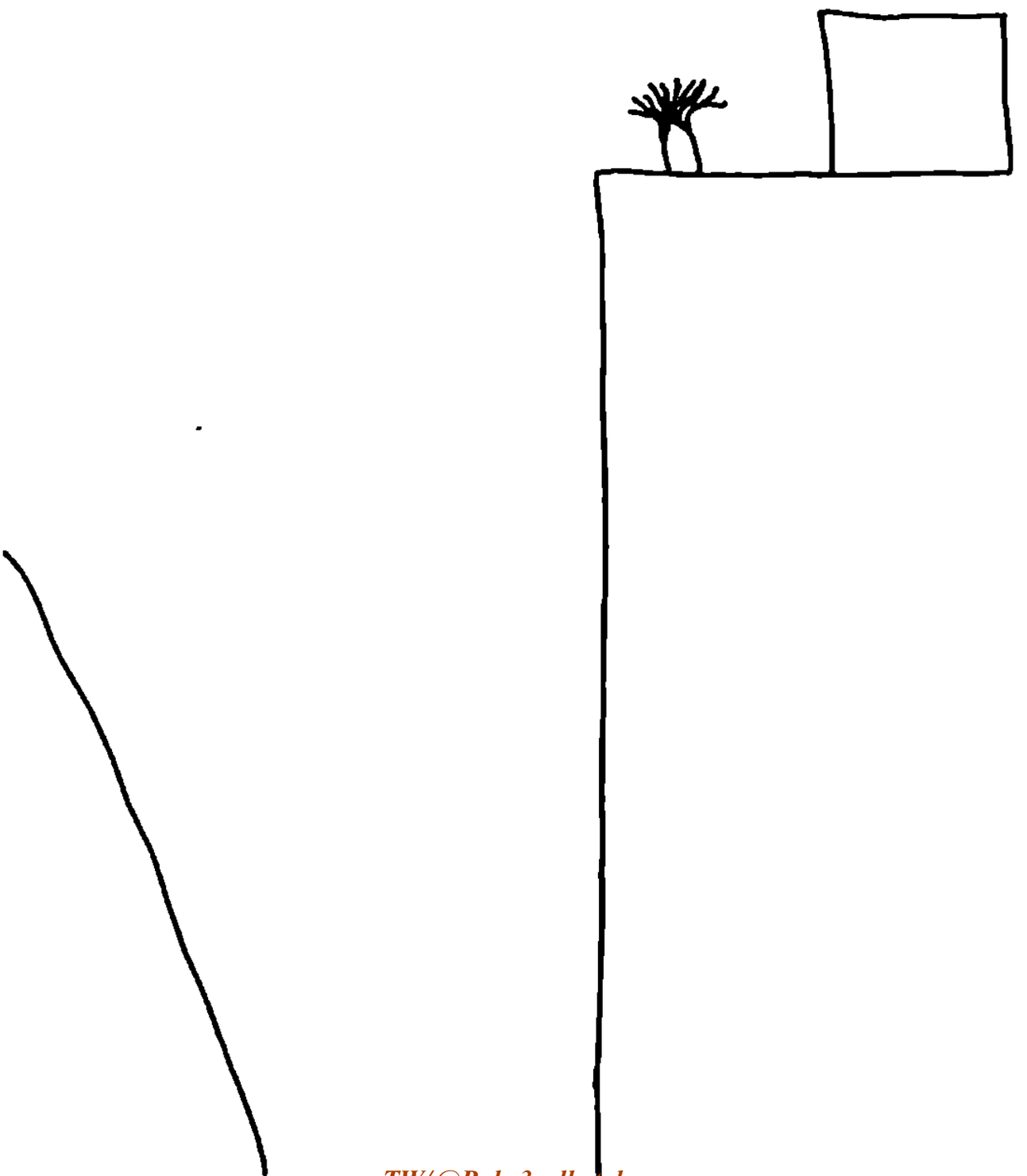

TW/ @Rabe3_elkotob

الفصل الرابع

انتهت الأرض من تحتي وتوقف امتداد السماء من فوقي وانعدم الكون كله أمامي عند حافة حادة كئيبة هوت إلى الأبد.. نهاية لوحة مقيتة لعالم كريه ما تعداها لم يرسم بعد.. هنا يعلن الكون نهايته..

مرحبًا بكم في الجحيم..

أبصرت بعيني الذاهلتين ذلك الخط المستقيم الذي امتد على جانبي للأبد، راسمًا حدود الوجود.. ما سبقه عالم كئيب أركض به منذ أيام وما تلاه فراغ هائل امتد أمامي وتحتي إلى ما لا نهاية.. وتحت ضوء القمر المستمر بالتشقق الغاضب، وقفت وحيدًا أنظر لحافة العالم.. حافة صخرية امتدت إلى الأبد، لا يقابلها على الجانب الآخر شيءٌ سوى العدم.. نظرت للأسفل محاوِلاً تبيُّن عمق الهاوية دون جدوى.

وبالرغم من إبصاري داخلها لمسافة ليست بالقليلة، لم أتبين قاعها..

سمعت أنفاس ذلك الشيء الزاحف خلفي تقترب، متلاحقة متحشرجة يضحك بين طياتها في جنون..

هل أقفز؟

إلى أين سأهوى؟

ما الذي سأجده بالأسفل؟

ماذا لو لم أمتّ؟ ماذا الذي سأجده بقاعِ حفرة بالجحيم؟؟

TW/@Rabe3_elkotob

هل أصل لقاع تلك الهاوية حيًّا أم يسعفني حظي وأموت مُرتطمًا وينتهي هذا الكابوس إلى الأبد؟..

ما الذي يعيش ويزحف بقاع تلك الهاوية ولا يجب عليَّ إدراكه؟

انتهت تساؤلاتي وترددي بمجدر ملامسته لي ثانية..

لأتأكد ثانية من أنني لا أملك أي اختيار، وأن دخولي لهذا العالم لم يكن هروبًا ولم يكن هيستيرية ولم يكن حتى خطئًا، لأنه لم يكن اختيارًا..

لأنني ببساطة فعلت ذلك ثانية..

قفزت..

قفزت لهذا العالم الكئيب الكامن تحتي الذي لا أملك تخيُّله.

قفزت لذلك العالم الذي ينتظرني في سكونٍ وترقُّب منذ الأبد..

قفزت هربًا من النفور الذي ملأني عند لمس ذلك المسخ لي..

قفزت وكل ما أتمناه هو ارتطام عنيف يمزق جسدي لأشلاء..

قفزت متمنيًا نهاية، أي نهاية لما أنا به، دون أن أدرك كم كنت ساذجًا إلا بعد اثنين وخمسين عامًا من العذاب.. لأنه لا أمل هاهنا..

قفزت لأعماق هاوية ملَّت منذ قرون من انتظار فريسة تلاقي ما أعدت لها من أهوال وكوابيس..

سقطت بسرعة مخيفة ارتمي لها رأسي للخلف في عنف، محدِثًا قعقعة مخيفة بعنقي..

وقبل أن أهوي مبتعدًا، أمسك ذلك الشيء الكريه بذراعي، وبدأ بجذبي للأعلى.. إليه..

كأنما يأبى أن أهرب منه، حتى وإن كان ذلك بداخل كابوس آخر..

شعرت بذراعي يحترق ويصرخ مستنجدًا الإفلات من قبضته.

TW/@Rabe3_elkotob

ازدادت الحافة اقترابًا مع استكمال جذبه لي..

صرخت منتفضًا أحاول الإفلات مما -لا- أتخيل حدوثه، إن أمسك بي ذلك الشيء..

قاومته محاوِلاً سحب ذراعي من بين مخالبه بكل ما أوتيت من قوة، مستميتًا للخلاص..

حتى نجحت..

أفلتُّ من قبضته وبدأت في السقوط ثانية، لأعماق حفرتي..

صرخ هو بالأعلى في يأس وكأنما فقد معنى وجوده..

زئير هائل ارتجفت لسماعه وردد صداه هدير القمر المتشقق بالأعلى..

أصوات ابتعدت عني سريعًا، وأنا أهوي بعيدًا عنها..

صارخًا مثلهما في يأس..

TW/@Rabe3_elkotob

الفصل الحادي عشر

- يا فندم؟

TW/@Rabe3_elkotob

الفصل الخامس

لم أتمكن من اعتياد الشعور بالسقوط أبدًا.. قلبي ما زال ينخلع، وفقداني للقدرة على التنفس كما هو..

غياب معنى الاتجاهات، الاحساس الكئيب بانعدام الأرض من تحتي، الدوَّار الرهيب الذي يهشم رأسي بمطرقته، محاولاتي البائسة للتمسك بأي شيء، كل ذلك لم يتوقف لحظة، ودون أن أملك التعبير عن رفضي له، سوى بالصراخ.. ولذلك لم أتوقف عنه لحظة، حتى وأنا أمزق به حنجرتي شيئًا فشيئًا..تأكدت بعد فترة مما كنت قد لمحته منذ أيام، ورفضت تصديقه عندئذ.. أبصرت في وضوح ذلك الجدار المقابل لذلك الذي قفزت منه، مدركًا بذلك - متأخرًا - أن ما قفزت به لم يكن هاوية بل حفرة، عجزت عن رؤية كامل محيطها عند فوهتها بالأعلى، ولم أستطع إبصار بَرها الآخر عند -ما اعتقدت- أنه نهاية الكون..

لأكتشف الآن إمكانية الركض حول فوهتها بالأعلى، من دون أن ألقي بنفسي بهذا الجحيم الجديد.. لا تعني معرفة ذلك الآن سوى المزيد من الشعور بالحنق واليأس والندم..

تضيق جدران الحفرة تدريجيًا..

ببطء، ولكن باستمرار..

تحيط بي وتقتربت منِّي مع استمرار رحلتي لأعماقها..

لتخطر ببالي فكرة مروِّعة. أتضيق هذه الحفرة يومًا حتى لا تعد تتسع

TW/@Rabe3_elkotob

لي.. هل أنحَشِر بها بتلك السرعة الهائلة التي أهوي بها، لأبقى محبوس بها إلى الأبد، لا املك الصعود أو الهبوط..

هل يأتي على يوم أتمنى فيه لو أهوي من جديد؟

ازداد صراخي في رعب وأنا أتخيل هذا المشهد الذي لم أدري كيف أتحاشاه.

حاولت التشبث بأى شيء في يأس مرات ومرات، محاوِلاً تجنُّب ذلك المصير الكئيب الذي تخيلته والذي لم أدري كيف يمكنني تجنُّبه، لأصطدم بجدران الحفرة في قسوة وتتجرح ذراعي وقدمي ورأسي جراء التحامها بتلك الصخور الحادة التي نهشت جميع أنحاء جسدي لتمزق منه ما شاءت، متى أرادت أن تذكرني

بأنني لا أملك من الأمر شيئًا هاهنا.

وأن آلامي يمكنها التكاثر بأي لحظة، متى قررَّت هي فِعْل ذلك..

TW/@Rabe3_elkotob

- يا فندم

- يا أستاذ

TW/@Rabe3_elkotob

نظرت لجروحي أراقب دمائي التي سالت منها لتهوى بجانبي، يصاحبني لأعماق تلك الحفرة..

أبصر صوتي الآن بشكل فاق كثيرًا قدرتي على سماعه، فأنا لا أصرخ الآن سوى دماءً.. بعد أن فقد صوتي أي نبرة آدمية جراء تمزُّق حنجرتي تمامًا واستحال لفحيح شياطين.. كل ذلك بعد أربعة أسابيع فقط من السقوط والصراخ المتواصل..

تقيأت في عنف للمرة الألف بفعل ذلك الدوار الهائل المستمر في الفتك برأسي، مكررًا بذلك رفضي لاحتمال المزيد. أراقبه -قيئي- الذي يسيل عنه أي أثر لبواقي طعام والذي انطلق من معدة نافرة ليلطّخ وجهي ويحرق عينيّ، يهوى بجانبي، مختلطًا بدمائي، يصاحبني لأعماق تلك الحفرة.. تخبرني ساعتي أنني أهوي الآن منذ شهرين..

ما زلت أصرخ كلما وجدت لدي القدرة على فعل ذلك، لأضيف لذلك بعض الدماء المتناثرة من حولي.. أفقد وعيي لفترات لم أعد أعلم مداها. أفيق منها صارخًا جراء اصطدامي بصخور انغرست بجسدي لتمزق منه قطعة أخرى تطاير بجانبه.

تكسرت أطرافي في عدة مواضع، وبرزت عظامي واضحة خارج العديد منها.. كل ذلك جراء إصراري على التشبث بأي شيء.. توقفتُ عن محاولاتي تلك، لم أعد أستطيع التمسك بذلك الأمل. لم أعد أستطيع احتمال المزيد من الألم.. خاصة بعد أن تمزقت يدي تمامًا وفقدت القدرة على الإمساك بأي شيء.

بدت لي الآن أشبه بمخلبيّ وحش، تخبرني في صرامة أن أي محاولة أخرى للتمسك بأي شيء سيفقدني إياها حتمًا. أستجيب لأوامرها صاغرًا مستسلمًا خانعًا، أنتظر ملاقاة نهاية ما أنا به.. ما أهوي إليه..

TW/@Rabe3_elkotob

يتطلبني البقاء واعيًا المزيد والمزيد من المجهود، أحارب ذلك الظلام الدامس الذي اشتاق عقلي الاستسلام له والذي أخذ يستجديني الانصياع له. أحاول مقاومته بصعوبة مرتعدًا من تلك الاصطدامات المروِّعة التي أفيق عليها، ليذكِّرني عقلي في غضب بكل تلك الصخور التي لم ألمحها إلا متأخرًا واصطدمت بها وأنا مستيقظ واعٍ. يسألني في سخرية: ما فائدة إدراكك إذن!

تمر عليَّ ساعات طويلة أحاول فيها تذكر من أنا؟ ما كان اسمي؟ ماذا كنت أفعل قبل بداية هذا الكابوس؟ كيف كنت أبدو؟

لا شيء يرد ببالي..

لا أثر لأي ذِكرى قبل رحلة سقوطي بتلك الحفرة..

لا معنى لأي شيء سوى كمّ الصخور التي ارتطمت بها..

لا أفكار ترد بعقلي سوى توسُّله المستمر بانتهاء هذا الكابوس..

لا شيء أفهمه سوى أنني أهوي الآن منذ ثلاثة أعوام..

كل شيء آخر هو أمر لا أستوعبه..

أجاهد كثيرًا لتذكُّر بعض الأسماء..

ذلك السائل الأحمر اللزج المتناثر من حولي، الذي يسيل من جروحي، ما اسمه؟ أحقًا يُطلَق عليه اسم دم؟ أم أنني اخترعت ذلك الأسم توًّا؟

أكرر تلك الكلمة، محاوِلاً تذكُّرها..

دم، دم ، دم ، دم، دم، دم ، دم ، دم، دم، دم ، دم، دم، دم ، دم لا أعلم..

لا أعتقد أنها كلمة حقيقية، لا بد أنني اخترعتها توًّا..

بدا لي واضحا الآن أن اسمه الحقيقي هو «نتتصيياةلثقا»...

لا بأس، لا بد أنني نسيت ذلك من جراء تلك الاصطدامات..

TW/@Rabe3_elkotob

الفصل السادس

- يا أستاذ

- يا أستاااااذ

سافر كريم عبر عوالم وأكوان كاملة محاوِلاً العثور على مصدر ذلك الصوت. مرت عليه قرون حاول بها الاهتداء لذلك العالم الذي غادره فديمًا ولم يعد بإمكانه الاستدلال عليه سوى بمصدر ذلك الصوت السخيف الذي نادي عليه بالحاح. عثر عليه أخيرا، ليقى بنظرة شاردة على مصدره.. هو بالمقهى.. هو كريم رامز.. العام هو ٢٠١٤.. إبراهيم نادل المقهى- واقف أمامه يتأمله في قلق ويهزه برفق.. بما كان يردّ به البشر في ذلك المكان والزمان ليعلنوا استجابتهم لمن يناديهم؟

- أيوة..

هل كان ذلك هو صوته حقًّا..

لا يدري..

لم يشعر بالألفة تجاهه بتاتًا، بدا وكأنه صوت شخص آخر يخرج من حلقه. كرر الكلمة ثانية، محاوِلاً التأكد من أنه من يتكلم حقًّا..

- أيوة..

- الساعة خمسة.. حضرتك..

- آه.. شكرًا..

حاول الاعتدال، محاربًا ذلك الخدر الذي احتل جسده جراء جلوسه ساعات طويلة من دون حراك. حاول تحريك أطرافه الميتة بجانبه دون جدوى..

TW/@Rabe3_elkotob

تأملها في سكون ينتظر استيعاده السيطرة عليها، راقب كوب القهوة القابع أمامه، ذلك الذي طلبه منذ أعوام مضت ولم تمتد إليه يده أو تمسه شفتاه.. نظر لإبراهيم المتسمر أمامه والذي دلت نظراته إليه أنه قد شخّص حالته العقلية من دون شك قبل أن يقطع الموقف المريب بسرعة، بكلمة واحدة، حازمة..

- الحساب..

استعاد شيئًا فشيئًا من سيطرته على أطرافه حتى تمكن أخيرًا من تحريكها قبيل عودة إبراهيم بالحساب، أخرج من محفظته بعض الأوراق المالية التي تكفلت بالإضافة لسداد سعر القهوة من تحويل بعض نظرات إبراهيم المرتابة إليه لامتنان. اعتدل حاملاً كتابه وغادر المقهى سريعًا. قاد سيارته.. توجه لمنزله.. دلف شقته.. قابل زوجته.. لقاها ببرود.. دخل غرفة مكتبه.. تفاصيل لا أهمية لها حقًا.. قام بها من دون أدنى انتباه.

هي فقط تتخلل نشاطه الأساسي، القراءة..

لا يذكر كيف حمل لياسمين قرار اعتكافه مرة أخرى بمكتبه، كيف أخبرها بأنه لا يرغب في أي مقاطعة، وبأنه جاد تمامًا هذه المرة، وبأنه لن يقبل أي من هرائها المعتاد، وأن أي خطة لديها للتلاعب بقراره هذه المرة إنما هو محض خيال ساذج لن يمر من دون حساب.. لم يعد يذكر تفاصيل كل هذا. وإن أيقن أنه لم يكن سهلاً، وأنه سيدفع ثمنه لاحقًا. شعر بإجهاد قاسٍ يفترس خلايا جسده، لكنه قاوم نداء النوم اللحوح إليه في حزم. لم يكنّ ليحتمل نتائج الاستجابة لذلك التوسل ثانية. لم يجرؤ حتى في مجرد التفكير بهذا، لن يقوى على احتمال كابوس جديد يعبث بإدراكه. النهاية الوحيدة لذلك الكابوس الذي يحيا به الآن تكمن بداخله، في الاستمرار بعبوره حتى إدراك نهايته. فلا أمل له خارجه..

عاد لقراءة تلك السطور اللعينة متوسلاً إدراك أي مخرج قريب، أي نهاية لهذا الكابوس الذي أحكم قبضته عليه. أيًا كانت شاكلتها..

TW/@Rabe3_elkotob

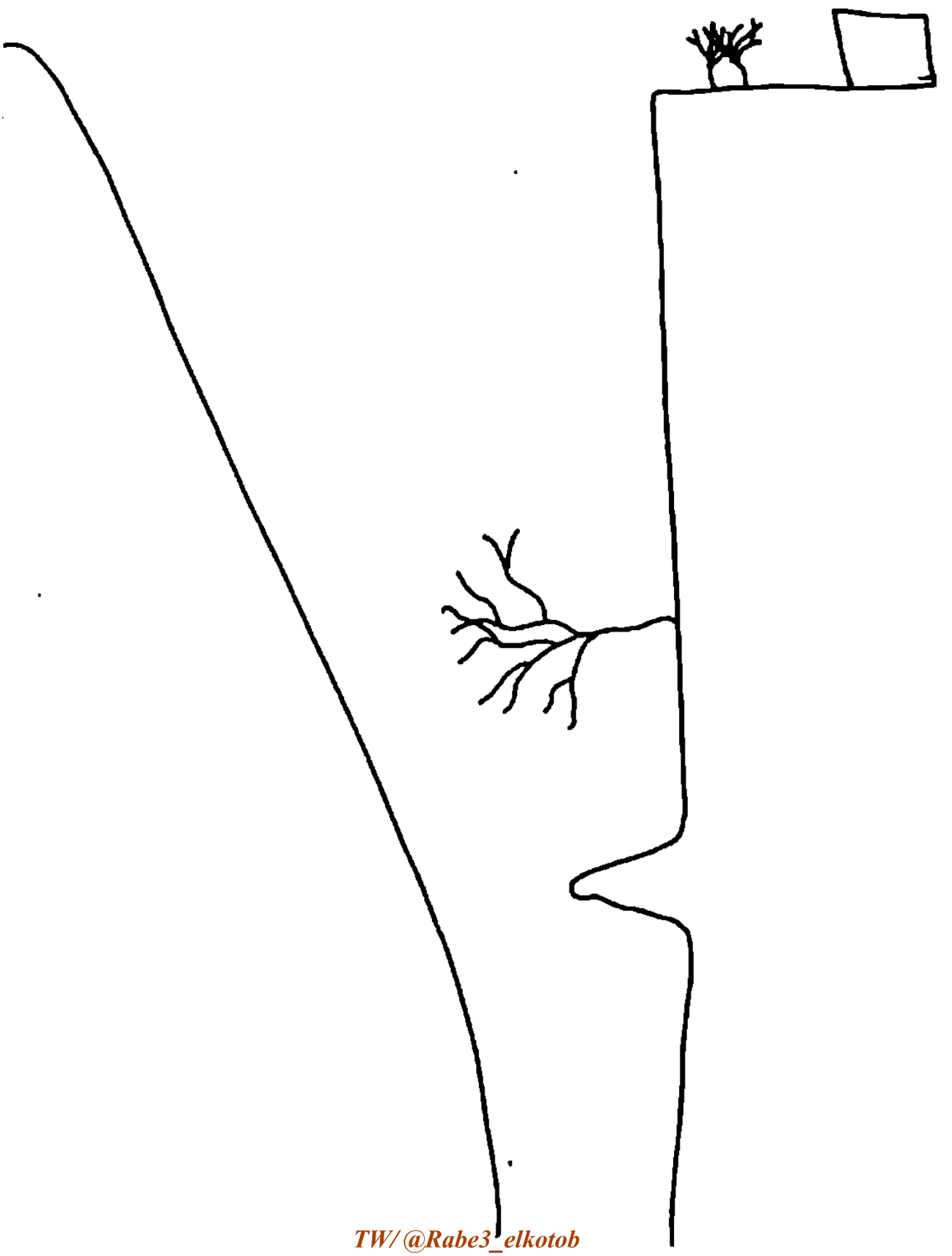

TW/ @Rabe3_elkotob

الفصل السابع

أدركت مع إبصاري للمزيد من التفاصيل حولي، أن عينيّ لن تصلحا لرؤية الضوء ثانية، بعد أن أضحتا كعينيّ الخفافيش..

كل ما ملك عقلي إخباري به هو الرد عليَّ ساخرًا:

- وأين ستجد النور ثانية يا فتى؟

تجاهلت الرد عليه.

لم يعد يستحق..

لفتَ انتباهي شيء ما، رأيته بالأسفل بعيدًا، شجرة، هائلة الحجم.. برزت من أحد جدران الحفرة، واقتربَتْ منّي بسرعة هائلة..بدت مألوفة لسبب ما لا أعلمه.. صعد جذعها للأعلى تجاهي، كأنها تناديني في شموخ أن تعال إليَّ.. آملت في إمكانية الهبوط عليها من دون الحاجة لأطراف للتمسك بها.. تخيلت إمكانية أن تحملني مخالبها - أغصانها - عن السقوط لباقي الأبد.. حاولت التوجه نحوها سريعًا، مرتعدًا من فكرة عدم لحاقي بها، ولكن عظم حجمها جعل من تجنبها أمرًا مستحيلاً، تكاد تملأ فراغ الحفرة بأكمله.. بكيت كالطفل العاجز وأنا أتوجَّه إليها، متمنيا لما تبقى من لحظات حتى بلوغها أن يصمد جذعها ويحتمل اصطدامي المروِّع بها.. احتضنتها بكل ما ملكت من قوة وبما تبقى لي من أطراف، قبل أن أصرخ في هول، بعد اكتشافي لأشواك هائلة الحجم غطت فروعها وبرزت منها في كل الاتجاهات، انغرست بكل أنحاء جسدي واخترقته..

TW/ @Rabe3_elkotob

استمر صراخي طويلاً، ورددت جدران الحفرة صداه في سعادة..

قبل أن أكمل سقوطي على الفور، من دون أن يخفف الاصطدام بتلك الشجرة - الذي استغرق لحظة واحدة - من سرعتي شيئًا.

انكسرت العديد من الأغصان الهائلة الحجم وانهارت الشجرة بأكملها لتسقط خلفي. تلاحقني، لتعدني بعذاب أكبر يومًا ما، حين أصل لقاع هذه الحفرة فتسقط فوقي.. أصرخ ثانية، مزيدًا من كم الدماء المتناثرة حولي.. متخيلاً تلك اللحظة..!

الأشواك اللعينة غطت جسدي بأكمله.. يخبرني عقلي في سخرية:

- أصبحت أشبه بالصبار..

شوكة عملاقة انغرست بعيني اليمنى وخرجت من مؤخرة رأسي بالجهة المقابلة لها، بعد أن أفقدتني الإبصار بها إلى الأبد.. يجتاحني ألم هائل كلما حاولت سحب إحدى تلك الأشواك.. فقأت عيني اليمنى في محاولة بائسة لإخراج الشوكة المغروسة بها، لأهدأ بعدها وأتوقف عن تلك المحاولات الخرقاء..

لم يعد هذا جسدًا..

أصبح خرقة..

تنبعث من جروحي رائحة عفنة تخبرني بأنني أتعفن حيًا. تذكرني بأن اصطدامي بهذه الشجرة وإن ولى منذ شهور، فإن مرورها لم يخفف من الألم شيئًا.. فقدت القدرة على التمييز بين ما تدركه حواسي وما أتخيله، أجهل الفرق بين أحداث وقعت بالفعل وبين كوابيس راودتني أثناء غيابي عن الوعي. ذكرياتي اليقينية لوصولي لقاع تلك الحفرة أكثر من مرة لا يدحضها سوى حقيقة أنني ما زلت أهوي.. راقبت في برود تلك الصخرة الهائلة التي اقتربت مني بسرعة فاقت كثيرًا اقتراب تلك الشجرة اللعينة.

TW/@Rabe3_elkotob

تساءلتُ إن كانت حقيقة أم خيالًا؟ هلاوس عقل منهك أم كابوس جديد لم أستوعبه بعد؟

كانت في حجم سفينة ضخمة، برزت من جدار الحفرة في كبرياء وامتدت أرضها الأفقية وقد بدت لي كأنها ممهدة. لم ألمح أي أشواك أو صخور بها.. سال لعابي في جنون أمام احتمالية أن تكون النهاية حقًا..

نهاية هذا الكابوس..

لا بد أنني أهذي..

لا بد أنني أتوهم..

لا يمكن أن تكون قد حلت النهاية حقًّا..

لا يمكن أن يكون ذلك حقيقيًا..

لا بد..

أن...

اصطدمت بطرف الصخرة في عنف بعد أن جذبني إليها سحب مفاجيء آخر،أتى قبيل وصولي لها بلحظات، لتهرع بفعله تلك الصخرة باتجاهي وبسرعة فاقت قدرتي على التوجه لها تمامًا.. اصطدمت بحافتها في ذهول. صدمة عنيفة أطاحت بالجانب الأيمن من رأسي، لينفصل أخيرًا ذلك الجزء الذي حمل عينًا مثقوبة عما تبقى من وجهي.. صرخت في غضب وأنا أنظر إليها بعيني المتبقية وهي تبتعد عني سريعًا بالأعلى..

تحسست ذلك الفراغ الغريب الذي ملأ الجزء الأيمن من جمجمتي، تخللته بأصابعي لامسًا أجزاء رخوة لزجة كانت يومًا ما مخي..

ليذكرني هذا الملمس، بسبب هذا الكابوس الذي أحياه..

ضمور بالعقل نجم عن اصطدام عنيف أتلف قطاعًا كبيرًا من المخ..

TW/@Rabe3_elkotob

المريض يعيش في غيبوبة تامة منذ الحادث وإن كان نشاطه الدماغي يشير إلى أنه يحلم.. كيف نسيت هذا..

هل أفيق يومًا لأجد نفسي بسرير طبي، مكتشفًا أن ما مررت به لم يكن سوى كابوس لم أستطع الاستيقاظ منه بسبب غيبوبة عميقة..

أو بمصحة نفسية وقد كبلني أحد الأطباء بحقني مهدىء ما بذراعي ليساعدني على تجاوُز هلاوسي..

أو أستيقظ مفزوعًا بغرفة نومي إثر كابوس مرعب لن أملك أن احكيه لأحد. حاولت التشبث بكل تلك الاحتمالات كثيرًا وإن نفت صراحة آلامي أي شك في واقعي المرير..

- كريم..

TW/@Rabe3_elkotob

أسقط الآن منذ ٥٢ عامًا..

وإن كنت لا أدري ما الذي يعنيه ذلك حقًّا..

فما الذي يعنيه الوقت إن توقفتُ عن إدراكه أو استيعابه، لا شيء. مجرد معلومة أخرى لا معنى لها..

مثلها مثل معلومة أن سلوفاكيا قد استقبلت ثلاثة ملايين سائحًا بالعام الماضي. شيء لا أملك استيعابه، رغم لا أستطيع معرفة ما إذا كان بالكثير أم بالقليل..

أيعني ذلك أنني اقتربت من نهايه كابوسي، أم أنني ما زلت بنقطة بدايته؟

لا أعرف..

كل ما أعرفه الآن هو أن لحظات قليلة تفصلني عن إتمام عامي الثاني والخمسين بتلك الحفرة..

لا بأس..

٥..

٤..

٣..

٢....

١........

هيييييييييييييييييييه...

TW/ @Rabe3_elkotob

كريم.

-كريم

TW/@Rabe3_elkotob

الثقب الأسود

هو منطقة في الفضاء تحوي كتلة كبيرة في حجم صغير يسمى بالحجم الحرج لهذه الكتلة، والذي عند الوصول إليه تبدأ المادة بالانضغاط تحت تأثير جاذبيتها الخاصة، ويحدث فيها انهيار من نوع خاص بفعل الجاذبية ينتج عن القوة العكسية للانفجار، حيث أن هذه القوة تضغط النجم وتجعله صغيرًا جدًا وذا جاذبية قوية خارقة. وتزداد كثافة الجسم (نتيجة تداخُل جسيمات ذراته وانعدام الفراغ البيني بين الجزيئات)، تصبح قوَّة جاذبيته قوّية إلى درجة تجذب أي جسم يمر بالقرب منه، مهما بلغت سرعته. وبالتالي يزداد كمّ المادة الموجودة في الثقب الأسود، وبحسب النظرية النسبية العامة لأينشتاين، فإن الجاذبية تقوِّس الفضاء الذي يسير الضوء فيه بشكل مستقيم بالنسبة للفراغ، وهذا يعني أن الضوء ينحرف تحت تأثير الجاذبية.في النسبية يعرَّف الثقب الأسود بصورة أدق على أنه منطقة من الزمكان ~~تمنع فيها جاذبيته كل شيء من الإفلات.. بما في ذلك الضوء، يمتص الثقب الأسود الضوء المار بجانبه بفعل الجاذبية، وهو يبدو لمن يراقبه من الخارج كأنه منطقة من العدم، إذ لا يمكن لأي إشارة أو موجة أو جسيم الإفلات من منطقة تأثيره فيبدو بذلك أسود.~~

«من كتاب فيزياء الفضاء، ص ٢٥٨»

TW/ @Rabe3_elkotob

- كريم..
- كريم..
- كريم..

TW/@Rabe3_elkotob

الفصل الثامن

تذكرت الكائنين بالأعلى، أولئك الغافلون السذَّج الذين تفصلني عنهم مسافة اثنين وخمسين عامًا من السقوط وبضعة أيام من الجري..

لا يمكنني أن أصف لك الصور التي اجتاحت رأسي بتلك اللحظة، والشارحة لتفاصيل ما سأفعله عند إمساكي بأي منهم، عيون مقلوعة وأطراف مبتورة وأشواك مغروسة وعظام مهشمة.. لوحة فنان خلَّاق يرسم تحفته..

قطَعَ سيل تلك الصور الرائعة شيء ما أتى لعقلي المهشَّم فجأة.. لحظة صحو قصيرة، تحررت بها مؤقتًا من ذلك الجنون المزمِن الذي أحكَم قبضته عليَّ، لأدرك بها شيئًا ما غيَّر منطقي وإن بدا حقيقيًا..

لا أدري لما تذكرت قوانين الفيزياء تلك الآن..

المسافة تعادل السرعة الابتدائية × الزمن + التسارع × الزمن^{٢} / ٢

إن كنت بدأت سقوطي من السرعة صفر وإن استمر سقوطي بفعل الجاذبية الأرضية (الشيء الذي أعلم يقينًا خطأه، فأنا أهوي بتسارع أكبر من هذا بكثير)، ولكن بما أنني لا أعرف غيره فليكن هو..

٩,٨ متر / الثانية^{٢}..

وإن كان زمن سقوطي هو اثنان وخمسون عامًا، وهو ما يعادل ١٦٣٩٨٧٢٠٠٠ ثانية.. فإن المسافة التي أكون قد قطعتها هي ١٣١٧٦٩٨٢٨٦٤٢٨١٦٠٠كم.. استغرقَتْ تلك الحسبة شهورًا

TW/ @Rabe3_elkotob

فليلة، أجريتها مُستعينًا بحَجَرٍ حفرت به تفاصيلها بأنحاء جسدي لأصل بالنهاية لنتيجة لن أعلم مدى صحتها أبدًا ولا أملك من العقل أو من الجسد ما يكفي لتكرارها أو للتأكد منها..

فإن المسافة التي قطعتها هي ١٣١٧٦٩٨٢٨٦٤٢٨١٦٠٠ كم..

أي ١٠٣٧٥٥٧٧٠٥٨٤٨,٩ ضعف قُطر الأرض..

إلهي أين أنا..؟!

وباستخدام معادلة السرعة النهائية والتي تعادل جذر المسافة × التسارع × ٢

فإن سُرعتي الآن هي ١٦٠٧٠٧٤٥,٦ كم في الثانية.. أي ما يعادل ٥٣ ضعف سرعة الضوء.. تلك السرعة التي أخبرنا أينشتاين الساذج عنها أنها أكبر سرعة في الكون، وأن تخطيها يعدّ مستحيلاً، وأنه ببلوغها يصبح الانتقال عبر الزمن ممكنا كما بين المسافات ذهابًا وإيابًا..

تُرى هل انتقلت للمستقبل؟.. هل أتلوَّى الآن بجحيم مُستحق لآثام كنت سأرتكبها لاحقًا؟أم أنني انتقلت من دون أن أشعر لماضٍ سحيق لبداية سقوطي بهذه الحفرة؟.. هل أعيش يومًا واحدًا من السقوط يتكرر الآن منذ اثنين وخمسين عامًا دون أن أدري؟هل أدور بحلقة مفرغة من العذاب لا أملك تحطيمها؟ لكني لم ألتقِ بتلك الصخرة أو الشجرة من جديد.. ولكن ماذا عن احتمالية انتقالي لما سبق ظهور هذه الشجرة أو بروز تلك الصخرة من جدران تلك الحفرة.. هل أزداد ابتعادًا داخل الماضي مع استمرار سقوطي.. هل أصل لبداية كل شيء، قبل وجود أي شيء عند انعدام كل شيء لأتوه بالنهاية في فراغ لم يعرف معنى الوجود أو الزمن أو الاتجاهات بعد؟!..لا أدري..

وإن ظلت جميعها احتمالات ترفض الزوال من منطق ذلك العالم المريع..

TW/@Rabe3_elkotob

- كريم
- كريم
- كريم
- كريم
- كريم
- كريم
- كريـــــــــــــــــــــــم
- عايزاااااااااااااااااا إيــــــــــــــه؟!

هل كان يردّ على نداء زوجته أم أنه كان يعلن الحرب؟

لا يدري..

هل وصل كرهه للعودة لعالمه إلى هذا الحد؟ هل أصبح من يحاول إعادته لوعيه عدوًا؟اقتلع كريم عينيه من صفحات الكتاب ليبصر ياسمين الواقفة بباب الغرفة متسمرة، نظر إليها في برود قاتل محترف. حملت بين يديها عشاءً قررت فيما يبدو إحضاره إليه، لتواجه نتيجة لذلك تلك الثورة العارمة. أفاقت من ذهولها على صراخ عمر الذي استيقظ بغرفته مفزوعًا. ألقت بما تحمله من طعام أرضًا وهرعت لطمأنته.. أخبرته عقارب الساعة بمعصمه أنها الثانية صباحًا. لم يبالِ لهذا بتاتًا، فالزمن لم يعد مهمًا، ولا النوم كذلك، ولا حتى زوجته أو ابنه الملتاع.

أراد فقط العودة لأعماق ذلك الكابوس.فهولم يعد ينتمي لأي مكان سواه..

TW/ @Rabe3_elkotob

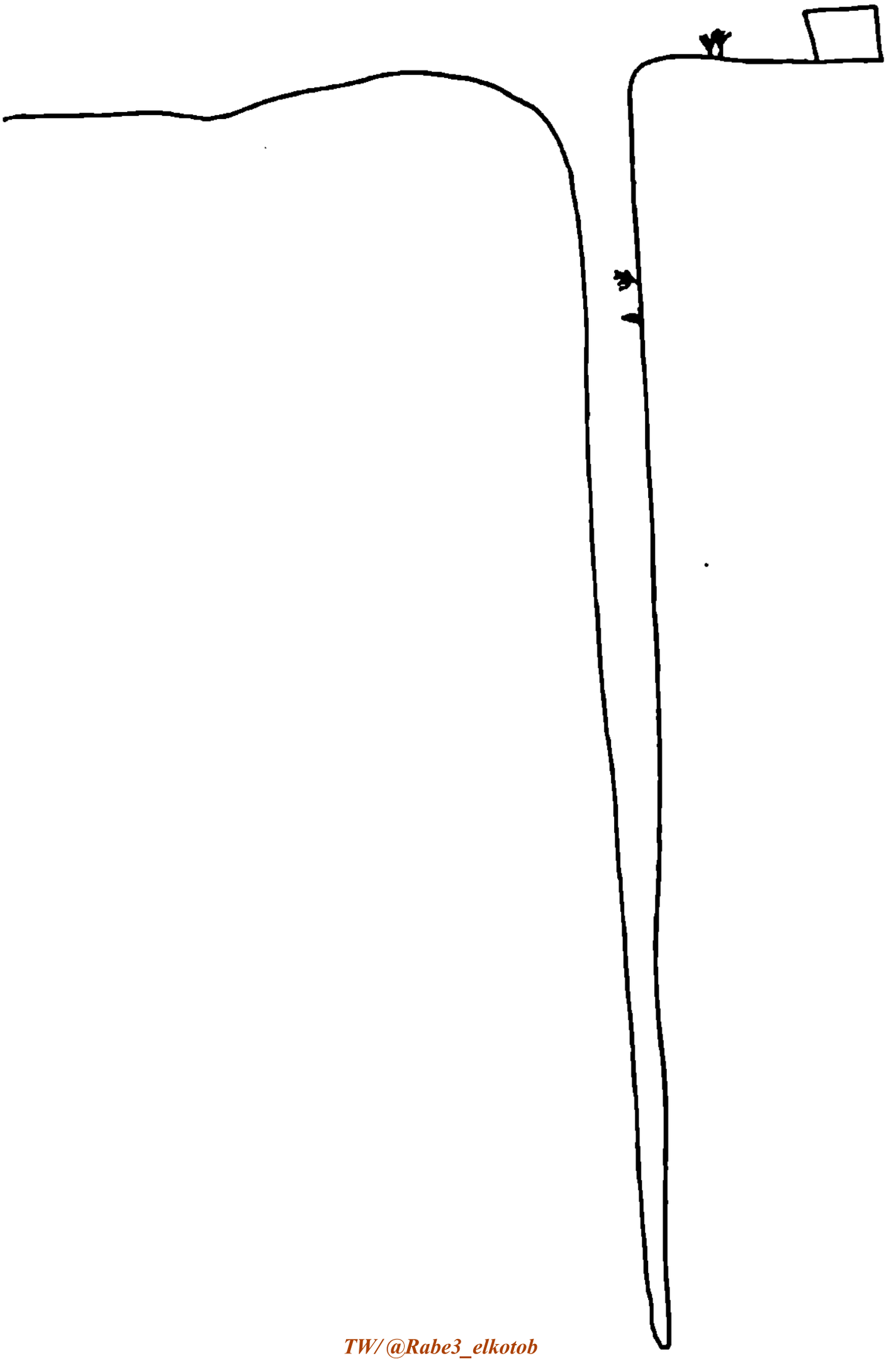

TW/ @Rabe3_elkotob

الفصل التاسع

تَسلَّل لعقلي معلومة أخرى..

معلومة لم أتمكن من إحكام قبضتي عليها، وإن شعرت بأهميتها رغم ذلك.

كلما عثرت عليها مختبئة بأحد أركان عقلي المنسية، هربت مني ثانية.

حتى تمكنت منها لتظهر ساطعة جلية.. لتطفو فوق ذلك الهراء الذي ملأ عقلي لعقود، وليتضح بإدراكها كل شيء.. لأفهم بها سر كل ما حدث وكل ما سيحدث ومعنى ما أنا به الآن.. شاهدت في ذهول أجزاء ذلك اللغز العظيم تتشابك، راسمة صورة واضحة لكابوسي العظيم.. استوعبت الأمر كله في هول..

ليس فر ولكن يا..

ليس فر ولكن يا..

ليس فر ولكن يا..

ليس فر ولكن يا..

ليس فر ولكن يا..

ليس فر ولكن..طاااااااااااااااااااااااااااااااااخ

طااخ

TW/ @Rabe3_elkotob

- كريم

- كريم

- كريم..

اللعينة تكرِّر فعلتها ثانية..

- كريم..

ألم تعِ شيئًا مما لاقته منذ لحظات..

- كريم..

كيف لها أن تكون بهذا القدر من الغباء..

- كريم..

لكنه هو الذي تساهل معها..

- كريم..

سيضربها..

- كريم..

سيجرها شعرها ويلقي بها من شرفة المنزل..

- كريم..

سيفقأ عينيها..

- كريم..

سيقتلع لسانها هذا الذي ملَّ منه..

- كريم..

سيقطع أطرافها الواحد تلو الآخر..

- كريم..

- عايزة إيه تانيييييي يا جزماااااااااااا؟!!

TW/@Rabe3_elkotob

اقتلع عينيه بصعوبة من صفحات الكتاب أمامه، ليصيبه ارتباك هائل

ما الذي أحضر زوجته للبنك؟ ولم هما بالبنك في الثانية صباحًا؟

الأكثر إرباكا كان أنَّ من فغرَ فاه أمامه غير مصدقٍ لما أتاه من رد فعل، كان أستاذ هشام، مديره. حاول جاهدًا أن يدرك أين هو، متى هو. الساعة أمامه تشير للعاشرة. الضوء المتسلل من شباك مكتبه يعلن أنها العاشرة صباحًا إذن. هو بالبنك، يرتدي ثيابًا لم يتخيل إمكانية مغادرتها للمنزل من قبل. أستاذ هشام واقف أمامه ينظر إليه في ذهول. لا أثر لياسمين.. أين ذهبت اللعينة.. شعر برغبة عارمة في تجاهل كل شيء والانغراق فيما بين يديه ثانية، منعه ظهور أولئك المغفلين بمكتبه، بعد أن جذبهم صوت زئيره في محاولة منهم لاستطلاع ما حدث. لم لا يدعه الجميع وشأنه؟ كيف لأمر كهذا أن يكون بهذ القدر من الصعوبة. أمسك بكتابه، رفعه بوجه أولئك الغزاة كأنه سلاحٌ. سيخبرهم حالا بما يصدمهم ويغير حياتهم للأبد، سيطلق في وجوههم الكريهة بحصاد حكمته.. لم يطاوعه لسانه..

- .... IIII....IIII.....

حاول إعادة الكرة، لا شيء.. مجرد همهمات مبهمة بلا معنى..غادرهم قبل أن يتمكن أي مغفل منهم من سؤاله عن سبب صراخه. فهو لم يكن يملك من الوقت ما يكفي لشق بطن أي منهم وإخراج أحشائه ردًا عليهم. اشنقوا آخر موظف بأحشاء آخر مدير.

هل صرخ في وجوههم بهذا حقًا؟!، لا يدري، ولكنه لم يعد يكترث أيضًا. قاد سيارته، عالما هذه المرة إلى أين يتوجه بها تمامًا، إلى ذلك الكافيه. بضع فصول أخرى، ويصل لنهاية هذا الكتاب، وينتهي بعدها كابوسه هذا إلى الأبد.. سيأخذ بعدها إجازة طويلة يسافر بها هو وزوجته ياسمين وابنهما عمر ليغسلوا جميعًا عناء ذلك التوتر الذي صبَّ جزءًا لا بأس به

TW/ @Rabe3_elkotob

منه عليهما. بإمكانه منذ الآن تخيُّل ذلك البحر الأزرق الصافي الذي سيستلقيان أمامه وهما يشاهدان عمر يعبث برمال الشاطىء، بلا شيء يشغل بال كريم سوى ابتكار وسائل جديدة لتدليلهما وتعويضهما. ما عكَّر صفو غوصه في أحلام يقظته تلك كان حتمية إنهائه لذلك الكتاب. فورًا.. بضع فصول أخرى، كل ما تفصله عن إدراك مصيره. لا يهم كم سيستغرق قراءتها من وقت، أيام أو أعوام. فلا بد له من إنهاء ذلك الوسواس القهري الذي تملَّك منه، خاصة بعد أن فقد أي قدرة على مقاومته.. وإن كانت الحقيقة أنه لم يعد يرغب في مقاومته كثيرًا.

وصل للكافيه وتوجه فورًا لذات المقعد الذي جلس عليه في المرة السابقة. نظر طويلاً للرجل الجالس عليه في برود، قبل أن يهمس:

- الكرسي دا بتاعي.

تأمله الرجل لوهلة قبل أن يقرر- لسبب لم يتمكن كريم من تخمينه - ترك الكرسي له. جلس به كريم قبل أن يحيي إبراهيم في فتور ويطلب منه قدحًا من القهوة، علم يقينًا أنه لن يدرك حتى لحظة وصوله. لم يطلب منه هذه المرة تنبيهه عند حلول الخامسة مساءً أو حتى عند منتصف الليل. فلم يعد أحد يسأله حقًا عن سبب تأخُّره أو حتى ينتظر عودته. حاول الجلوس في أكثر الأوضاع راحة، عالما أن وضعه هذا لن يتغير لساعات طويلة قادمة.

فتح الكتاب أمامه، لتمسّ عيناه آخر ما تركت من كلمات، كأنهما تحفظان مكانها جيدًا.

ليغوص كريم بسرعة هائلة لذلك العالم الذي افتقده.. صاحب الضمير أعلاه يعود للعالم وليس كريم..

TW/@Rabe3_elkotob

الفصل العاشر

أفتح عيني ببطء شديد، ليجتاح عقلي على الفور ألم هائل..

أغمضهما سريعًا مرة أخرى، علّه يذهب عني..

أحاوِل إعادة فتحهما، ببُطء أكبر هذه المرة، علّ الألم يغفل عن محاولتي الجديدة هذه فلا ينقضّ عليَّ. لا فائدة. تجتاح رأسي موجة أخرى من الألم، انتشرت حتى غمرت كل خلايا جسدي.. استجمعت شجاعتي محاوِلاً تحريك عنقي، متجاهلاً الألم العنيف الذي سرى به وأنا أدير رأسي ناظرًا لما حولي.. حاولت إدراك ما حدث بصعوبة.. حاولت تحريك قدمي محاوِلاً إدراك إن كانتا ما تزالان متصلتين بجسدي.. إنهما تتحركان..

هل أحاول الوقوف؟

هل تحملني؟

هل أستطيع فعل ذلك حقًا؟

الوقوف؟!!!

تأملت في ذهول الأرض الكامنة من تحتي. تحسّستها محاوِلاً التأكد من أنني لا أهلوس.. نظرت حولي في شك. أحقا ما أرى؟!

هل انتهى سقوطي بالفعل؟

أعوام طويلة لم أخبر فيها هذا الثبات أو هذا السكون..

وصلت للقاع أخيرًا..

أدركت النهاية..

TW/ @Rabe3_elkotob

كيف لم تقتلني صدمة كهذه؟!

ولماذا..؟!

اعتدلت محاربًا ذلك الألم والدوار الهائلين محاوِلاً الجلوس..

تأملت ذلك القاع الذي تمنيته وخشيته طوال اثنين وخمسين عامًا. نهاية ذلك الكابوس التي لم أرغب في تخيُّلها وإن رسمت لها رغم عني آلاف الصور. ليأتي واقعه بالنهاية كالعادة مخالفًا أبشع كوابيسي ويتعداها.. فقاع هذا الشيء الهائل الذي أهوي به منذ اثنين وخمسين عامًا يأتيني في حجم زنزانة ضيقة، تسعني بالكاد.. قاع تلك الحفرة ذات الفوهة الأوسع من أن يدركها بصري، لا تكفي لأن أتمدد بها..أنزوي بها على نفسي في يأس، شاغلاً معظم حجمها، محاوِلاً تذكُّر لحظة وصولي إليها.. لا شيء يرد ببالي..

تخبرني يداي المتيبستان أنني أقبع هاهنا من دون حراك منذ وقت ليس باليسير.. فقداني للإحساس بجروحي يشير لفقداني الوعى لأعوام طويلة، قرون ربما.. تذكرت ذلك الاصطدام الهائل الذي تمزق له جسدي وغلَّف بعده عقلي ظلامٌ دامسٌ، جاء إليه مهرولاً عبر بوابات الدوار الشاهقة. اعتقدت حينها أنه الموت.. أتذكر سعادة غامرة بنهاية لم توجد أبدًا..

أتذكر أيضًا شيئًا آخر..

شيئًا مبهمًا، شيئًا هامًا أدركته قبل اصطدامي بلحظات..

ماذا كان.. لا أذكر..

لا أثر لأي ذكريات قبل رحلة سقوطي..

كيف وصلت لهذه الحفرة.. لا أذكر..

من أنا.. لا أعلم..

بداية كل شيء عندي هو انفتاح باب أنظر منه لعالم قبيح،

TW/@Rabe3_elkotob

قبل أن أركض عبره هربًا من شيء ما يتبعني..

هذه هي لحظة ميلادي.. الذكرى الأولى لحياتي..

أتذكر الانتقام أيضًا.. من كل أولئك الذين يعيشون خارج حدود هذه الحفرة.. أولئك الذين يبتعدون عني مسافة اثنين وخمسين عامًا من السقوط ومسيرة ثمانية أيام من الجري. يتملكني اليأس من جديد..

رحلة مستحيلة.. مسافة خيالية..

لا يمكنني الصعود.. فليذهب الانتقام لخانة الخيال البغيضة..

إن استغرق سقوطي اثنين وخمسين عامًا، كم من الوقت يلزمني لتسلُّق هذه المسافة ثانية..

تذكرت أيضًا الكائن العظيم من الأشواك الذي هبط فوقي بعد اصطدامي بلحظات والتحم بي في عنف مؤذنًا ببدء غيابي عن الوعي..

أشواكه أصبحت جزءًا من جسدي الجديد، بعد أن استقرت به لقرون من دون حراك..

قرون تطلبها الخروج من غيبوبة ليست أقل عمقًا من حفرتي..

أنظر لما بقي من جسدي، أتحسس الأشواك والعظام التي برزت من كل أنحائه، ووجهي الذي تشوهت معالمه تمامًا..

شيء لا يمكن تخيُّله، ولا يمكن تصوُّره أصبح كياني..

ذلك هو جسدي الجديد، المفترض بي استخدامه للتسلُّق تجاه قمة تبتعد عني مسافة جنونية..

واهمًا كنت حين تصورت أنني سأتمكن يومًا من الانتقام..

جلست بكهفي الضيق الذي لن يكاد يسعني إن امتلأ صدري بالهواء، واحتضنت ما تبقى مني في يأس..

سأبقى هاهنا..

حتى ولو إلى الأبد..

TW/ @Rabe3_elkotob

الفصل الحادي عشر

لم أتخيل الأبد بهذا الطول..

TW/@Rabe3_elkotob

ثُقلٌ هائل لم أقوَ على احتماله أبدًا..

جلستُ سِنينًا أجاهد للبقاء وحيدًا، تشجعني فكرة أن ما أنا به الآن أهون ما مرَّ عليَّ منذ عقود.. لأصمد بفضل تلك الفكرة بضعة أعوام أخرى.. أحاول عبرها تجاهل ذلك الملل الهائل الذي يفترسني، بلا شيء أفعله سوى محاولة اختراق هذا الظلام المحيط بي وبلا رفقة سوى أفكاري الأشد منه إظلامًا.. يدفعني سكون آلامي للصمود قرنًا آخر، أستمع به لصوت الفراغ الممتد فوقي إلى الأبد يكاد يصم آذاني. صمت ثقيل يغلف كائنًا مشوهًا سجين قاع حفرته إلى الأبد.. هذه هي نهاية رحلتي.. هذا هو ما أوصلني إليه عقلي.. أهكذا يكون الموت؟ أن تبقى بوضعك ثابتا تنتظر انتهاء الأبد.. هل أملك فعل غيره.. هل أملك الصعود حقًا؟ أم أن ذلك هو خيال ساذج لعقل ميت لم يعد يعي ما هو ممكن أو منطقي..

أقسم أنني حاولت البقاء طويلاً.. مكثت بتلك الحفرة لوقت لن تتمكن أنت من استيعابه أبدًا.. حتى أيقنت أنه لم يعد بمقدوري الاستمرار أكثر من ذلك.. سأبدأ رحلة صعودي، رحلة انتقامي، حتى وإن بدت مستحيلة.. حتى وإن استغرقت دهورًا.. فأنا لم أعد أطيق البقاء هاهنا..

أقسم أيضًا إن ذلك لم يكن ذلك قرارًا.. ولكني لم أكن أملك فعل غيره.. بدأت رحلة صعود اعترض عليها عقلي في عنف صارخًا باستحالتها، تشاركه ذراعي وساقي معلنة -بلغة الألم التي لم أعد أفقه غيرها- إنها غير مسؤولة عن الإمساك بأي شيء طوال رحلة الصعود.. رحلة طويلة شاقة هي الخروج من أعماق الجحيم..

أغيب عن الوعي بشكل متزايد من فرط الألم والإجهاد، لأتشبث سريعًا بأي شيء أجده، مرتعدًا من فكرة أن أفلت فأسقط من جديد، لتستحيل تلك الفكرة - مع مرور الوقت - إلى أكبر مخاوفي..

تزداد هولاً كلما ابتعدت عن ذلك القاع..

TW/ @Rabe3_elkotob

حتى أدركت الحلَّ يومًا..

أفيق لأجد طرف صخرة مدببة مغروس بعنقي في ثبات، كأنها صديق وفي أبى أن يتركني بعد أن خارت قواي.. فعلت هذا بنفسي بعد أن استشعرت دنوّ غيابي عن الوعي، غرست نفسي بها.. فكرة رائعة تجنّبني السقوط إن أفلتُّ ذراعيّ..

لا أعتقد أن بإمكاني شرح الوقت الذي مرَّ عليَّ متسلقًا.. زمنًا يتضاءل أمامه عمر الكون.. أقاوم بكل لحظة منه فكرة القفز بإرادتي لأعماق هذا الجحيم ثانية، لأنهي بذلك رحلة تسلّق خالدة يراها عقلي عبثًا ودربًا من الجنون، راغبًا في إخراس سخريته المستمرة من محاولتي الخروج من حفرتي.. حتى نظرت للأعلى يومًا ولمحت تلك الحافة التي طلّ منها قمر منشقق..

نهاية جدران حفرة أبدية.. بداية كابوسي الأزلي..

اقتربت من بداية انتقامي الخالد..

أمتار قليلة.. ثم مسيرة أيام..

دبَّت الهيستريا في أطرافي وفشلت كل محاولاتي لإقناعهم بالتروِّي، كأنه دبت بهم إرادة خاصة وتحكمت بهم.. فكرة واحدة تفهمها الآن؛ وهي أنها تريد الخروج من هنا.. حالاً..

تحركت يدي بسرعة مخيفة ممسكة بأي شيء تجده.. حتى انفلتت إحدى تلك الصخور من تحتها.. لأهوى ثانية.. بسرعة هائلة.. سحب هائل يجذبني للأسفل.. أصرخ.. ممزقًا حنجرتي.. من جديد..

لأبدأ بتلك اللحظة رحلة سقوط أعلم أنها لن تنتهي قبل اثنين وخمسين عامًا.. تتبعها عدة قرون أغيب فيها عن وعيي، ثم أخرى أحارب خلالها فكرة الصعود ثانية.. تليها مدة غير معلومة أحاول بها تسلق جدران تلك الحفرة ثانية..

هذا هو كل ما يفصلني عن الوصول لتلك اللحظة مرة أخرى..

TW/ @Rabe3_elkotob

الفصل الثاني عشر

هذه رابع محاولة لي للخروج من هذا الكابوس..

رابع مرة أحارب بها عقلي الذي يسبّني الآن بأقذع الألفاظ ا هيستريا..

رابع مرة أحاول الاستسلام فيها لذلك الملل الهائل الذي تملّكني بقا تلك الحفرة، ليفوق بمرور القرون أي شيء آخر..

لم أقترب ثانية من فوهة تلك الحفرة مثلما فعلت في محاولتي الأولى. أعتقد أنني رأيتها في المرة الثالثة، ربما توهمتها.. أفضّل الاحتمال الثاني، فهو يقلل كثيرًا من رغبتي في فَقءِ عيني السليمة والقفز بعدها لأعماق حفرتي ثانية منهيًا بذلك وإلى الأبد أي تفكير للخروج منها.. كنت قد توقفت تمامًا عن النظر للأعلى، لم أرغب في إدراك نهاية رحلة صعودي قبل بلوغها حتى لا تجن أطرافي ثانية.. تأملت ذلك الجدار الكئيب القابع أمامي في صمت وأنا أتسلقه.. ذلك الجدار الذي لازمني طوال قرون على بُعد سنتيمترات من وجهي، يسخر مني دون سأم.. يبصق بوجهي في سادية، متفهمًا من كل محاولاتي للخلاص منه.. عالم أنني لن أملك سوى الخنوع له واستجدائه الرحمة.. ووسط هذه الأفكار غير المترابطة، نظرت أمامي فلم أجده..

خرجت من حفرتي، دون أن أدري.. لن أسقط ثانية.. انتهت رحلتي بهذا الكابوس.. بدأت رحلة الانتقام..

نظرت للفضاء الشاسع الممتد أمامي.. أسير على تلك الأرض الصلبة

TW/ @Rabe3_elkotob

الشقة كالمجذوب..

أسير..

فعل غريب لم أقم به منذ قرون، بدت لي تلك الأرض الجافة المتشققة مثل حلم ناعم تشككت كثيرًا في وجوده..

أسير..

فعل غريب قمتُ به منتشيًا، تاركًا لساقي توجيهي إلى حيث تشاء..

أبصرت شجرتين جافتين بعيدًا.. كانتا تتصارعان.. مشهد بدا لي مألوفًا بشكل غريب.. هل مررت بهما من قبل.. لا أذكر.. اقتربت منهما رويدًا ورويدًا حتى وصلت إليهما، جلست أمامهما، وتأملت هذا المشهد طويلاً.. مرت أعوام لم أفعل بها شيئًا سوى مراقبة ذلك المشهد في ذهول وإعجاب.. أتأمل خلالها تفاصيل هذا الصراع الأبدي.. تلك اللحظة من الانتصار، تعيشه شجرة لا ترغب في تركها تمر أبدًا.. لا تسأم منها أبدًا.. تكررها، مخلِّدة ذكراها إلى الأبد.. أشاركها غضبها واستمتاعها بانتصارها راسمًا في ذهني بشاعة انتقامي.. انتزعت عيني المتسمرتين على هذا المشهد منذ أعوام بصعوبة.. نظرت حولي باحثًا عن أي شيء يصلح لبدء رحلة انتقامي حتى لمحته بعيدًا.. مربع مضيء محلق وسط ذلك الظلام الدامس.. شباك يطفو وسط هذا العدم.. لا أدري أي مشهد يطل عليه، لكنني أتوق كثيرًا لاسكتشافه.. مسيرة أيام، اقترب بها مني ذلك الشباك رويدا.. أسير نحوه في سعادة غامرة وكأنه مغناطيس عملاق يسحبني اليه.. تقودني رغبة هائلة في إيلام أي شخص يقبع خلفه..

ما الذي سأراه عبره.. جحيم آخر.. أم بداية آخر ما تبقى لي من رغبات.. لم أتوقف - طوال الأيام التي تتطلبها وصولي إليه - عن تخيُّل الشخص الساذج الذي يحيا خلفه، الغافل عن اقتراب ذلك الجحيم الذي ينتظره وذلك الكابوس القادم إليه بخطط أبدية لإيذائه..

وصلت للشباك ونظرت عبره مرتجفًا في نشوة، لأبصره أمامي أخيرًا..

TW/@Rabe3_elkotob

ذلك الشخص الحقير الذي لم يدرِ أنه قاب قوسين أو أدنى من الجحيم
ذلك الشخص الساذج الذي لم يتخيل كم سيتألم.. نظر إليَّ متجمدًا
غباء، يحدق بي غير مصدق ما يراه أمامه.. طفل أخرق يقف أمام غضب
الأبدي..

يصرخ.. أضحك..

كلانا في جنون..

يركض هاربًا.. أعبر إليه من الشباك، ألاحقه وقد سال لعابي الأ
كذئبٍ مسعور.. يفتح بابًا يركض عبره لذلك العالم الذي أحفظه جيدًا
أركضُ خلفه لذلك العالم الكئيب الذي لم أعرف غيره أبدًا..

أضحك في جنون..

ألاحقه في استمتاع رهيب لم أختبره منذ.. لا.. بل لم أختبره أبدًا..

يااااه.. كم لدي ما أعلمك وأريك إياه.. أيها الابن الساذج الهارب
من حكمتي الخالدة.. مررنا بجوار الشجرتين المتصارعتين.. أكاد
اسمعها تهتفني وتشجعني.. وكأنني بحاجة إلى أيٍّ من ذلك.. ركض
حتى وصلنا أخيرًا لفوهة تلك الحفرة الهائلة التي أحفظ كل تفاصيلها
جيدًا.. نظر حوله في يأس لا يدري ما يتوجب عليه فعله أو إلى أين
يذهب.. نظر إليَّ طويلاً، قبل أن يقفز..

وبتلك اللحظة، تذكرت كل شيء..

تذكرت لحظة إلهام سبقت ارتطامي بقاع تلك الحفرة.. حين أدركت
بها ذلك المخطط الرهيب الذي وُضِعَ منذ الأبد بانتظاري، ذلك المخطط
الذي تتبعت مساره خطوة بخطوة دون أن أنحرف عنه قيد أنملة حتى
حققت هدفه.. فذلك الشخص الذي أحلم بالانتقام منه منذ الأبد، ذلك
الشخص الذي لاحقته طوال الأيام الماضية دافعًا به لهذا المسار المنتهي
بتلك الحفرة اللعينة..

TW/ @Rabe3_elkotob

هو أنا..

أو بالأصح كان أنا.. منذ سنينٍ مضت.. ما أراه أمامي الآن هو لحظة ما عشتها سابقًا في حياة أخرى.. تذكرت الآن تلك اللحظة التي كنت ارتطامي بقاع الحفرة، التي أدركت بها أن الانتقام كان كل ما أراد هذا الجحيم أن يحتل عقلي حتى أستمر بتغذية خلوده..لتجعلني الآلام المهولة التي اختبرتها لاحقًا لا أعبأ بمن ألقي به خلفي، وليستحيل كل ما أتناه هو أن يعيش شخصٌ آخر هذا لكابوس.. حتى إن كان أبي.. حتى إن كان ابني.. حتى إن كان أنا..

تذكرت تلك اللحظة القديمة التي اتخذت بها قرارًا بالصمود عند قاع تلك الحفرة، متجنبًا أن أدفع بنفسي بهذا الكابوس مجددًا.. تذكرت وجوب استبدال فرب يا لمعرفة حقيقة ما أنا به.. قبل أن يذهب الاصطدام الهائل بقاع تلك الحفرة بكل ما أراد أن يذهب به.. وقبل أن أنسى جراءه كل شيء عرفته سوى الانتقام..

حاولت إيقاف هذا الكابوس الجديد..

مددتُ يدي إليه.. وأمسكت به.. حاولت سحبه للأعلى في استماتة.. أحاول إنقاذه.. أحاول إنقاذي.. يأبى، خائفًا.. يحاول الإفلات مني بكل قوته، راغبًا في أي بديل سواي.. حتى ينجح.. هوي بسرعة رهيبة صارخًا في رعب، تاركًا إياي عند بداية كابوس طويل ما زلت أرتجف لذكراه.. صرخت في يأس هائل معلنًا بدايته، ليردد هو صداه بالأسفل وهو يهوى مبتعدًا..

صرخت ثانية.. وثالثة..

ورابعة..

صرخت دون أن أملك التوقف لحظة..

فأنا أصرخ لي وله معًا..

تمت

TW/@Rabe3_elkotob

الفصل الثالث عشر

تمت..

قرأها كريم مرة ثانية، غير مُصدِّق أنه قد بلغ تلك الكلمة بالفعل..

قرأها مرة ثالثة..

فرابعة.. هل بلغ حقًّا نهاية تلك الرواية اللعينة؟

شعر وكأن الحروف الثلاثة تعلن إليه خبر انقضاء مدة عقوبته أخذ نفسًا عميقًا وهو يحاول استعادة ما مرَّ به من أهوال حتى أدركها، لتأتي ذكريات الفترة الماضية مشوشة مبهمة غير مفهومة، من دون أدنى فكرة عن مداها أو عما قام به خلالها.. كم مرة عاد بها لذلك المقهى؟ هل أنهى كتابه بذات الجلسة أم أنه قد عاد إليه مئات المرات؟ كم طلب من أقداح القهوة التي لم تمسها شفتاه؟ واحدًا أم ٣٥٢؟ كم مرَّ على آخر يوم عمل له؟ هل تقدَّم بطلب إجازة مرضية لتغيِّبه بالأمس أم أنه توقف عن الذهاب للبنك منذ ثلاثة أشهر من دون الاكتراث حتى لتبرير ما حدث؟ متى رأى عائلته آخر مرة؟ هل كان ذلك بالأمس قبيل مشاجرته مع ياسمين أم أن رحيلها لمنزل عائلتها منذ سبعة أشهر هو حقيقة أخرى؟ كم مرَّ عليه من ليالٍ دون نوم؟ واحدة أم سبع وأربعون؟ كم أغفل من أحداث؟ هل انتهت الحرب العالمية الثالثة أم أن كل ما حدث هو تركه لقدح آخر من القهوة ليبرد أمامه؟ كم انقضى من الوقت؟ يوم أم اثنان وخمسون عامًا؟

لم يعبأ بالعثور على إجابة كثيرًا، كل ما اكترث لأمره كان حقيقة انتهائه

TW/ @Rabe3_elkotob

.. تلك الرواية المقيتة أخيرًا ووصوله أخيرًا لتلك الكلمة العظيمة الخالدة المعلنة انتهاء كابوسه إلى الأبد.. شعرَ برغبة عارمة في الاحتفال بأمانه وعقله حيين عبر تلك الرحلة المريعة، رغم ما أصابهما من إصابات بالغة. وإن ظل بداخله جزءٌ رفض الاستسلام لتلك السعادة الساذجة.

جزء كريه دفين جاء أكثر ترددًا وعزف عن مشاركته نصره، راقبه في صمت وقلق وارتياب هامسًا إليه الآن أن كابوسه لم ينتهِ حقًّا. الواقع أنه لم يبدأ بعد..

تجاهله كريم ودفع حسابه مقررًا ألا يعود لذلك المكان أبدًا. غادر المقهى متوجهًا لمحل ورد يعرفه جيدًا منتويا البدء في إصلاح ما أفسده بحياته وأولها علاقته بياسمين. وإن لم يخبو الصوت أبدًا، استمر في إخباره أن شراءه لتلك الورود وخطته بمصالحة زوجته والنوم مبكرًا والتوجه لعمله غدًا يبدو مثل تمثيلية هزلية سخيفة وساذجة. منعه ذلك النداء السخيف من إتمام تقمصه لدور رجل انتهى مما ألمَّ به من عواصف وبدأ في ترميم خسائره.

استمر في ترديد كلمة واحدة إليه آبيا السكوت، تردد صداها عبر كل ما حاول كريم القيام به..

اهرب..

اهرب..

اهرب..

اهرب..

TW/ @Rabe3_elkotob

الفصل الرابع عشر

اهرب..

TW/@Rabe3_elkotob

الفصل الخامس عشر

مرَّ كريم بحلاق قبل التوجه لمنزله، طلب منه تصفيف شعره والإطاحة بتلك الذقن الشعثاء التي لم يدرِ كم ظل من الوقت يحملها. وصل لباب شقته حاملاً باقة من الورود محاوِلاً رسم ابتسامة بوجهه الباهتة،ولتخبو فور رؤيته لزوجته، بدت كنسخة باهتة من تلك التي عشقها قديمًا، مجهدة نحيلة، وقف عمر من خلفها ينظر إليه بقلق وقد بدا أكبر مما يذكره كريم. لم يكن اللقاء سحريًا. لم ترتمِ ياسمين بأحضانه شاكرة الرب على عودته سالمًا، ولم يلقِ عمر ما بيديه من ألعاب قافزًا بين ذراعيه، بل كانت مفاوضات طويلة شاقة، شقَّ كريم طريقه عبرها بمهارة بالغة، محاوِلاً إقناعهما بإعطائه فرصة أخيرة لإصلاح ما آلت إليه الأمور، قاد طريقه بمهارة وسط حقل من الألغام المنصوب له مستخدمًا ملكاته التي لم تخذله أبدًا، متسلحًا بيقينه من أن ياسمين ما زالت تحبه. ومع نجاحه في تحقيق هدفه خبا النداء المتشكك بداخله تمامًا، وانتقل مصدره لمكان بعيد غير معلوم خاصة مع اقتراب ياسمين منه ووضعها ليدها بيده ورأسها بكتفه. ليغلف كريم بعدها سكونا لم يعتَده منذ عصور، جعله لا يستشعر حرَجًا من إعلان أن كابوسه قد انقضى، إلى الأبد.. وإن ألقى الصوت بنصيحته مرة أخيرة في خفوت..

قبل أن يخبو بعدها تمامًا..

اهرب..

TW/ @Rabe3_elkotob

الفصل السادس عشر

لم يتخيل كريم أبدًا أن يعود الروتين لحياته بهذه السرعة، خاصة بعد كل ما حدث. ليبدو له مشهدهم هذه الليلة وكأن شيئًا لم يحدث. انغرق في متابعة فيلم ما بينما نامت ياسمين بجانبه وعمر يلعب بجوارهما وقد سرَّه كالعادة إغفال والديه عن حلول موعد نومه.

انتشله من شروده صوت خفيض، أدركه كريم بصعوبة متأخرًا، بعد أن أحال رتابته وخفوته الانتباه إليه فورًا. صوت رتيب هادئ، كان بإمكان كريم الاستمرار في إغفاله أو خلطه بصوت عقارب الساعة أمامه، إن لم يزداد اقترابًا. انتشل كريم رأسه من اتكائها المريح بكتف ياسمين محاوِلاً التأكد من وقع ما يسمعه، ليحيل صراخ عمر بجانبه دون تحقيق هذا ويجعل من محاولاته لإدراك مصدر الصوت أمرًا مستحيلاً. كتم كريم صوت التلفاز وانسل من جانب ياسمين لتحملها الأريكة في حنان وتحول دون استيقاظها، رمقه عمر في انزعاج وقد أفسد كريم بتصرفه هذا للموسيقى التصويرية المصاحبة لأحداث معاركه. تركه كريم بالغرفة من خلفه دون أن يجيب على نظراته المتسائلة. سيعود إليه بعد لحظات..

اهرب..

شعر كريم هذه المرة بوقع ذلك النداء القديم وكأنه هدير عاصف هوي بقلبه أرضًا.

TW/@Rabe3_elkotob

اهرب..

تحرك لبهو الشقة مترنحًا مرتجفًا يحاول تتبع مصدر ذلك الصوت القادم إليه..

اهرب..

ازداد الصوت وضوحًا مع اقترابه البطيء المستمر منهم، وإن بقى مديد مصدره مستحيلاً..

اهرب..

كان صوت خطوات..

اهرب..

تقترب منهم متزامنة مع دقات الساعة التي حملت نفس الرتابة والهدوء الثقيلين.. غلّف كريم ارتباك حاد استمر للحظات بدت له كالدهر، حاول عبرها إدراك كنه تلك الخطوات بلا جدوى..

اهرب..

قبل أن يعي عقله الإجابة فجأة.. إجابة واضحة جلية أطاحت بكل تلك الأعذار التي حاول عقله اختلاقها لتجنُّب إدراك صاحب تلك الخطوات الآتية إليه.. كان الوحش.. خرج من الحفرة.. من الكتاب.. من الجحيم.. وجاء خلفه.. قلت لك اهرب.. فات الوقت.. لتلق مصيرك.. أنت، وأسرتك..

سيبدأ بأضعفكم وأكثركم براءة.. عمر..

لم يدرِ كريم كيف أمكنه إدراك ذلك، لكنه لم يكترث كثيرًا لاستيضاح الأمر.. فقد أعلن عقله حالة الطوارىء..

وانصاع له كريم فورًا..

TW/@Rabe3_elkotob

الفصل السابع عشر

هيستريا.. رعب.. هلع..

ركض كريم.

ذعر.. كابوس.. هلاوس..

عائدًا لغرفة المعيشة

الحفرة.. الجحيم.. الوحش..

وهو يصرخ في هول

الخطوات.. إنه قادم.. سينتقم..

من دون توقف:

- لاااااااااااا..

انسابت ألعاب عمر من بين أصابعه واستيقظت ياسمين مفزوعة. نظرا إليه في هول وهما يحاولان استيعاب ما يحدث. بدت له نظراتهما إليه في تلك اللحظة مألوفة، تشبه إلى حد كبير تلك التي لقيها منهما في فترة سابقة، كان قد وعدهما بأنها لن تعود أبدًا، تتهشم أمام عينيه الذهلتين في تلك اللحظة كل جهوده ووعوده السابق، دون أن يملك التراجع عما يفعله لحظة..

- لاااااااااااا

يجب أن يخبرهما بالحقيقة.. يجب أن يحذرهما.. قام بذلك في وضوح

TW/@Rabe3_elkotob

، فصاحة بالغتين:

- الوحش.. جاي.. الوحش جاي.. الوحش جاي.. ال.. الوحش جاي.. الوحش جاي.. الوحش جاي.. الوحش جاي.. الوحش جاي.. الوحش جاي.. سير... هيقتل عمر.. الوحش جاي هيقتل عمر.. الوحش جاي يقتل عمر.. بيقرب يا ياسمين.. أنا سامعه.. بيقرب من... ك... بيقرَّب يا ياسمين..الوحش جاي..

لم يدرِ كم ظل يلقى عليهما بهذا الهراء، ولكنه عندما استعاد السيطرة على نفسه وتوقف أخيرًا عن ترديده الهيستيري له، كانت نظرات ياسمين وعمر إليه قد استحالت من الذهول إلى الرعب، ومن الشك إلى اليقين. بدا واضحًا أنهما لم يعودَا يكترثان لكونهما لا يفقهان ما الذي يتحدث عنه، فقد أضحى مصدر خطورة عليهما.. هرع عمر لأحضان والدته باكيًا وهو ينتحب:

- ماما أنا خايف.. في وحش جاي يا ماما.. في وحش جاي البيت.. جاي يموتني..

احتضنته ياسمين دون أن تفيق من ذهولها. لم تجد ما تجيبه به، فتدريبها كأم مصرية لم يشتمل على درس «كيف تقنعين ابنك بسخافة فكرة أن هنالك وحش قادم إليه ليقتله بعد أن أخبره والده بذلك»..

نظرا إليه في ترقب مرتعدين كأنه مختل ما سينقض عليهما بأي لحظة الآن. أقرب الناس إليه، يخشونه..

ارتمى وسطهما مجهشًا ببكاء لم يدرِ إن جاء اعتذارًا أم يأسًا من تغيير مصيرهما. ليلقى منهما رفضًا صريحًا، ليس تجاه ما أخبرهما به فحسب، بل وله أيضا. اقشعرت ياسمين لملامسته وابتعدت عنه فورًا، قبل أن ينهمر عمر بالمزيد من البكاء عندما هم كريم بمعانقته..

TW/@Rabe3_elkotob

هو ليس رفضًا بقدر ما هو اشمئزاز. هو ليس اشمئزازًا بقدر ما هو خوف، منه.. يلقى الآن الجزاء المعتاد لكل حاول إخبار قومه يومًا بحقيقة اعتقدوا استحالتها، كاقتراب هلاكهم..

ماذا توقع إن لاقَى نوحٌ من قومه طوال تسعمائة وخمسين عامًا سوى الخوف والرفض والاشمئزاز، إلى أن جاءهم الطوفان حقًا. أدرك أن أي محاولة لإفهامهما أو إقناعهما لن تُجدي نفعًا، لن تأتي إليه إلا بالمزيد من الرفض والاشمئزاز. لن يصدقاه إلا إن تقطعت أوصالهما. ارتجف للفكرة. لا، لن يفعل هذا، هو أذكى من أن يقوم بذلك.الأسهل هو خداعهم، الأسهل هو استعادة هدوئه أو على الأقل اصطناعه، الأسهل هو إقناعهما أنهما بمأمن. سيقلل هذا من مقاومتهما له، حتى يتسنى له التفكير لاحقًا في أي مخرج لهذا الكابوس، الأسهل الآن هو السخرية من تلك الحقيقة المريعة التي أخبرهما بها توا.

قام بذلك على الفور ومن دون تردد، التفت لعمر راسمًا بوجهه أعذب ما أمكنه اصطناعه من ابتسامات:

- إيه يا عمر.. أنت خفت بجد ولا إيه.. أنا كنت بهزر معاك.. مش كنا بنلعب يابني حرب الكواكب.. وانا كنت رئيس كتيبة الاستطلاع إكس ٦٨ اللي راحت الكوكب البني.. عرفت ان الوحش الأرجواني جاي يحتل كوكبك.. الحق عليا اني جاي ابلغك.. خوّفت ماما الله يخرب بيتك.. اومال طول النهار عاملّي فيها القائد وعمّال تقتل في الأعداء.. وأول ما يجيلك وحش تخاف كدا.. يا خيبتك.. دا جوفر هيقطعك.. خد بقا السفينة الفضائية دي..

ومع قوله هذا حمل عمر وقذفه في الهواء عاليًا قبل أن يتلقفه ثانية. تعالت ضحكات عمر بعد دقائق من مداعبة كريم له وقد نسى مسبقًا ما حدث، ليبدآ معًا حربًا كونية لم يدرِ عنها أيهما شيئًا. ظلت ياسمين ترمق

TW/ @Rabe3_elkotob

وجها في شك بالغ، تحاول وضع ما حدث توا تحت أي مسمى حتى إن كان «المزاح الثقيل» ليأتي ذلك عليها صعبًا غير مستساغ، ولكن عدم تمكنها من وصف ما حدث بأي شيء آخر جعلها تستسلم أخيرًا لهذا التبرير.

بدت أقل تشنجًا بالفعل مع مرور الوقت. همس كريم بأذن عمر:

- عمر، ما تخافش، بابا هنا.. هايحميك دايمًا.. مش ممكن يسيب حاجة وحشة تحصلك.. أبدًا..

نظر إليه عمر في امتنان شجع كريم على إخباره بصوت أوضح :

- انت هتنام معانا النهاردة.. وبكرة كمان يا سيدي..

قالها بوضوح كافٍ لأن تسمعه ياسمين، التفت إليها مضيفًا:

- معلش، أنا خضيته جامد النهاردة، خليني اعوضه.. وكمان عشان الأيام اللي فاتت.. أنا عايزكم كلكم في حضني اليومين دول..

أزال قوله هذا للكثير مما كان قد علق بذهن ياسمين، ابتسمت معلنة موافقتها ليبادلها كريم الابتسام شاكرًا.

الحقيقة أنه لم يكن ليلمها إن جاء رد فعلها مختلفًا كأن تبصق بوجهه وتنعته بالجنون قبل أن تهرع للخارج هاربة. ربما إن قامت ياسمين بهذا يومها، لظل عمر باقيًا على قيد الحياة..

TW/@Rabe3_elkotob

الفصل الثامن عشر

أفقد صوت الخطوات المستمر في اقترابه قُدرة كريم على إدراك عدد ما مر عليه من أيام. قضى معظمها يتابع خطوات ذلك الشخص الذي يقترب منهم بلا مشاعر تعطله وبلا حواجز تبطئه. صوت بارد رتيب كصوت ساعته التي تخبره منذ أيام أن وقته على سطح هذا الكوكب ينفذ. لم يتخيل أبدًا أن يتمكن مجرد صوت من فعل كل هذا به. ولكن الخطوات التي ازدادت اقترابا، تعده بلقاء مريع مرتقب أطاحت بقدرة كريم على التفكير بأي شيء سواها، جاعلاً كل محاولات كريم لتجاهلها ولأن يحيا حياة «طبيعية» تبدو سخيفة للغاية.. راقب كابوسه القديم وهو يتكرر أمام عينيه ثانية، بعد أن أضحى خيار العمل مستحيلاً، والنوم كذلك. تمدد بجوار عمر الذي توسط سريرهما، يفصله عن نظرات ياسمين المترقبة. كان قد توقف عن محاولة استجداء النوم منذ أيام، ينام بضع دقائق ليستيقظ بعدها مفزوعًا مترقبا وقع ذلك الكابوس القادم إليهم ليقتلع أغلى ما يملك.. ابنه.

لم يحاول إعادة تحذير عائلته، لم يجرؤ على القيام بذلك خاصة بعد أن أخبرته ياسمين بضرورة زيارة طبيب نفسي، ليواجه اقتراحها هذا بثورة عارمة أطاحت بكل بقايا التواصل بينهما.

يصيبه مسٌّ في بعض الليال، تُصبح جراءه الكتابة وسواسًا قهريًا لم يملك مقاومته حتى وهو يمر بتلك الظروف. بل إنه صار يشتاق إليه

TW/@Rabe3_elkotob

بعد أن أضحى ذلك الشيء هو الوحيد القادر على صرف انتباهه عن متابعة اقتراب ذلك الصوت، تستمر كتابته الملتاعة طوال الليل أحيانًا، بسطر عبره عددًا هائلاً من الكلمات التي لم يدرِ إن كان يحمل تراصها أي معنى.

يرمقها صباحًا ليجد مئات الصفحات أحيانًا، أو ليبصر -غالبًا- صفحة يتيمة تراصت عليها آلاف من الكلمات المتشابكة المتشنجة المتصارعة، بعضها فوق بعض جاعلة قرأتها امرا مستحيلا. تحكي إليه رواية لن يعرف تفاصيلها أبدًا. ولكن بدا له اليوم ما خطَّه ليلة الأمس مفهومًا على غير العادة.. وإن لم يبدُ مألوفًا.. قلب الصفحات الملقاة أمامه ناظرًا إليها في دهشة دون أن يتمكن من تذكر كتابته لأي منها..

شرع في قراءتها عله يجد بها أي معنى لما يحدث..

« أتوقع اندهاشك عزيزي القارىء عند اطلاعك على تلك المقالة، بل وربما سخطك أيضًا. أخشى جم ما أخشى أن يكون رد فعلك بعد قراءة بعض من سطورها هو الصراخ حانقًا:

- ما هذا الهراء؟ وما الذي حدث؟

لذا أرجو منك أن تتيح لي الفرصة لأشرح لك ما حدث حقًّا.. ما حدث أولاً كان رغبتي في كتابة رواية جديدة، رواية واقعية. يقوم بها بطلي بما يفترض لأي بطل فعله، وهو التصرف بطبيعية.. لتتوالي بعد ذلك فصول انرواية التي جاءت مملة حقًّا، تخبرك كيف حصل بطلنا على تلك الوظيفة أو ذلك المنزل، على تلك الزوجة أو السيارة، على ذلك الحيوان الأليف أو ذلك الطفل. آملا ان يكون قد حصل بذلك على حياة.....

.....)

كريم رامز

TW/ @Rabe3_elkotob

الفصل التاسع عشر

انتفض إبراهيم في عنف، ليسقط الكتاب عند قدميه. رمقه في اشمئزاز طويلاً قبل أن يركله عنه بعيدًا.. أي هراء هذا.. مقالته الأخيرة التي أرسلها للمجلة بالأمس، موجودة بكتاب لم يدرِ كم مرَّ من الأعوام على طباعته.. تماثلها في كل كلمة وكل حرف وكل خطأ مطبعي. بحث في هلع عن أي تفسير منطقي لما أبصره توًّا، فلم يجد، وإن أدرك أن التفسير الوحيد بالنسبة لأي شخص غيره سيكون بسيطًا وسهلاً ومنطقيًا.

لقد نقلها.. استغل مؤلفًا مغمورًا وسَرَق عمله.. تيمة محبوبة مشهورة.. سيكون الوحيد المدرِك لأن ذلك لم يحدث أبدًا.. ارتعد لفكرة أن ذلك المؤلف المجهول أضحى يملك العصف بما بذله إبراهيم من مجهود أدبي طوال سنين عمره، وأن بإمكانه كتابة ختام حياته الأدبية بسطور من خزي وعار.

مرَّ بذهنه شريط طويل لوجوه امتلأت صدور أصحابها حقدًا، كانت تبتسم إليه في تشفٍّ.. وقبل أن يتمكن من الاعتدال، أفرغ محتويات معدته على الأرض بجواره. توجه للكتاب الملقى على الأرض دون أن يكترث لتنظيف قيئه. أمسك به متجاهلاً حلقه المحترِق ويديه الملطختين ونبضه المتسارع، وقلبه بين يديه مستطلعًا ما بقى له من صفحات حتى إدراك نهايته. بحث بها عن أي أثرٍ لمقالات أخرى، فلم يجد.

أشغل حاسوبه المحمول، قارن مقالته الأخيرة به بما قرأه توًّا، فلم يجد

TW/ @Rabe3_elkotob

أي اختلاف. هرع عقله في جميع أروقة التفسيرات المنطقية دون جدوى. كل ما أدركه إبراهيم في تلك اللحظة كان أن عليه لقاء كريم هذا وبأسرع وقت. يجب أن يفهم منه سر ما حدث.

بحث عن تلك الرسالة القديمة التي أرسلها إليه بصحبة تلك الرواية، نبش بها عن أي أثر لوسيلة اتصال قد يكون أغفلها، فلم يجد..

وإن حملت إليه الآن جملة «تمنياتي بلقاء قريب » معنى آخر، أكثر تهديدًا.. ومع تزايد إحساسه بالعجز، استسلم إبراهيم للفكرة الوحيدة التي قد تمكنه من العثور عليه. أو بالأصح التي قد تمكنه من إقناع كريم بالقدوم إليه.. مئتان وخمسون ألف جنيه، لا بد أنها ستتكفل بذلك؛ قيمة جائزته الأدبية.. لا بد أن يفوز بها كريم.. كل ما على إبراهيم فعله الآن هو البدء فورًا في كتابة بحث عن تلك الرواية اللعينة، موقع عليها باسم شخص آخر.

كريم الحفراوي..

هكذا سيدعوه.. بالتأكيد سيتفهم الرسالة..تخيَّله وقد أتي إليه منتصرًا منتشيًا لاستلام جائزته ومطالِبًا - في الأغلب - بالمزيد.

لكنه لم يهتم لهذا كثيرًا، إن تمكن عندها من فهم سر ما حدث والتفاوض معه بشأن ما يرغب به لطمس معالم تلك الفضيحة فإن ذلك هو أقل ما يمكن لإبراهيم تصوره من خسائر.. قام وقد استعاد بعض السيطرة على نفسه بعد أن عثر على خطوة مبدئية تجاه حل تلك الكارثة، نظَّف محتويات معدته المترامية على الأرض قبل أن يكتشف في دهشة امتلأ ذهنه بكلمات يتوجب عليه كتابتها، فورًا..

لم تكن كلمات ذلك البحث المفروض عليه كتابته.

كانت مقالته الثانية..

TW/@Rabe3_elkotob

بل وربما الثالثة أيضًا..

ولكنه لن يكرر خطأه..

راجع مرة أخرى صفحات الرواية ،نظر إليها في شك طويلاً، وعندما لم يجد بها أي أثر لمقالات أخرى، توجه لحاسوبه مترددًا.

لتطيح الكلمات المزدحمة بعقله والتي انطلقت مع لمس أنامله للوحة المفاتيح بكل ما حمله من هواجس على الفور..

TW/@Rabe3_elkotob

الحفرة
المقالة الثانية

ما حدث أولاً كان رغبتي في كتابة رواية جديدة، رواية تستند إلى أحداث حقيقية.. لتبدأ روايتنا بلقاء بطلنا لشخص ما وقد طلب منه شيئًا.. ليعد ذلك الشخص بطلنا بالقيام به في أسرع وقت.. ما حدث تاليًا كان اكتشاف بطلنا أن ذلك الشخص لم يعنِ ما وعده به حقًا.. يكتشف أن «أوعدك» التى نطق بها مثلها مثل أي كلمة أخرى دارت بينهما..

مثلها مثل: أهلاً.

مثلها مثل: اسمي كريم.

انظر أيضًا: مثل معاك فكة ١٠٠؟

انظر أيضًا: غور ياض.

يلتقي بطلنا لاحقًا بفتاة ما.. دعني أخبرك منذ اللحظة كم كانت جميلة جذابة ومثيرة.. بحلول هذا القسم من الرواية، لا يتمسك القارىء كثيرًا بمجاراته للواقع. عادة ما يرغب القارىء في أن تشبه بطلة روايته فتاة أحلامه، وليست زوجته.. يعجب بطلنا بفتاته.. يرغب في التعرف عليها أو تدليلها.. في امتلاكها أوالتحكم بها.. في تقطيع وجهها إربا أو سلخها حية.. يعتمد هذا على آخر تقييم له باختبار اضطرابات الشخصية وكذلك على نوعية الرواية التي أكتبها.. في الأغلب ولكون معظم القراء رومانسيين حالمين، فما أكتبه أخيرًا هو انجذابه إليها.. كيف أنه أُعجَب بها وبذل قصارى جهده لإثارة إعجابها.. حتى نجح أخيرًا..

قبل أن يقف لاحقًا كالأبله، يتأملها فاغر الفاه وهي تبتعد عنه من دون مقدمات.. انظر ايضًا: يبصرها وهي تقبِّل شخصًا آخر بسيارته الفارهة..

TW/ @Rabe3_elkotob

حدث ذلك سريعًا بالفعل.. ربما لكوني كاتبًا سخيفًا، أو لكون بطلنا ساذجًا، أو ربما لكون روايتنا بالنهاية تستند إلى أحداث واقعية..

الأمر الذي يستدعي انتصار صاحب السيارة الأغلى ثمنًا.. ولكن لا يهم، لن يتوقف بطلنا أمام السبب كثيرًا ، فالنتيجة واحدة. لقد ملته صديقته بعد مرور أقل من فصلٍ واحدٍ.

يكتشف بطلنا فورًا أنه يحبها، أنه لا يستطيع العيش من دونها.

يرفض الاستماع إلى حين أحاول إخباره أن ما يشعره به الآن هو مجرد الرغبة في التملك، وأن سببه لا يمت بصلة لما تتمتع به من صفات بقدر احتياجه هو إليها. يهرع بطلنا لدفع الثمن الأغلى لتلك اللحظة من الاحتياج، مدمرًا بقراره هذا كل ما ادخرته له بروايته من أحداث.. يخبرها في حماس أنه يحبها، يعشقها، يحتاج إليها. منتظرًا أن يغشى عليها جراء كلماته.. ترد هي أن:

- شكرًا..

ولكن صوتها الملائكي الهامس جعل كل ما يتمكن بطلنا من سماعه يبدو أشبه بـ:

- وأنا أيضًا..

يجيبها فورًا:

- لن نفترق أبدًا، سنظل معًا إلى الأبد..

ترد هي عليه:

- يبدو ذلك مملاً للغاية..

ولكن بإمكان بطلنا أن يقسم - وبكل صدق- إن ما أخبرته به هو:

- هذا هو كل أملي بالحياة..

ولذلك فعندما يسألها بطلنا لاحقًا: أتعدين؟

TW/@Rabe3_elkotob

فإن ما يحصل عليه من إجابة هو:

- أعدك..

هذه المرة لم تحنه أذناه، أخبرته بذلك بالفعل لأنها قد ملت تحذيره..

انظر أيضًا: لأن القانون لا يحمي المغفلين..

والسبب الأبسط دومًا هو: لأنها تستطيع..

لندع ما حدث لبطلنا لاحقًا دون ذكر، فكلنا نعرفه جيدًا..

ما حدث تاليًا كان رغبة بطلنا في الحصول على تلك السيارة الفارهة، تلك التي ستقيه من الوقوع في ذات المصير ثانية، يحتاج لمال وفير يكفيه لشراء أي شيء يريده أو تريده صديقته المستقبلية فور رغبة أيهما به.

هو ليس بطموح بقدر ما هو تسول للقبول.. واظب بطلنا على القيام بكل تلك الوظائف والمهام الكريهة التي يتطلبها الحصول على ذلك المبلغ في همة ونشاط. مقتربًا بمرور كل يوم من هدفه، ومن نهاية روايته أيضًا، لكنه لم يعبأ لهذا كثيرًا. لم يكترث لهذا الكم الهائل من الصفحات المملة اللزجة المقيتة التي أجبرني على كتابتها، والتي لم يأتِ بها ذكر لشيء سوى قيامه من نومه وارتدائه بذلته وذهابه لعمله وعودته متعبًا لينام أمام تلفازه. المرة تلو الأخرى تلو الأخرى تلو الأخرى.. لكنه لم يرَ الأمر على هذا النحو أيضًا..

كان سعيدًا، مُستسلمًا لذلك النظام الذي وعده بالمزيد من النقود، ليعيش جراء ذلك متبعًا كل قواعده وتعليماته، حتى المتناقض منها. بعد أن آمن بأنه لو أطاع النظام فإن النظام سيحميه ونقوده وسيارته وصديقته، فعندما سأله قديمًا أتاه رد النظام بصوته الجهوري قائلاً:

- أعدك.

حتى يأتي يوم ومن دون أي أسباب واضحة يقرر النظام فجأة أن يـ(/ #*٪) بطلنا..

TW/@Rabe3_elkotob

أو يتخلّى عن حمايته بينما يقوم شخص آخر بفعل ذلك الـ(#$*) ببطلنا، غير ملتزم هو بتلك القوانين.

يستولى ذلك الشخص على أملاك بطلنا التي أفنى عمره في جمعها، مبررًا أن المبلغ كبير للغاية. فذلك الكم لا يمكن أن يكون قد تمَّ جنيه بالطرق المشروعة.. الأغلب أنه استولى عليه لأن بطلنا لم يكن يعلم كيف ينفقه.. كيف سينفقه وهو يتبع كل تلك التعليمات، متى وأين سينفقه وهو مكبَّل بكل تلك الالتزامات.. يصرخ بطلنا:

- ولكنكم وعدتم..

لا يتلقى ردًّا، الجميع مشغولون بإنفاق المال..

يصرخ بطلنا « (**)(**) النظام، (**)(**) القوانين ، (**) (****)القواعد»..

يشير إليهم بإصبعه الأوسط فيشيروا إليه بزنزانة يقضي بها ما بقى له من العمر.. شكرًا لحُسن تعاونكم معنا.. نراك بالرواية القادمة..

دعني أمزق صفحات تلك الرواية الكئيبة. اسمح لي أن أقصَّ عليك هذه المرة رواية أكثر تفاؤلاً. رواية يدرك بها بطلنا معنى السعادة الحقيقية مبكرًا، بعد أن اطلع على تعريفها: «السعادة هي: فعل ما تريده والحصول على ما تريده ، فورًا.»

بالفعل يدرك بطلنا الكثير من تلك الأشياء التي يمكنها أن تسعده كثيرًا. أشياء كامتلاكه سيارة فيراري حمراء، أو مرافقة إحدى عارضات أزياء، أو ادخار مبلغ ١٦,٧ مليون دولار، أو شراء فيلا بمونت كارلو.

ولكن لأن بطلنا لا يستطيع الحصول على أيٍّ من تلك الأشياء فورًا، فإنه يؤجلها. لتستحيل بذلك حلمًا..

انظر أيضًا: هدفًا.

انظر أيضًا: طموحًا.

TW/@Rabe3_elkotob

يتناسى كلمة « فورًا» الموجودة بتعريف السعادة السابق، مفترضا بتلك الأشياء - كونها جذابة للغاية- قدرتها على إسعاده بأى فصل تأتي إليه.. لا يفكر للحظة في كيفية الاستمتاع بها وهو مشلول، أو في كيفية الاستمتاع بها وهو مكتئب.

انظر أيضًا: وهو غائب عن الوعي.. وهو ما يحدث بالفصل الثالث الثلاثين والرابع والأربعين والخامس والخمسين من الرواية.

أو أن ما يحدث هو فقده لحياته قبل تحقيق أي منها، ليكتشف بالنهاية أن تلك الأشياء كانت أبعد مما ينبغي.. نسيت إخباره بأنها قصة قصيرة..

انظر أيضًا: ما حدث هو حصوله على كل تلك الممتلكات بالفعل، ولكن بعد معرفته لحقيقة تكلفتها.. بعد إدراكه لما تتطلبه الحصول عليها من أيام وشهور وأعوام، قضاها مقهورًا قائمًا بشيء ما يكرهه.. مقايضته لحياته في سبيل الحصول على تلك الأشياء يُشعِره برغبة شديدة في التقيؤ..

كيف يمكنه الاستمتاع بها وهو يرغب في التقيؤ..!

انظر أيضًا: ما حدث كان اكتشافه لخطأ اختياراته، وأنه صدَّقها وآمن بها فقط بسبب بعض الإعلانات التجارية. لم يعد يذكر من الذي أخبره أن الوضع أفضل في مونت كارلو أو أن اللامبورجيني سيارة أجمل أو أن بِدَل أرماني أكثر راحة، كل ما يدركه الآن هو أنه لا يملك الحق في استبدالها أو استرجاع ما دفعه مقابلها.

ما حدث بروايتنا أخيرًا كان وقوف بطلنا على سطح عمارة ما، يهددني بالانتحار محتجًا على ما آلت إليه الأمور، يسبني أمام القراء بأفظع الألفاظ.. أراقبه في لا مبالاة.. كيف أمكن لذلك الأبله اعتقاد إمكانية حصوله على نهاية أفضل أو أكثر قبولًا، بعد كل ما قام به من هراء طوال روايته.. فليفعل ما يشاء، فأنا لم أعد أهتم لأمر تلك الرواية اللعينة..

ربما آن أوان كتابة رواية أخرى، لا تستند إلى أي أحداث حقيقية..

رواية أكثر صِدقًا وأقل استهلاكًا..

TW/ @Rabe3_elkotob

الحفرة
المقالة الثالثة

ما حدث أولاً كان رغبتي في كتابة رواية جديدة، رواية خيالية مرعبة. أفزعني فور الانتهاء منها، اكتشاف كم ما أهدرته من وقتٍ وصفحات. خلت روايتنا من أي وحوش أو أشباح أو مصاصين دماء أو مذئوبين، وامتلأت صفحاتها فقط بتلك الشخصيات الناضجة المسؤولة الملتزمة..

شخصيات ناضجة كوالد بطلنا، الذي علمه كل ما يعرفه من حقائق الحياة والتي أوضحت لبطلنا حقيقة أن أقصى ما يملك فعله تجاه كل ما يرفضه هو التكيُّف..شخصيات مسؤولة كمدرِّسه، الذي وضع له قوانينا وتعليمات لم يملك بطلنا سوى اتباعها.

شخصيات ملتزمة كمديره، الذي أخبره دومًا كيف وأين ومتي يمكنه أن يحيا.. لا أثر بالرواية لأي وحوش أو مصاصين دماء أو مذؤوبين..

ما حدث تاليًا كان تدمير حياة بطلنا تمامًا. إن سألت أيًّا من تلك الشخصيات الثانوية، سيخبرونك ألا دخل لهم بما حدث إطلاقًا، وأن حياة بطلنا دُمِرَت بسبب أخطائه في تنفيذ تعليماتهم.. دمَّر بطلنا حياته لأنه صدَّق كاذبًا.. أو لأنه أنفق بسفاهة.

انظر أيضًا: لأنه دخَّن بشراهة.

انظر أيضًا: لأنه أحبَّ عاهرة.

دائمًا هناك سببٌ، ودائمًا ما يكون السبب خطأ، ودائمًا ما يكون الخطأ خطأه..

يخبرونه أنه يجب عليه تحمُّل مسؤولية تصرفاته، يجب عليه أن يتقبل

TW/ @Rabe3_elkotob

ا حدث، يجب عليه أن يتكيف ويعيد تأهيل نفسه سريعًا. يجب عليه أن
ود سعيدًا بأسرع وقت. فالرواية أضحت كئيبة للغاية..

النتائج المترتبة على خطأ بطلنا دائمًا واحدة، دائمًا ما يفقد بطلنا شيئاً
ا .يفقد ثقته بنفسه أو بالآخرين، يفقد أمواله أو قدرته على المشي، يفقد
صديقه أو زوجته، يفقد ابتسامته أو كليته، ليتضح له بالفعل أن جميع من
وله أكثر حكمة منه، وأنهم قد حذروه حقًا.. ألم يخبره الجميع منذ بداية
الرواية بضرورة أن يكون أكثر انتباهًا، أن يحترس، ألا يدخن، أن يقود
حذر، أن يستذكر دروسه جيدًا، أن يمارس الرياضة، ألا يأكل بشراهة،
ان يبحث عن زوجة وفية، أن يربي أولاده جيدًا، ألا يشاهد أفلامًا إباحية،
ان يشتري أسهمًا، أن يبيع أسهمًا، أن يلتحق بتلك الكلية، أن يعمل بكِدٍّ،
ان يدفع ضرائبه، أن يربط حزام الأمان، أن يتدرب، أن يعمل بكدٍّ أكثر،
ان يأخذ أدويته، أن يتصل بالنجدة، أن يصوِّت لفلان، أن يعمل بكدٍّ
اكبر، أن يتعلم الفيزياء الكمية، أن يتناول المزيد من الأدوية، أن يرتدي
واقيًا ذكريًا، أن يبتعد عن المختلين عقليًا، أن يجني المزيد من الأموال، أن
ينام فترة كافية، أن يعتني ببشرته، أن يدخر..

لمَ الأمر بهذه الصعوبة؟

ما حدث أولاً كان رغبتي في كتابة رواية مرعبة قاسية. رواية يمكن لأي شخص بها أن يغرس سكينًا برأس بطلنا، في أي وقت يشاء وبأي مكان وبأي فصل من فصولها. قد يحدث ذلك ليلاً بحارة مظلمة أثناء عودة بطلنا لمنزله أو بمقر عمله بمنتصف النهار وبيد أحد أصدقائه. في اقل الأوقات توقعا ولأغبى الأسباب سيشعر بطلنا بسكِّين يفلق مخه.. وهنالك دومًا، كالعادة، سبب لذلك.. صاحب السكين دائمًا ما يملك ما يخبرنا به..

«لقد كان سخيفًا»

TW/@Rabe3_elkotob

«لقد كان غنيًا لدرجة مستفزة»

انظر أيضًا:« لقد كان يتبعني ويرغب بقتلي»

انظر أيضًا:« لقد كان اختبارًا علميًا. أردت غرس سكينٍ برأسه وتسجيل ردود أفعاله. كانت مشوِّقة للغاية».

ما حدث أولاً كان رغبتي في كتابة رواية مرعبة قاسية. تخيّل شخصيات روايتنا بطلنا يومًا أنه قد أضحى رجلاً راشدًا بالغًا، أنه يجب عليه التخلي عن أحلام طفولته الصغيرة المنفوشة الساذجة الملونة، ويجب عليه التخلص من ثيابه التي تشبه زِيَّ العصابات ونظام حياته البوهيمي وخُصَل شعره الطويلة.. يخبرونه أنه لن يصبح رائد فضاء، وأن باتمان هو مجرد شخصية خيالية.. وكأنهم أكثر واقعية، كأنهم ليسوا مجرد شخصيات ثانوية برواية فاشلة.. يفتحون أمامه باب العالم الواقعي، وكل ما يتمكن بطلنا من إبصاره عبره هو الظلام الحالك..

يرتعد صارخًا:

- ولكنكم تعلمون أنني أخشى الظلام..

ينظرون إليه في أسى بالغ وكأن الظلام شيء جميل، وكأن جرائم القتل وحوادث السيارات والتوتر المزمن والسرطان والصداع النصفي والزوجات المملات والمديرين المتطلبين والآمال المحطمة، أشياء حسنة وخلَّابة. وأن الخوف منها هو مرض ما.. لا يكترثون لما يشعر به بطلنا من رعب، فقد فُرِضَ عليه الخروج لذلك العالم لمجرد امتلاء وجهه بالتجاعيد.

يركله أحدهم مرسلاً إياه لذلك الظلام الدامس، منتظرًا أن يعود إليه بطلنا يومًا ليشكره.. لا يدري بطلنا من قام بهذا. أمه؟ مديره؟ حبيبته؟ والده؟

TW/@Rabe3_elkotob

يلتفت يمينًا ويسارًا وسط ذلك الظلام حتى يلمح أخيرًا شخصًا يحواره، وعندما يرفع الرجل إليه يده بالسلام، يلمح بها بطلنا سكينا. قبل أن تأتيه كلمات الرجل:

- لقد كنت تتبعني..

يقولها، قبل أن ينهمك في تسجيل ردود أفعاله..

ما حدث أولاً كان رغبتي في كتابة رواية مرعبة قاسية. رواية امتلأت صفحاتها بتلك الشخصيات الناضجة

المسؤولة الملتزمة، من بقى من شخوصها من دون الإصابة بذلك النضج أو تلك المسؤولية يصرون على ارتداء تلك الثياب التي تشبه زيّ العصابات، يحيون حياة بوهيمية ويتركون خصل شعرهم من دون تهذيب.

ما زالوا يعتقدون في إمكانية أن يصبحوا رواد فضاء، وأن «باتمان» هو بطل حقيقي.. ينظر إليهم أولئك الناضجون في أسى، قبل أن يتركوهم متوجهين لذلك الظلام بكل همة ونشاط.. مثبتين لهؤلاء المراهقين ألا شيء به يستحق الخشية حقًا. يحاولون أن يكونوا قدوة حسنة لهم، يحاولون تشجيعهم على اللحاق بهم، ليعلموهم كيف يكون التصرف بنضج، وما هي المسؤولية وكيف يتحقق النجاح.. هؤلاء هم من يخشاهم بطلنا حقًا، من أن يصبح مثلهم يومًا ما..

TW/@Rabe3_elkotob

الفصل العشرون

شعر إبراهيم بإنهاك بالغ، ارتجفت أصابعه بشدة بعد انتهائه من كتابة مقالتيه الذي جاء من دون توقف.

قام وأعد عشاءً خفيفًا، فلم تكن معدته قد استعادت كامل ثباتها بعد. تناوله في صمت قبل أن يتمدد بسريره وينام على الفور. أو هكذا اعتقد..

استيقظ إبراهيم في صباح اليوم التالي متعبًا منهكًا كما هو. لم يكن نوم ليلة الأمس هو ما اعتاده طيلة حياته.. لم يأتِ كفراغ مريح أو غياب عن الوعي يغلفه في هدوء، بل كان ظلامًا ثقيلاً استمر إبراهيم في إدراكه وإبصاره خلف جفنيه طوال مدة تمدده بسريره.

كمن حُبِسَ بغرفة مظلمة.. عقله..

نهض من الفراش صباحًا مقاومًا صداع صارخ انطلق برأسه، عازمًا على إنهاء الرواية بأسرع وقت.

أحنقه فقدانه القدرة على الاستمتاع بها وأن الدافع الوحيد لاستكمالها أضحى الاضطرار..

أعدَّ قدحًا عملاقًا من القهوة وأشعل سيجارة وفتح الكتاب أمامه..

ثم شرع ينهل منهم جميعًا..

TW/ @Rabe3_elkotob

الفصل الحادي والعشرون

لم يترك الصوت لكريم أي مجال للشك. ارتعد وقد أدرك من وقعها أن صاحب الخطوات سيصل إليه الليلة. أضحى صوت الخطوات كطبول حرب أوشكت على الفتك بذهنه، تعلن إليه باستمرار أن صاحبها بات فاب قوسين أو ادني من الإمساك بابنه.

لن يتمكن كريم من مواجهته..

كيف اعتقد يومًا في إمكانية حماية ابنه بمجرد الاستلقاء بجانبه. كيف اعتقد في قدرته على الوقوف حائلاً بين ذلك المسخ الآتي إليهم وبين هدفه، أيًا كان. كم كان ساذجًا.. إن أي تفكير في إمكانية إبطاء ذلك الشيء ولو لحظات لهو شيء مثير للسخرية. الحقيقة أنه لا يملك فعل شيء. بات الصوت أوضح إليه من كلمات زوجته الجالسة بجانبه، كانت تتحدث إليه لتأتيه كلماتها كهمهمات مبهمة غير مفهومة. كان قد أدرك ما يتوجب عليه فعله، ولم يفكر به كثيرًا. إذ كان ذلك هو الحل المنطقي الوحيد الذي لم يملك فعل غيره.

يدعوه البعض بغريزة البقاء. ذلك النداء الذي يخبو لانطلاقه أي نداء آخر.. رسم بوجهه ابتسامة بالية قبل أن يلتفت لعائلته مخاطبًا عمر وهو يحاول التغلب على الارتجاف العنيف الذي سرى بجسده يحاول كشف أمره: عمر حبيبي ما ينفعش بقا موضوع إنّك تفضل تنام معانا كل يوم دا.. أديك شفت اهوه لا في وحش ولا حاجة.. أنا كنت بهزر معاك

TW/@Rabe3_elkotob

زي ما قولتلك.. لازم تبتدي تنام في أوضتك بقا من النهاردة.. ماشي..

حقير..

تضحية بشرية..

حقير..

ليس بوسعي فعل شيء حقًّا..

حقير..

لست أنا المقصود...

حقير..

ما ذنبي أنا..

حقير..

خلي ياسمين تصدق بقا..

حقير..

ما يمكن أكون بخرف ومجنون زَي ما هي بتقول، في الغالب مش هيحصل حاجة..

حقير..

ما يمكن دا يأكدلي صحة كلامها، وبعدها اخد علاج واخف..

حقير..

كلها كام يوم واتحسن وننسى كلنا الكابوس دا وترجع الحياة زى ما كانت من تاني..

حقير..

يلا يا عمر معاد نومك جيه.. أنا هادخلك السرير..

حقير..

TW/@Rabe3_elkotob

عاوز أفتكر أخد النهاردة حبيتين منوم..

حقير..

حقير..

حقير.

حقير..

حقير..

قام منتفضًا يقود عمر لغرفته، متجاهلاً نظراته المتوسلة إليه للنوم بجوارهما هذه الليلة أيضًا. التفت عمر لياسمين مُستنجدًا، بدت وكأن بينهما مسافات ضوئية. تردد كثيرًا قبل أن يلقي على والده بما يثقل صدره:

- بابا أنا مش عايز أنام لوحدي النهاردة، ممكن أنام معاكم.. النهاردة بس..

- عمر انت مش كبرت على الكلام دا.. واشمعنى يعني النهارده؟

قالها كريم باندهاش كاد من شدة إتقانه أن يصدقه شخصيًا..

- مش عايز أنام في أوضتي.. خايف..

- خايف من إيه؟

- منه..

أدركت ياسمين أن تأثير ما قام به كريم منذ أيام ما زال عالقًا بذهن ابنها، أجابته في عصبية: هو مين دا؟

نظر عمر لأبيه آملا أن يقوم بالرد عنه. ليقوم كريم بذلك بالفعل بنظرة اهتمام بالغة أظهرت جهله التام بالإجابة.

استجمع عمر شجاعته ليهمس:

- الشيطان..

TW/ @Rabe3_elkotob

نظر كريم لزوجته في ارتباك قبل أن يخبره: عمر خش أوضتك وبلاش كلام فارغ.. استعذ بالله من الشيطان وهو مش هيقدر يعملك حاجة أو حتى يقرب منك.. يلا قول أعوذ بالله من الشيطان الرجيم..

بكى عمر في حرارة، دون أن يتفوه بشيء. حمله كريم سريعًا وتوجه به للحمَّام، لم يرغب في أن يتسبب هذا المشهد في إبدال ياسمين لرأيها فتعترض لاحقًا على نوم عمر بغرفته الليلة..

حقيييييير..

غسل وجه عمر من أثار دموعه وأزال المخاط المنساب تحت أنفه قبل أن يحمله عائدًا لغرفته وسط نظرات ياسمين المترقبة إليهما..

صاح به بنبرة مسرحية يقصد بها إسماعها: فين بقا الشيطان دا.. والله ما في شيطان غيرك يا أخي..

نظر عمر لغرفته وقد بدا أفضل حالاً بقليل..

- هو مش موجود دلوقتي.. بس هييجي.. أنا عارف..

وضعه كريم بين أغطية سريره في صمتٍ. أشار في حزمٍ لياسمين التي كانت قد همت بالمجيء أن تمكث

مكانها. سيتعامل هو مع هذا الموقف، الأمور كلها تحت السيطرة استسلمت عازفة عن إشعال الموقف..

التفت لعمر وأخبره بصوت خافت: ما تخافش من حاجة يا عمور أنا هاسيب النور والع وهاقعد جنبك لحد ما تنام..

- بابا أنا عارف انه جاي.. أنا سامعه بيقرَّب.. جاي والله يا بابا أنا خايف..

أطرق كريم برأسه مظهرًا لعمر محاولته استراق السمع. أضحى صوت الخطوات قريبًا للغاية، لم يتبقَ له الكثير من الوقت.

TW/@Rabe3_elkotob

أخبر عمر بنبرة حملت كل الصدق: أنا مش سامع حاجة يا عمور..

- بس أنا سامعه.. هو جاي يا بابا.. بيقرب يا بابا.. بيقرب يا بابا..

استمر عمر على ترديده لهذا بينما كريم يمسح برأسه ويهدهده، حتى ,فف نداؤه بعد فترة ليتيقن عندها كريم أنه قد نام واستسلم لمصيره..

حقيــــــــــــير..

نظر لأرجاء الحجرة حوله باحثا عن مكان اختباء ذلك الشيطان..

لا شيء..

قام مغادرا الغرفة في سرعة، أغلق الباب من خلفه في هدوء تام حتى لا ينتبه عمر لصوت جريمته. أمسك بمقبض الباب في إحكام مبطئًا من ..رعة عودته لوضعه الأفقي مانعًا إياه من التلفظ بها قد يفضح فعلته..

ولتبدأ الخطوات فور قيام كريم بذلك في تغيير مسارها، وتتوجه نحو غرفة ابنه، متوقفة بهذا عن اللحاق بكريم لأول مرة منذ أيام..

فاجأه شخصيًا ما قام به فور انتباهه لهذا..

ابتسم في رضا بالغ..

حقيــــــــــــــيررر

TW/ @Rabe3_elkotob

الفصل الثاني والعشرون

استيقظ عمر على صوت باب غرفته الذي أغلقه والده من خلفه، أدرك بعد لحظات رعب مريعة أن استيقاظه كان في الأغلب بسبب الظلام الثقيل المخيم على أرجاء الغرفة، بدا له الليلة مختلفًا. امتلأت أركان الغرفة بألاف الشياطين، لم يضف الضوء الواهن المتسلل من أسفل الباب سوى بظلال مريعة أكدت له حقيقة أن مكان توالد تلك المسوخ بهذا العالم هو أسفل سريره، وأنها تتربّص به الآن في انتظار اللحظة المناسبة للانقضاض عليه. تجمَّد عمر واتسعت عيناه في رعب وهو يستمع لخطى والده المبتعدة عنه، حتي خبت تمامًا. بكي في صمت طويلاً، قبل أن يتهشم الهدوء الثقيل المخيم على أرجاء الغرفة بفعل تلك الخطوات التي تقترب.. خطوات حازمة باردة بدا من وقعها واضحًا أنها تخص الشيطان، تخص ذلك الوحش الذي سمعه أبوه منذ أيام وحذرهما منه، قبل أن يتركه الليلة لقمة سائغة له.

نادى على والديه في تضرع:

- ماما.. بابا..

لا شيء، هما نائمان، بعد أن تركاه وحده فى مواجهة ذلك الوحش القادم من أجله.. ومع ازدياد وقع الخطوات اقترابًا، ظهر أسفل باب الغرفة ظلٌ أسود كئيبٌ، أعاق بظهوره الضوء الخافت القادم لعمر عبره. حاول عمر النداء على والديه ثانية، إلا أن قبضة الرعب كانت قد تمكنت

TW/@Rabe3_elkotob

...ه تمامًا فخرج صوته مخنوقًا..

- ب...ا.. ما..

لا شيء، يقبعان الآن بعالم آمن بعيد، يحتفلان في الأغلب بنجاتهما..

راقب عمر مقبض الباب وهو يهبط ببطءٍ قارس قبل أن ينفرج باب غرفته وتبرز منه يدٌ.. أو بالأصح مخلبٌ..

قبل أن ينفتح باب غرفته فجأة، ليبصر عمر ذلك الشكل الذي لم يستطع تبين ملامحه جيدًا، وإن رسم له بخياله ألف صورة.

رجل عجوز قديم كالدهر، لا يحمل بجعبته سوى الشر.

وقبل أن يجد عمر القدرة على الصراخ، انقضَّ الشيطان عليه. اعتصر رأسه وطوح جسده محطمًا به جدران الغرفة دون أن يفلت يديه عن إطباقهما الكريه بفمه، كاتمة أنفاسه، مانعة إياه من الاستغاثة.. وفي صمت راقب عمر دماءه وهي تسيل على السرير بجواره، وذلك العملاق يقطع أطرافه الواحد تلو الآخر.

- لاااااااااااااااااااا

استيقظ كريم منتفضًا، حاول التقاط أنفاسه لتبدأ بالانتظام تدريجيًا مع إدراكه أن ذلك هو مجرد كابوس.. أشارت عقارب الساعة بجواره إلى أنها الرابعة صباحًا. فتحت ياسمين عينًا واحدة بعد أن أيقظها صراخه، حاربت ذلك الجبل من النعاس قبل أن تستسلم له ثانية متلفظة بكلمات أخيرة مبهمة.

فسَّر كريم منها ما يشبه: كوابيس تاني.. أخدت الدوا النهاردة..

ما الذي تتحدث عنه تلك اللعينة، كيف عرفت بأمر دوائه..

نهض وفتح الدرج المجاور له، ازدحم بالعديد من الأدوية التي لم يذكر حتى ابتياعها. تناول حبتين إضافيتين من المنوِّم ووضعهما بحلقه،

TW/ @Rabe3_elkotob

قبل أن يتوجه للمطبخ ويبتلعهما بمساعدة رشفة ماء باردة أشعرته ببعض التحسن فورًا.

تُرى أيحتفل غدًا باكتشاف كونه مجنونًا.. كم يتمنى ذلك..

توجه لغرفة عمر ونبضات قلبه تتلاحق. فتح باب غرفته مرعوبًا من سيلقاه بها، ليجد عمر نائمًا بسريره..

لم تلطخ الدماء أو الأشلاء أرجاء المكان.

أغلق كريم الباب من خلفه في سعادة عائدًا لغرفته لينام سريعًا بعد أن تسللت المهدئات لعقله وقد نسى مسبقًا ما أيقظه، وإن بقى شعوره بأنه قد أغفل شيئًا هامًا ما مستمرًا..

شيء لم يتمكن من إدراكه بتلك اللحظات القصيرة التي سبقت نومه في الأغلب لكونه لم يكن شيئًا موجودًا.

بل كان شيئًا مفقودًا..

فصوت الخطوات، لم يعد مسموعًا..

TW/@Rabe3_elkotob

الفصل الثالث والعشرون

صراخ.. عويل

استيقظ كريم مرتبكًا محاوِلاً إدراك سبب اختيار منبهه لتلك النغمة المبنة لإيقاظه اليوم. وصلت يده إليه وضغطت على زر إطفائه أكثر من مرة ليكتشف عدم قدرته على إخراسه. فتح عينيه محاوِلاً استعادة استيعابه لما يحدث حوله، ليدرك على الفور أن ذلك لم يكن صوت منبهه..

كانت ياسمين.. تطلق بصيحاتها من الغرفة المجاورة من دون توقف..

هرع إليها قبل أن يتمكن عقله من معنى الاتجاهات بعد، سار منحنًا تقوده أذناه أو بالأحرى مخاوفه تجاه غرفة عمر، ليبصر ذلك المشهد البائس أمامه.. أملت ياسمين عمر بين ذراعيها، كانت تخفقه في هيستيريا، ليتطوح هو بين ذراعيها كعروس من القماش البالي..

كانت تبكي في ذهول، غير مستوعبة ما يحدث وهي تصرخ من دون توقف: عمر، عمر، عمر، اصحى يا عمر..

ولكن عمر أبى أن يستجيب لها.. استمر في تجاهلها..

توجه إليه كريم وخطفه من بين ذراعيها ليفاجئه ازدياد وزنه عما اعتاده. وليفلت ابنه جراء ذلك من بين يديه ليسقط على الأرض..

ميتًا..

TW/@Rabe3_elkotob

الفصل الرابع والعشرون

لم يتخيل كريم أبدًا أن تصل به الحياة لذلك المكان، ليقوم به بذا
الفعل البغيض. أو بالأحرى ليشاهد كهلاً ما يقوم عنه بذلك الفع
البغيض في حماس، مقابل بضع جنيهات. يهيل التراب على جثمان ا
بعد أن وضعه ب... حفرة..

شعر بوحدة قاتلة وسط جموع المعزين الملتفين من حوله، ليس لكو
من فقد ابنًا أو لإدراكه أنه الضحية التالية لذلك الوحش القادم إل
بل لأنهم جهلوا جميعًا حقيقةِ أن ابنه مات مقتولاً. وأن والده هو م
تركه لذلك المصير، إنقاذًا لنفسه.. أتوا جميعًا يرتدون نظارات داك
يعلنون بها كم ما يحملوه من مشاعر حزن دفينة، مخبرين إياه أنهم يخفو
بها عيونًا متورمة ذابلة من كثرة البكاء. وكأنهم يكترثون حقًا. وكأنه
يعرف أن بداخل كل واحد منهم الآن شعورٌ بالامتنان لنجاته من مو
هذا. شعور عميق بالرضا وقد تذكروا أن المال والنجاح ليسا كل شي
ليشكروا الله على ما منَّ عليهم به، قبل أن يختفي شعورهم بعد يوم عل
الأكثر ويعود إليهم غضبهم ونقمهم من كل شيء كما كان. وكأن وفا
عمر هو درس اليوم المستفاد، هذا إن استحق ذلك الحدث أن يتدبرو
أصلا.. كم كره نفاقهم وتمثيلهم وغباءهم وسذاجتهم..

انفضت الجموع من حوله سريعا، تلقي عليه بكلمات عزاء تستأذ
بها الرحيل.

TW/ @Rabe3_elkotob

لم يسمعها كريم أو يهتم بالرد عليها. افاق من شروده على صوت ياسمين الملتاع وهي تهتف:

- احنا اللي موتنا عمر يا كريم.. سبناه في أوضته ينام لوحده.. والوحش استفرد بيه.. إنت كنت عارف.

- يا كريم مش كدا.. بتعاقبني اني ما صدقتكش.. أنا كمان شاركت في ده.. أنا كمان سبته لوحده،

بس أنا ما كنتش مصدقه.. انما انت.. انت كنت عارف يا كريم.

فضحه انتفاضه قبل أن يجيبها في خفوت:

- وحّدي الله يا ياسمين.. إيه اللي انتي بتقوليه دا.. انتي هتصدقي الخاريف دي..

- أنا حلمت بيه امبارح يا كريم.. شفت الوَحش دا.. كان واقف في أوضتنا... بيضحك..

قالتها وانفجرت في البكاء ثانية. بدت له أكبر من سنها بكثير، وقد امتلأ وجهها بالتجاعيد وتورمت عيناها من البكاء، لتبقى صورتها على هذا الحال هي كل ما سيرد ببال كريم لاحقًا، كلما حاول تذكرها..

فقد كانت هذه هي آخر مرة يراها بها..

TW/ @Rabe3_elkotob

الفصل الخامس والعشرون

سمع كريم وقع الخطوات ثانية، قبل أن يغادر مقبرة ابنه. تعلن إ
اقتراب ذلك الوحش منه مجددًا. لم يتمكن كريم هذه المرة من معر
هدف ذلك المسخ، هل هو قادم لياسمين أم أنه شخصيًا ضحيته التالية
حاول، أكثر من مرة، جذب ياسمين من على أرض المقبرة التي ارتم
عليها، قبل أن يبصر لأول مرة صاحب الخطوات.. رآه بالأفق بعيدًا..

وعندها، لم يعد معرفة هدفه مهمًا بالنسبة لكريم على الإطلاق.

فقد أدرك أنهم هالكون جميعًا.. اقترب العجوز الطويل النحيل منها
ببطء، يرتدي عباءة سوداء طويلة تخفي معظم ملامحه ويجرها خلفه ف
خيلاء. وعلى الرغم من استحالة الأمر- بسبب المسافة الهائلة الفاصلة
بينهما- سمع كريم وقْع كل خطوة له على الأرض.. شعر بها تزلزل كيانه،
تعلن إليه في ثقة وهدوء أن نهايته المروِّعة أضحت قريبة للغاية.. ارتجف
واستحالت ذراعاه لخرقتين من القماش لتفلت من بينها ياسمين، نظرت
إليه في استغراب..

تجاهلها كريم ووقف مشدوها، يحدق بذلك الشيء القادم إليه. قبل
أن يلتفت إليها محاوِلاً معرفة ما إذا كانت تشاركه ما يسمعه أو يراه بتلك
اللحظة. وعندما لم يبدو عليها أي من هذا، لم يتطلبه إدراك ما يتوجب
عليه فعله الكثير من الوقت.. ركَض على الفور، بكل قوته..

تاركا زوجته وحياته من خلفه..

دون أن يرى أيًا منهما ثانية..

TW/ @Rabe3_elkotob

الفصل السادس والعشرون

جلس كريم بذلك المقهى الذي كان قد عزم قديمًا ألا يعود إليه أبدًا. كان قد تراجع عن قراره هذا قديمًا، بعد مرور عدة أعوام على هروبه من مقبرة ابنه. بعد أن أدرك سهولة التردد على تلك الأماكن التي يعلمون بها يقينًا أمر جنونه، عوضًا عن التطرق لأماكن جديدة وإعادة تعريف ذلك لأشخاص آخرين..

أخبرته ساعته أنها الواحدة صباحًا، لم تخبره بما هو أكثر من هذا. أمكنه تخمين أنه فصل الشتاء، فالبخار المتصاعد مع أنفاسه ومن كوب القهوة الساخن أمامه لم يجعل ذلك عليه صعبًا، وإن ظلت معرفة الشهر الحالي بالنسبة إليه مستحيلاً.. تمايل دخان القهوة أمامه في دلال، كأنه امرأة لعوب تعده سرًا بدفء وسهر. امتدت أصابعه المرتجفة للإمساك بالكوب لتسكب معظم محتوياته على الطاولة أسفله، تراكم عليها العشرات من جثث السجائر حول طفاية لم تعد تتسع لها، ليقبع بالنهاية فوقها سيجارة شابة مشتعلة.. التفت حوله يرمق زبائن المقهى الذين لم يعروه أي اهتمام، أو بالأصح يقصدون تحاشي النظر إليه. راقب تلك الحسناء التي لم تكف عن القهقهة منذ أن قدمت للمكان، بدت له كمخلوق غريب لم يشاهده من قبل. تسمرت عيناه رغمًا عنه على تفاصيل ذلك الجسد عديم الهموم الفخور بانحناءاته.

التفتت إليه بعد أن شعرت بثُقل نظراته، لتتغير ملامحها فورًا من المرح

TW/ @Rabe3_elkotob

الأبله إلى الاشمئزاز. رمقه الشاب الجالس بجوارها بنظرة احتقار بلبه، قبل أن يميل تجاهه في تهديد جسدي واضح. أطاعه كريم على الفو، مخفضًا رأسه لكوب القهوة أمامه ملتمسًا له العذر. كان يعي ما يبا، عليه الآن حقًا.. ربما إن دققت تلك الحسناء النظر إليه قليلاً، لاستطاعـ تخمين كيف بدا منذ فترة ليست بالوجيزة. لا يلزمها لإدراك وسامته أ، أناقته السابقة سوى النبش قليلاً لاجتياز شعر ذقنه الأشعث وتجاه، نظرة الجنون الهيستيري التي تطل من عينيه و تناسي الجيوب السودا، التي تدلت منها وإغفال شعره الثائر المتنافر ويديه المرتعشتين وأخير التغاضي عن رائحته الكريهة التي أحاطت به منذ فترة طويلة، بعد أ، قرر أن الجلوس للراحة أهم بكثير من الاستحمام.. لم يشك لحظة أ، تشخيصها لحالته جاء سطحيًا للغاية، أما الجنون أو كونه مطاردًا م، الشرطة أو - في أفضل الأحوال- مدمنًا. كيف يمكنها إدراك الحقيقة، كيف يمكنها تخمين أن ذلك الشخص الجالس على بُعد عدة أمتار منها هارب من وحش يركض خلفه من دون توقف، منذ أعوام.. نظر لمدخل المقهى في ترقب وازداد تحفزه وهو يتابع اقتراب الصوت، يخبره أنه ما زال لديه القليل من الوقت قبل ظهور مصدره الذي دمَّر حياته. لم يكن ليفرط بأي من تلك اللحظات التي تفصله عن ظهور ذلك الوحش، سيرتاح بها قليلاً قبل أن يعاود الهرب ثانية. أنَّت قدماه وساقاه مسبقًا وقد أدركتا قرب انتهاء فترة ارتياحهما. لم تكن قد دامت لأكثر من دقائق..

ولكن سكونهما أضحى رفاهية لا قِبَل لكريم بها، إن أراد البقاء حيًا.

تجرَّع ما تبقى من قهوته سريعًا، قبل أن يخرج من بعض الأوراق المالية المهترئة ويلقيها على الطاولة أمامه دون أن يعدها. لمح بمحفظته صورة عائلية قديمة، يقف بها هو وياسمين وعمر بها ينظرون للكاميرا وهم يبتسمون في سعادة. حاول التغلب على دموعه وذكريات يوم التقاطها

يعبث بذهنه.

كيف وصلت به الأمور لهذا الحال؟!

أهو ذنبٌ ما اقترفه بحق ابنه..

رحماك يا ربي.. ألا تكفي ست سنوات من هذا العذاب.. ست سنوات من الهروب..

استبدلت ذكرياته تلك سيل آخر مرير لكل ما اجترعه من آلام بالأعوام الست الماضية. أتت إليه واضحة جلية وكأنها حدثت بالأمس. يركض بها جميعًا، فارًا من ذلك المسخ القادم خلفه.. بدأت بتركه لياسمين من خلفه بالمقابر راكضًا بأسرع ما يملك، لتتسع المسافة بينه وبين ذلك الشيء القادم خلفه شيئًا فشيئًا، حتى اختفى بعد فترة تمامًا. تساءل عندها في هلع عن الوقت الذي قضاه راكضًا. أراد معرفه المدة المطلوب ركضها حتى يختفي ذلك الصوت البغيض عنه. نظر لساعته ليجد أن أقل من ساعتين قد مضت عليه.. لا بأس.. يمكنه التعايش مع تلك الرياضة الجبرية اليومية، إن قام ببعض الاستعدادت.. فركضه وسط شوارع المدينة مرتديًا بدلة عزاء سوداء وحذاء كلاسيكي كان شيئًا لا يرغب في تكراره أبدًا.. شعر ببعض الطمأنينة وهو يستمع لصوت أنفاسه المتلاحقة ودقات قلبه، فقط. قبل أن يأتيه صوت الخطوات الكئيب ثانية، ليُدرك في هلع أن سكونه لم يستمر لأكثر من بضع دقائق.. لم يكن يقوى على احتمال المزيد من الركض، أشار لتاكسي مار بجواره وركب به دون أن يلقي على سائقه بوِجهته..

- نعم يا باشا رايح فين؟..
- ودّيني أي حتة.. إسكندرية..
- إسكندرية إيه يا عم؟!

TW/@Rabe3_elkotob

التفت إليه السائق مستنكرًا وهو يضيف:

- مش هينفع يا باشا.. معلش.. شوف حد تاني..

- هاديلك اللي أنت عاوزه.. خد دول تحت الحساب..

ألقى مع قوله هذا برزمة من الأوراق المالية بحجر السائق، ليبدّل رأ
فورًا ويقوم - كما جرت عليه العادة - بتشغيل المذياع بأعلى صوته تمه
للزبون الهام..

ليبدأ كريم مع رحلته هذه - لأبعد مكان خطر بباله حينها- رحلة
استكشاف مريرة أخرى، اكتشف عبرها كمًّا هائلاً من الحقائق المريعة
التي لم يكن ينبغي لأحد إدراكها، والتي لم تنتهِ حتى اليوم..

اكتشف يومها بذلك التاكسي أن استخدام أي وسيلة مواصلات
يجعل الوحش القادم إليه يتحرك بنفس سرعته، كأنما يصاحبه ذات
وسيلة الانتقال. تأكد من ذلك لاحقًا على متن طائرة متوجهة لبرلين،
حين اقتراب الوحش منه حتى كاد أن يمسك به، بعد أن حاصر كريم
نفسه بذلك الصندوق المعدني الطائر..

اكتشف أن قدميه كانتا الشيء الوحيد القادر على تغيير ما بينهما من
مسافات، ليمزقهما على الفور ركضًا..

من دون تردد..

اكتشف أن إعجاب أي مدير بموظفه المثالي لا يزيد عن واحد
وعشرين يومًا من التغيب بدون عذر..

اكتشف بعد شهر من التوقف عن العمل، أن البنك ارتأى عدم
استحقاقه لأجره..

اكتشف أن أكثر الزوجات حبًا وتفانيًا لن تتسامح أبدًا مع زوج تسبب
في مقتل ابنها، حتى وإن كان إنقاذا لنفسه..

TW/ @Rabe3_elkotob

اكتشف أن أكثر العائلات ترابطًا لن تتفهم أبدًا معنى أن يرحل أحد أفرادها راكضًا من دون تفسير لما يزيد عن الشهر..

اكتشف بعد شهرين من تغيبه عن المنزل أن ياسمين طلبت الطلاق..

اكتشف أن ثلاثة أشهر من الركض المتواصل كافية تمامًا لإبلاء أي حذاء رياضي، حتى وإن كان معدًّا خصيصًا للجري..

اكتشف أن الركض بحذاء بالٍ لمدة ستة أشهر كافية لإحالة قدميه لكتلة سيريالية دموية مشوهة..

اكتشف بعد عام من الركض أن النوم لما لا يزيد عن بضع دقائق متقطعة يمكنه أن يصيبك بجنون تام..

أكتشف أن غريزة الجوع أو العطش تكمن بمرتبة أقل كثيرًا من غريزة البقاء..

اكتشف كم كان سخيفًا عندما اختزل احتياجاته قديمًا في سيارة جديدة أو في منزل أكبر..

اكتشف أخيرًا قدرة الخوف الهائلة على منع جسده من الانهيار تحت وطأة الألم والإنهاك والجوع..

مهما طال بهم الزمن..

TW/@Rabe3_elkotob

الفصل السابع والعشرون

توقف كريم بعد عامين من الركض المتواصل أمام احتمال ازداد إليه إلحاحًا ومصداقية بمرور الوقت. توجَّه بفعله لمستشفى العباسية للأمراض النفسية مترددًا، علّ زيارته تكشف إليه حقيقة إصابته بمرض عقلي ما. أمل ساحر لم يملك تصديقه لكنه ذهب إليها رغم ذلك..

التقى هناك بذلك الطبيب الشاب والذي حاول كريم مساعدته بكل ما ملك من قصص وذكريات علها تؤدي لتشخيصه بالجنون، الأمر الذي لم يتطلبه في الحقيقة الكثير من المجهود، فقد ظهرت أعراض تهيُّجه مبكرًا قبل دخوله لحجرة الطبيب حتى، حين لكمَ مريضًا حاول استباق دوره والولوج قبله لحجرة الكشف مطلِقًا نافورة من الدماء من أنفه. ألم يخبر ذلك الجاهل منذ لحظات بوضوح أنه لا يملك ما يهدره من وقت؟!

أدخلته الممرضة بعدها لغرفة الكشف فورًا، ليجلس بها أمام عيني الطبيب المتفحصة.. لمح الطبيب ثيابه البالية ورائحته الكريهة وذقنه وشعره الأشعثين على الفور، لم يخف عليه كذلك إدراك توتره وتقافزه وارتجافه.. تمنى كريم لو انه ملك من الوقت ما يكفي لسرد كل اهواله له، إلا ان صوت الخطوات القادم إليه كان قد اقترب كثيرًا جراء بقائه بمكانه طوال زمن الجلسة مما دفعه للإفراغ بالعناوين الرئيسية فقط لكابوسه..

خطَّ الطبيب أثناءها بالكثير من الكلمات على الملف أمامه، لم يبذل أي جهد لمحاولة إخفائها، في الأغلب لكونه لم يعتَد أن يأتي إليه هاهنا من يفقه معنى تلك المفردات الطبية. قرأها كريم مدركًا معنى بعضها بالفعل..

TW/ @Rabe3_elkotob

Delusion of persecution
Auditory and visual hallucination
Guilt feelings
Poor self hygiene
Irritability
Physical violence
Diagnosis: paranoid schizophrenia
For admission

استمع كريم للطبيب الذي حاول إفهامه:

- المرض اللي عندك اسمه فصام ذهاني.. فصام.. مش انفصام.

ابتسم قبل أن يضيف إليه:

- يعني مش موضوع الشخصيتين والكلام الفارغ بتاع السينما دا.. أعراض الفصام الأساسية هي الضلالات، ودي بتبقى فكرة خاطئة ثابتة عند المريض بيبقى مستحيل تغييرها، المريض بيبقى مقتنع تمامًا انها حقيقية.. وعشان كدا أنا عارف انك مؤمن تمامًا ان في حد مراقبك وبيجري وراك.. مش هحاول اناقشك في دا.. العرض الثاني للفصام هي الهلاوس، ودي بتبقى إدراك حاجات ملهاش وجود أصلاً.. زي في حالتك انت انك بتسمع صوت خطوات أو انك بتشوف شخص بيتابعك..

قاطعه كريم: والله يا دكتور أنا نفسي أصدّق.. بس لو هو ما لوش موجود.. قتل عمر ازاي..

- أنا ما اعرفش عمر مات من إيه ولا ازاي.. وإن كانت صدمة عصبية بسبب الرعب الرهيب اللي عاش فيه ليلتها وهو قاعد مستني وحش جاي يقتله، أمر غير مُستبعد..هو كان عنده مشاكل في القلب؟

TW/ @Rabe3_elkotob

شعر كريم بالأرض تهوي من تحته. كيف نسي هذا.. تذكر تلك الكلمات القديمة التي أخبره بها طبيب وياسمين تبكي إلى جواره بيوم ما مضى منذ عصور: وعشان كدا بلاش أي انفعال قوي عليه..

تحذير فقد الكثير من سلطته وأهميته بعد مواقف حياتية اجتازها عمر جميعًا بنجاح، تدرجت من إهمال صراخه وبكائه اللذين أساء استعمالهما كثيرًا مع إدراكه لقلق والديه الزائد عليه، وصولاً لركوبه ألعابًا كُتِب عليها بخط واضح «لا ينصح بالركوب لمرضى القلب»...

ليتوارى بمرور الأعوام تشخيص الطبيب حتى وصل بالنسبة إليها لخانة الأخطاء أو المبالغات الطبية..

تذكَّر عمر قبل وفاته بأسابيع، وقد رسم بوجهه الصغير أقسى علامات الحنق التي أمكنه اصطناعها قبل أن يمسك بالجانب الأيسر من صدره متأوهًا وهو يهتف: بابا الحتة دي واجعاني..

تعبير وتصريح اعتاده كريم وتعلّم وجوب تجاهُله، خاصة بعد أن أوضحت له المحاولات السابقة نتيجة الاستجابة لأيٍّ من توسلات ابنه والهادفة لكسر أي قانون موضوع.

انتفض كريم وقد خطرت بباله فكرة مروعة.. هل قتل ابنه؟ هل زاد من رعبه ليلتها بصوت خطواته المتوجهة إليه، أو مع فتحه لباب غرفته حين أراد الاطمئنان عليه؟ ايكون ذهابه لغرفة عمر ليلتها هو ما تخيَّله عمر بأنه الشيطان قادم إليه؟

انتفض ثانية مدركًا أنه لن يعرف إجابة تلك الهواجس أبدًا، ستظل تنهش عقله إلى الأبد.. لم يَحتَجْ الطبيب النفسي لما هو أكثر من ذلك. أخبره:

- إن كنت عايز تحليل نفسي من بتوع فرويد، فهاقولك ان الذنب اللي نتج عندك من فكرة انك شاركت في قتل ابنك هو اللي سهَّل استسلام عقلك للمرض.. ما فيش حاجة أقوى من عقدة الذنب في قدرتها على

TW/@Rabe3_elkotob

تدمير الذهن..

صمت قليلاً قبل أن يضيف: الجزء المبشر في حالتك هو إن العلاج الدوائي موجود وفعال، خصوصا إن دي النوبة الأولى للمرض.. المفروض انك تتحجز بالمستشفى.. حالتك تستحق دا.. بس إذا وعدتني إنك هتلتزم بالعلاج وبالمتابعة الاسبوعية في العيادة الخارجية.. أنا هاديلك فرصة انك تتعالج برا.. وهاستناك الأسبوع اللي جاي وتقوللي إيه الأخبار.. هاه، قلت إيه؟

ارتجف كريم لتخيل إمكانية بقائه محبوسًا بالمستشفى، ينتظر وصول ذلك المسخ إليه..

ماذا لو كان الطبيب مخطئًا؟ ماذا لو أن ذلك الشيء حقيقي؟

هتف على الفور: أوعدك يا دكتور.. بس بلاش حجز أرجوك..

ابتسم الطبيب في رقة، قبل أن يكتب على الروشتة أمامه مجموعة من الأدوية وهو يخبره:

- الدوا الاولاني دا هتاخده مرتين في اليوم، مرة الصبح ومرة بالليل، والدوا التاني دا ثلاث مرات في اليوم والأخير دا قبل النوم.. ألف سلامة عليك يا أستاذ كريم..

قالها بنبرة صادقة أشعرت كريم ببعض الارتياح بالفعل..

هو مجنون إذن..

سيطمئن حقًا إن قضت تلك الأقراص الصغيرة على ملامح كابوسه بالفعل..

إن اختفى ذلك الصوت المقيت الذي اقترب منه كثيرًا بتلك اللحظة..

حمل أدويته مغادرًا المستشفى، التقط من بينهم قرص الظهيرة وابتلعه على الفور..

قبل أن يركض هاربًا..

TW/@Rabe3_elkotob

الفصل الثامن والعشرون

اختفى صوت الخطوات لاحقًا بالفعل، هدأ كريم وبدأ نومه في التحسن بعد بضعة أيام من تناوله للدواء.

حلم جميل تمنى لو أنه استمر أكثر من هذا، لكنه انهار سريعًا.

بسبب قرص آخر.. نسى تناوله..

جرعة واحدة أغفل تناولها في موعدها، أدرك بعدها كريم كم اقترب ذلك الوحش منه. حين أبصره على بُعد خطوات منه وقد استحال صوت خطواته لطبول حرب تدق أذنيه. لحظات قليلة أخرى كانت كافية لأن يحكم ذلك الوحش من قبضته عليه.. هرع كريم هاربًا، مدركًا أنه لم يكن مريضًا أو واهمًا أبدًا، وأن كل ما قام الدواء بفعله هو أنه كتم صوت الخطوات وأخفى صاحبها عنه، وإن بقى لحاقه له واقعًا لا يحتاج لإدراك كريم لاستمراره. كاد أن يلقى بنفسه بمخالب ذلك الوحش حين كفر بما يوقنه جيدًا.. لعل السبب الأساسي لبقائه حيا حتى اليوم هو نسيانه تناول تلك الجرعة.. ذهب بعدها لذلك الطبيب، قذف أقراصه اللعينة تلك في وجهه:

- الأدوية دي بتخليه يختفي ، مش بسمع صوته.. ما بعرفش هو فين.. إنت إيه؟ بتساعده؟.. أنا لازم أفضل شايفه.. أنت فاهم.. لازم أفضل عارف هو فين، وقرب مني قد إيه؟

رد عليه الطبيب في برود:

TW/ @Rabe3_elkotob

- أنا آسف جدًّا يا أستاذ كريم.. الظاهر كدا اني غلطت لما افتكرت انك ممكن تكمل علاجك برا.. أنا هضطر أحجزك...وصدّقني دا كله عشان مصلحتـ...

لم يكمل الطبيب جملته، انطلقت من فمه الواثق بِركة من الدماء عوضًا عن باقي كلمات جملته بعد أن لكمه كريم، قبل أن يهرب من المستشفى صارخًا:

- عايز تحبسني.. عايز تسلمني ليه؟..

ليستكمل كريم بعد ذلك رحلة عذاب استحال بها تدريجيًا لما آل إليه اليوم.

استمرت الذكريات المريرة في التسلل إليه، وقد ركض بها جميعًا من دون توقف. ليلاً ونهارًا، صيفًا وشتاءً، غارقًا في عرق غزير أو مرتجفًا من البرد، تحت شمس حارقة أو وسط أمطار منهمرة، بشوارع مدينة مزدحمة أو بين نجوع لا يدري لها اسمها.. تقترب بها جميعًا تلك الخطوات منه، حتى وصل اليوم أخيرًا لذلك المقهى.. كان قد قرر اليوم اكتشاف شيء جديد، شيء أخير، سينهي هذا الكابوس بصورة أو بأخرى.. غادر المقهى وركض طويلاً حتى وصل لمكان مهجور بذلك الوقت المتأخر من الليل. اتكأ لاحثًا على اليافطة بجواره والتي أخبرته أنه بطريق مصر إسكندرية الصحراوي، الكيلو الخامس والثلاثون. لم يعبأ لهذا، حاول التقاط أنفاسه والاستعداد لما قرر فعله.

صوت الخطوات الذي كان قد اختفى منذ لحظات بدأ في الاقتراب منه ثانية. تحسس كريم مسدسه الذي كان قد اشتراه يومًا ما لم يعد يذكره من أجل تلك اللحظة خصيصًا. أمسك به والتفت تجاه مصدر الصوت القادم إليه مترقبا. أبصر صاحبها ثانية قبل أن تبدأ انفاسه بالانتظام حتى..

TW/@Rabe3_elkotob

شاهد اقترب ذلك الوحش منه، حاول تجاهُل الرعب الصارخ في أن يستكمل هروبه، وأن مصيرًا آخر خير من الوقوع فريسة لذلك الوحش.

قاوم ذلك النداء في إصرار مدركًا أنه لن يقوى على اتخاذ قراره هذا ثانية قبل عدة أعوام، سيستمر عبرها ذلك الكابوس. وهو لم يعد يقوى على احتمال المزيد..

حين أضحى الوحش على بعض أمتار قليلة منه، أطلق عليه كريم بعض الأعيرة النارية دون أن يتوقع لها تأثيرًا حقًا. ليستمر اقتراب الرجل العجوز منه بالفعل دون أن يطرف له جفن، ناظرًا إليه بعينين حادتين كريهتين حتى وصل أخيرًا إليه، في هدوء تام..

أغلق كريم عينيه متضرعًا ألا يكون العذاب الذي ينتظره بالبشاعة التي تخيلها طويلاً، خارت ساقاه وجلس على الأرض مستسلمًا لمصيره..

قبل أن يستمع في هولٍ بعد لحظات قليلة لصوت الخطوات وهي تبتعد عنه.. تعلن مغادرة صاحبها.. فتح عينيه في ذهول غير مستوعب ما الذي يحدث، ليشاهد المسخ العجوز وهو يبتعد عنه بذات الهدوء والبطء والرتابة التي طالما لاحقه بها.

صرخ كريم في عنفٍ رافضًا استيعاب ما الذي يعنيه ذلك. ركض خلف ذلك المسخ ممسكًا بعباءته، وجذبه إليه مرارًا. دون أن يتمكن من إبطاء ابتعاده عنه، ولو لحظة..

الفصل التاسع والعشرون

انهار كريم على الأرض باكيًا وهو يستوعب -رغمًا عنه- تفسير ما حدث..

لم يكن الرجل العجوز القادم خلفه وحشًا..

لم يكن شيطانًا..

لم يكن رجلاً حتى..

بل كان الموت..

يقترب منه في كل يوم خطوات.

يقترب من الإمساك به مع كل لحظة تمر عليه..

يقترب من اللحاق به مع تتابع دقات الساعة..

يحوم حوله بانتظار يوم موعود ينقضّ عليه به..

مثل كريم في هذا مثل أي شخص آخر..

لعنة كريم كانت فقط في إدراكه..

كابوسه كان القدرة على إبصاره وسماع صوته، حتى أضحى الهروب منها هو هدف كريم الأوحد الذي منعه من التفكير في أي شيءٍ أو أي شخصٍ آخر..

لقد أهدر حياته محاوِلاً مراوغة الموت..

يا له من سبب..

TW/@Rabe3_elkotob

ازداد بكاؤه حدة مدركًا أن إهداره لحياته جاء قبل بداية ذلك الكابوس أساسًا، وبسبب خوفه أيضًا..

إهدار كريم لحياته بدأ قبل سنوات من رؤيته للموت الزاحف خلفه، حين ترك خوفه من المحيطين به وتقييمهم له يتحكم بحياته.. حين تراكم خوفه من الفشل ومن الاحتياج توجيهه..

بدا له بتلك اللحظة أن إهدار حياته هربًا من الموت لهو أكثر قبولاً ومنطقية من كل تلك الأسباب السخيفة الأخرى..

وإن لم يعد السبب مهمًا حقًّا.

فالنتيجة واحدة.. لقد أهدر حياته..

توقف بكاؤه فجأة وقد أدرك أنه لم يفقد كل سيطرته على مجريات الأمور..

ما زالت لديه القدرة على تغيير نهايته..

لديه القدرة على التحكُّم بمسار ذلك الوحش الذي يسير الآن مبتعدًا عنه..

يمكنه أن يمنعه من مغادرته له بذلك التعالي والاحتقار..

يمكنه أن يرغمه على أن يأتيه طائعًا..

رفع مسدسه، موجهًا فوهته الباردة لرأسه..

ليستدير الرجل العجوز فورًا ويتجه إليه، لم يسر باتجاهه في هدوء هذه المرة كما اعتاد كريم طويلاً..

بل كان يركض.. كالمجنون..

هرع إليه بسرعة تزامنت مع التصاق فوهة المسدس لرأس كريم وضغطه لزناده مؤذنًا بخروج رصاصة تمنى أن تخترق عقله لينتهي بعدها

TW/@Rabe3_elkotob

كل شيء..

نظر إليه كريم مبتسمًا في هدوء وقد أسعده إلقاء أوامره عليه أخيرًا..

أغلق عينيه في استسلام، ليخرج الرجل الهرم منجلاً من بين طيات عباءته..

حَمَله عاليًا هارعًا باتجاهه قبل أن ينقض علي كريم ويمزقه إلى أشلاء..

ليغلف كريم بعدها، سكونٌ وظلامٌ دامسٌ..

ساد إلى الأبد..

تمَّت

TW/@Rabe3_elkotob

الفصل الثلاثون

أزاح إبراهيم الرواية جانبا، نفث بدخان سيجارته الخامسة والعشرين مفكرًا فيما أنهاه توًّا. لا بأس بها، وإن كان لا يدري استحقاقها لجائزة مسابقته حقًا. أحنقه إدراك فقده لحرية الاختيار وأن جواب هذا التساؤل لم يعد مهما على الإطلاق. كان عليه مقابلة كريم هذا، بأي ثمن. فليأمل فقط أن تتكفل النقود بإقناعه بالمجيء، وأن يحمل لقاؤهما بالفعل حلا لذلك المأزق الذي وقع به.

فعقله، يخبره منذ ساعات أن الموضوع صار أكثر تعقيدًا من ذلك بكثير.. أحضر بعض الأوراق وخط عليها أفكاره وتحليلاته لتلك الرواية الكريهة، أحنقه إدراك أنه سيذيلها لاحقًا باسم شخصٍ آخر. حملت الصفحات المتتالية الكثير من التفسيرات لرموز لم ينتبه لها في حينه. دونها جميعا، دون أن يدري إن كان قد قصدها المؤلف حقًا أم أنه قد بالغ شخصيًا في تفسير ما حملته صفحات تلك الرواية. وإن أفقده البحث عن تلك الرموز الاهتمام بتفسير قصد المؤلف لها، وكذلك فعل بإحساسه بمرور الوقت.

أفاقه رنين الهاتف من شرود لم يدرِ كم دام عليه به. كانت بسمة..

- آلو..

- آلو ازيك يا بسمة؟ إيه الأخبار؟

- تمام كله كويس.. إيه يا إبراهيم اتأخرت علينا كدا ليه.. أنت مش قولت يومين بس.

TW/ @Rabe3_elkotob

- طيب ماهو...

بتر بجملته في شك وهرعت عيناه لشاشة الهاتف، أخبرته أنه قد مضى عليه بالصومعة ثلاثة أيام.

حاول إخفاء ارتباكه وهو يجيبها:

- معلش الوقت سرقني.. أنا جاي.. بكرة إن شاء الله.

- تيجي بالسلامة.. أنت وحشت الولاد جدًّا.. يالا كلنا في انتظارك..

أغلق الهاتف دون كلمات وداع، مدركًا أن اللباقة والعادة تشترطان عليه سؤالها إن كان مَن افتقده حقًا هم الأولاد فقط، لكنه لم يستطع القيام بذلك.

جلس يستكمل رص ما أتاه من أفكار، عالمًا - لسبب ما - إنها لن تجد طريقًا إليه لاحقًا، قبل أن تظلم الدنيا من حوله فجأة.. لم يكن انقطاعًا للتيار الكهربائي وهو الأمر المعتاد هاهنا، إذ كان الظلام المحيط به الآن أكثر قسوة من ذلك بكثير. قام متخبطًا يحاول التوجه للشرفة ليفتحها حتى يتسلل منها بعض الضوء. أربكه ذلك الحائط الذي تحسسه أمامه وأعاقه عن بلوغ هدفه. أقلقه فقدانه للإحساس بالاتجاهات في مكان مألوف كمنزله. استدار لتمسّ يده الممتدة أمامه على الفور حائطًا آخر.

لم يكن قد خطى خطوة واحدة..

هو بتابوت.. لقد دُفِن حيًا..

أخبرته أنامله أن ما تتحسَّسه ليس صندوقًا خشبيًا وإنما جدارًا صخريًا، ليدرك الحقيقة على الفور.. هو بقاع الحفرة.. حاول تذكُّر كم مضى عليه بها. قبل أن ينسج إليه عقله بتفاصيل حياة لم يعشها أبدًا، حياة أجود من أن تكون حقيقية. كيف صدَّق أنه كاتب مشهور وأستاذ جامعي مرموق. كيف صدَّق أنه متزوّج بشابة رائعة الجمال وأنهما رُزِقا بطفلين ملائكيين،

TW/@Rabe3_elkotob

وأنه يمتلك فيلا عملاقة وأسطولاً من السيارات، ويختًا ومنازل متفرقة بشواطىء أوروبا..

هلاوس.. هراء.. هو هنا منذ الأبد.. لم يحيا أبدًا سوى بهذا العدم وهذا الظلام..

ورغم استيعابه الهادىء لتلك الحقيقة، صرخ رغما عنه..

لاااااااااااا

استيقظ إبراهيم على صرخة انطلقت من عالم الكوابيس وتردد صداها عاليًا في عالم الواقع. شهق برئتين جائعتين محاوِلاً ابتلاع ما أمكنه من هواء. انتفض من على كرسيه لتتساقط الأوراق من حوله ويسقط الكتاب مفتوحًا عند قدميه.

حين لمح تلك الصفحة التي اختارت الرواية أن تنفتح عليها، أدرك إبراهيم على الفور أن كل تحليلاته وتفسيراته لتلك الرواية لم تكن مبالغة، كل ما أصابه منذ أن اطلع عليها كان مقصودًا. كل ما حدث له منذ قرأته لمحتويات ذلك الظرف اللعين لم يكن مصادفة، كل شيء تبع لحظة فتحه له قاده بإحكام لتلك اللحظة.

ليلمح هذه الصفحة حالاً، بعد أن فرغ من قراءة الرواية وقام بتحليل رموزها، مرغمًا. وإن صَحُب إدراكه لكل هذا راحة غريبة. راحة اليائس الموقن من عدم جدوى أي شيء سوى الاستسلام. لم يعد يكترث لشيء حقًا، ولا حتى لقائه المرتقب بكريم. فهو لم يعد مهما لهذه الدرجة..

على الأقل لم يعد الهدف منه هو معرفة سر وجود مقالته بذلك الكتاب، إن توجب علي إبراهيم لقاء كريم حقًا، فالسبب وراء ذلك أضحى أكثر موضوعية بكثير..

عليه فقط أن يسأله، عمَّا يتوجب عليه فعله..

بما بقى له من حياة..

TW/ @Rabe3_elkotob

الفصل الحادي والثلاثون

وصل إبراهيم لمنزله منهَكًا، شعر وكأنه جاب أرجاء الأرض قبل العثور على وِجهته. نومه القلِق طوال الليالي السابقة كان قد ترك أثارًا عميقة بذهنه وملامحه، زادها وضوحًا كم ما استهلكه من أقداح القهوة والسجائر طوال الأيام الماضية. غفل بطريق العودة أكثر من مرة، ليفق على وابل من السباب ألقاه عليه سائق مفزوع غاضب.

حدث الأغرب قبيل وصوله لبيته، مع اعتقاده أن مفاجآت الطريق قد انتهت. حين وجد نفسه بالحي الذي يقطن به ويحفظ ملامحه جيدًا، من دون فكرة عن مكان تواجده حقًا. أدهشه تصارُع الشعورين داخله. تلك الألفة العارمة مع ذلك الاستغراب التام. كان على بُعد أمتار قليلة من منزله يشعر كأنه بعالم آخر. لم يتخيل أبدًا أن يصل به الإرهاق وانعدام التركيز لهذا الحد.. وجد فيلته أخيرًا، دلف إليها يجر قدميه ليلقى بسمة والأولاد في خفوت. تفهمت بسمة سببه في يسر، مبررة لنفسها بأنه قد أجهد نفسه في العمل كالعادة. في حين تجاهل الأولاد إنهاكه تمامًا، ليأتي سؤالهما عن وجهتهم هذا المساء حماسيًا كالعادة. وقبل أن يهم إبراهيم بالاعتراض ويخبرهما بأنه لن يحرك اليوم ساكنًا، وجد نفسه يرد عليهم:

- السيرك..

نظرت إليه بسمة في دهشة دون أن تنطق، وحينما لم يعترض ولداه صائحين به أنهما قد ذهبا إليه منذ أيام قليلة، أدرك إبراهيم كم راق لهما حقًا، وأنه قد فرض على نفسه توًا الذهاب إليه ثانية.

TW/ @Rabe3_elkotob

لم يستوعب سر تفوهه بذلك. لمَ لم يختَر مكانًا أقرب؟ لمَ يُعِد ذات النزهة ثانية؟ لم يشعر بتلك الرغبة في الذهاب إلى هناك مرة أخرى؟

قطع سيل تلك التساؤلات جذْب كريم وياسمين له، يحاولان إنهاضه بعد أن انتهيا من ارتداء ملابسهما سريعًا. لم يدرِ كيف وجدَ بداخله ما يكفي من الطاقة للنهوض. جرَّ قدميه حتى بلغ سيارته، قادها وسط شوارع المدينة المزدحمة حتى وصل للخيمة الزرقاء العملاقة، والتي ما إن رآها حتى تأكد من حقيقة النداء الغامض الصادر عنها إليه.. جلس بأحد الصفوف الأمامية متوسطًا ابنيه، وراقب استمتاعهما وانبهارهما مجددًا بكل فقراته وكأنهما يشاهداها لأول مرة، قبل أن ينغرق في تفكير عميق. طغى على كل تلك الألوان والموسيقى المحيطة به.

ما الذي سيفعله بالأيام المقبلة؟ هل يعلن نتيجة مسابقته غدًا؟ ولِمَ لا؟ لن يأتي تأجيلها بأي جدوى.

لا يهم ما سيجلبه تصرفه هذا من تساؤلات حول جدية المسابقة، أو حتى إن عصف إعلان الفائز بها بمصداقية الجائزة بأكملها، هو الذي لم يعلن تشكيل لجنة حكامها بعد. فلا بد من من لقاء كريم هذا، وبأسرع وقت. لا يهم إن اتضح كونه مؤلفًا مغمورًا يملأه الحقد أو قاتلًا متسلسلًا ذا خطة عبقرية أو حتى مبتزًا ذا قدرات خاصة مكَّنته من التنبؤ بما سيكتبه إبراهيم يومًا ما. إن مخاطرة لقاء أي من هؤلاء تتضاءل كثيرًا أمام احتمالية ألا يجد إبراهيم ما يحتاجه من إجابات.

فالخيار الثاني يحمل بين طياته احتمالية إصابته بالجنون..

أفاق من خضم أفكاره على مشهد مهرِّج يحمل ابنه ويعيده للكرسي بجواره. لم ينتبه إبراهيم للحظة اصطحاب ذلك المهرج لابنه لوسط ساحة السيرك العملاقة. لا بد أنه قد طلب متطوعًا يشاركه فقرته فاستجاب كريم في حماسٍ كالعادة. هاجم إبراهيم ضيقًا حادًا لرؤية ذلك

TW/@Rabe3_elkotob

المشهد، كيف سمح لغريب تختفي ملامحه خلف طبقات من المساحيق بأن يحمل ابنه ويلهو به وسط ضحكات المئات من البلهاء. استمر ضيقه لفترة، يمسح بها على رأس كريم قبل أن يكتشف في دهشة أن مقالته الرابعة قد اختمرت بعقله.. بل وأن فكرة روايته الجديدة قد وُلِدَت، عبقرية متكاملة عملاقة.

تدور أحداثها بالسيرك، بطلها مهرج. أما فكرتها، فهي عبقرية بحق..

لم يرغب في مجرد إعادة سرد حبكتها بعقله، خشى أن يتسبب ذلك في أن يلمحها أحدهم فيسبقه إليها ويكتبها قبله شخصٌ، ككريم الحفراوي.. هل يفعلها حقًا؟ هل يرسل إليه بتلك الرواية، قبل أن يتمكن إبراهيم من الانتهاء منها؟

لن يسمح له إبراهيم بتكرار فعلته. إن حدوث ذلك بمقالته شيءٌ وتكرارحدوثه مع أعظم رواية أتت بباله شيءٌ آخر كلية. لن يسمح لأي شيء أو أي شخص بإعاقة خروج تلك الرواية إلى النور حاملة اسمه.

مهما تطلَّب الأمر.. وإن تشكك كثيرًا في قدرته على خطِّ سطر واحد بها وهو يتساءل بكل لحظة منها إن كان ما يسطره الآن قد كتبه شخص آخر مسبقًا. منذ سنوات ربما.. لن يحتمل تلك الهواجس والظنون كثيرًا. لا بد من لقاء كريم هذا حتى يفهم منه سِرَّ ما حدث، وحتى يتأكد من استحالة حدوثه مرة أخرى، ليستعيد السيطرة على نفسه..

نهض عازمًا على الرحيل، يجر ولديه من خلفه وقد أحنقهما مغادرة السيرك قبل انتهاء فقراته.. كانت كلمات مقالته الرابعة تملأ عقله في تلك اللحظة، أدرك استحالة النوم رغم إنهاكه قبل الفروغ منها..

هرع لمنزله، دون أن يدري أنه سيعرف سر كل شيء قريبًا بالفعل..

وان كانت فكرته المتفائلة عن استعادة السيطرة على نفسه هي آخر ما يمكن أن ينجم عنه..

TW/@Rabe3_elkotob

الحفرة
المقالة الرابعة

ما حدث أولاً كان رغبتي في كتابة رواية جديدة. رواية اجتماعية، يلتقي فيها بطلنا بالعديد من الحسناوت التي تعشقنّه الواحدة تلو الأخرى ويتصرف بها بطلنا كأحد نجوم المسلسلات التركية..

تبدأ روايتنا بتوقُّف بطلنا أمام «بوستر» بأحد الشوارع ليتأمل صور ذلك الوسيم المرتدي لآخر بدل «hugo boss» وقد ظهرت من بين ثناياها بطنه المقسمة إلى ست عضلات مشدودة وصفف شعره بطريقة بدت غريبة للغاية.. بدا الرجل غنيًا سعيدًا وناجحًا للغاية، فقد أحاطت به ثلاثة عشرة عارضة أزياء، يرتدين جميعًا «مايوهات بيكيني» حمراء.. ليدرك بطلنا بتلك اللحظة فورًا ما ينقصه ليصبح رجلاً ناجحًا سعيدًا..

آخر بدل «hugo boss»..

ربما نفس عضلات البطن مشدودة ، وقصة شعر..

لا أستطيع مجادلته كثيرًا.. فهذا الإعلان قد شاهده كل من سار بهذا الشارع.. هناك ٩٦٧٨٩٢٣٤ نسخة أخرى منه، فهو جزء من حملة عالمية وموجود بكل مكان على سطح هذا الكوكب..

شاهد مديره وحبيبته وأمه وأصدقاءه وزوجته وأحلامه جميعًا ذلك الإعلان وحفظوه جيدًا حتى أضحى تعريف الرجولة والنجاح والجاذبية بالنسبة إليهم جميعًا واحدًا، وهو ما يكمن بإطار هذه الصورة.

يبتاع بطلنا تلك البدلة بالفعل، ليقدِّر مديره أخيرًا حُسن مظهره الذي يعكس الذوق الراقي للشركة، ويرقِّيه لمنصب مدير قسم التسويق

TW/ @Rabe3_elkotob

الجديد. تثق به أمه وزوجته وحبيبته وقد اقتنعوا أخيرًا أنه أضحى رجلاً ناضجًا مسؤولاً يمكنهم الاعتماد عليه. يحترمه أصدقاؤه، فمن يرتدي بدلة كهذه لابد وأن يكون ناجحًا فيما يقوم به، لا بد وأنَّ مجتمعه يحترمه، لابد وأنه على صِلة بالطبقة الأرقى.. حدث كل ذلك، فقط لأنه ارتدى البدلة المناسبة.. كون التعريف الوحيد الذي يمتلكه الآن للنضج هو:

«إهدار النقود على البدل لهو أنضج من إهدارها على أسطوانات الـ«DVD» ، لا يعني لهم شيئًا.. فالكل يرغب بتلك البدلة وتلك البطن المشدودة، مهما كلفهم الأمر.. لو أن سعر البدلة تقارب دخلهم السنوي، لو عني الحصول عليها أن يعملوا ساعات إضافية، لو لم يكفِ دخلهم واضطروا للسرقة أو الاختلاس أو الاقتراض، لو عني الحصول عليها أن يؤجلوا استمتاعهم وهوايتهم أو حتى الاهتمام بأولادهم وحياتهم، لو أن عضلات البطن المشدودة تطلب تناولهم أدوية مذيبة للدهون تدمر ذكورتهم وكبدهم وكليتهم، فسيقومون بكل ذلك، وبمنتهى سرور.. فمن ذا الذي يمكنه رفض تنصيبه رجلاً، ناجحًا، ذكوريًا، قويًا.. وفور انتهاء الجميع من العمل الإضافي، والقيام بالتمارين الرياضية، وتناول حوارق الدهون ومثبطات الدوار، ثم القيام بالمزيد من العمل والمزيد من التمارين، وتناوُل موسعات الشرايين وأدوية تنشيط الكبد والكلى، ثم القيام بالمزيد من العمل والمزيد من التمارين، وتناوُل المسكنات وأدوية الصداع النصفي، ثم القيام بالمزيد من العمل والمزيد من التمارين، ونفاق مديريهم وإهمال عائلتهم، وبعد حصولهم أخيرًا على تلك الإثباتات المؤكِّدة لنجاحهم ورجولتهم..

يصمم مستر «hugo» بدلة جديدة.. يظهر إعلان جديد يحصل به ذلك العارض على قَصّة شعر مختلفة، يغطي بطنه ويُظهِر ذراعيه وصدره القسيم ويرتدي بدلة جديدة. كل ما تقوله البدلة القديمة

TW/@Rabe3_elkotob

هو أن صاحبها كان ناجحًا يومًا ما مضى.

قَصّة الشعر القديمة، اتضح بالفعل أنها تعني أن صاحبها &(*/&(*)&.

يعي الجميع ذلك فجأة، يدركون في نفس اللحظة أن البدلة الجديدة هي الحل.. لا يعير أحدهم بالاً لكون الإعلان الذي يخبرهم بهذا يخبرهم أيضًا أن ذلك سيستمر لشتاء ٢٠١٥، على أقصى تقدير. أو ان الوحيد الذي يزداد سعادة حقًا الموسم تلو الآخر هو مستر "hugo".. كل ذلك لا يهم، سيتدبرونه لاحقًا، بعد حصولهم على تلك البدلة.. ليدرك بطلنا بتلك اللحظة أن عليه الاختيار.. إما أن تكون له طريقة تفكيره الخاصة، وإما أن يحاط بثلاثة عشرة من عارضات الأزياء، إما أن يستخدم إدراكه الخاص بغرفته وحيدًا، وإما أن يستخدم إدراك مستر «armani» بحفلات صاخبة. ربما يتمكن بطلنا من استخدام عقله لاحقًا، ولكنه الآن لا يمكنه سوى استخدام فكر مستر «calvin klein». يمكنه إثبات تفرُّده وتميُّزه بطريقته الخاصة فيما بعد، أما الآن فإثباتها لا يعني سوى ابتياع المزيد من المنتجات..

طريق طويل شاق عبر المركز التجاري هي الحياة..

ينطبق هذا المبدأ على كل تعريف يريد بطلنا إثباته، على أي رسالة يريد إيصالها، وعلى أي نمط حياة يريد تبنيه. كل ذلك لا يعني سوى ابتياع بطلنا لشيء إضافيٍّ.. كيف يمكن لبطلنا إثبات رجولته من دون ابتياع مذيب للدهون «jym shred»، بدلة «hugo» عِطر «dunhil»، جينز «levis»، ملابس داخلية «calvin klein» ، مايوه «nike» ومشروب الطاقة «monster». كيف يمكن لصديقته إبراز أنوثتها من دون ابتياع ملابس «victoria secret» الداخلية، صدر سلكوني، عطر «gucci»، حقيبة «louis vitton» وميك اب «loreal». كيف

TW/@Rabe3_elkotob

،مكن لابنه إظهار تمرده من دون الحصول على موتوسيكل «harley davidson»، جاكيت جلد «armani»، وشم، ، نظارة شمس «ray ban»، واسطوانات «metallica».

كيف يمكن لأحد إثبات نجاحه من دون امتلاك سكرتيرة حسناء، قلم «mont blanc»، ساعة «rolex»، لابتوب «mac air»، سيارة «ferrari»، طائرة «g6» خاصة، وفيلا بالـ «riviera». كيف يمكن لأحد أن يحيا حياة صحية من دون ابتياع حذاء رياضي «nike»، زِي «adidas»، عضوية بأحد الأندية الرياضية، جهاز جري منزلي، وزجاجة مياه «evian».

كيف يمكن لشخص أن يعبِّر عن نفسه من دون أن يشرب سبرايت..

كيف يمكن لأحد أن يكون «لذيذ ورايق» من دون أن يجترع سفن أب..

كل شعور وكل فكر وكل نمط حياة لديه اسم بديل.. وكل اسم بديل يتضح كونه اسمًا تجاريًا.

وكل اسم تجاري لديه ٣٤٧٨٩٧ منتج لكل رسالة يريد بطلنا إيصالها، بكل موسم.. كل منتج مسلح بـ ٢١٣٨٩ «بوستر» ليغسل مخه، وبثمن يفوق عشرة أضعاف قيمته تكلفته لإذلال بطلنا.

وبالطبع كتبرع رمزي لمساندة مستر «versacci» في شراء جزيرته الخاصة الجديدة.. ويومًا ما، ينسى بطلنا كم كان مختلفًا.

ينسى ما كان يريد إثباته وما كان يريد قوله..

ينسى لما ابتاع تلك الأشياء ليتحدث بنفس الهراء كالآخرين.. فإن قال مستر «hugo» إن اللون البمبى مثير، فليكن.

إن قال مستر «versacci» إن ارتداء الكرافتة العريضة هو أكثر

TW/@Rabe3_elkotob

الأشياء ذكورة ، فليكن.

إن قال مستر «calvin klein» إن البدلة ذات الثلاثة زرائر هو الزي الرسمي الجديد لهذا الكوكب، فليكن. حتى وإن أجمعوا في العام التالي أن البدلة ذات الزرارين والكرافتة الرفيعة قد أثبتت تفوقًا وجاذبية أكبر ، فسيكونون محقين ثانية.

اشتري الآن، فكِّر لاحقًا.

تنتهي روايتنا بمشهد بطلنا وقد وقف وسط العديد من الحسناوات وهو يُلقي عليهن بأفكاره العميقة في ثقة.. يخبرهم في هدوء وحكمة عن سطحية حياتهن، ويثبت لهم تميُّزه واختلافه عنهن وعن حياتهن الاستهلاكية الضحلة.. يخبرهن بذلك في هدوء، مرتديًا بدلة رائعة من تصميم «armani» وقد فاح منه عاصفة من عطر «givenchi»..

مُسلّح بكل ما يلزمه لزلزلة هذا العالم..

TW/@Rabe3_elkotob

الفصل الثاني والثلاثون

أتت الأيام والأسابيع التالية بالعديد من الأجوبة لإبراهيم بالفعل، وإن لم تحمل أيًا منها ما رغب في معرفته حقًا. لم تأتِ إليه أغلبها سوى بالمزيد من الأسئلة والهواجس والتي أضافها رغمًا عنه لمجموعته العملاقة منها، حتى وقف أخيرًا وسطها يتأملها في حنق مكتشفًا أنه لم يقترب من تفسير أي شيء.. أول ما حصل عليه من إجابات كان أن المئتين والخمسين ألف جنيه غير كافية حقًا لإقناع كريم بالظهور. صحب تلك المعلومة سؤال لم يرغب بالتفكير في إجابته كثيرًا..

- ما الذي سيقنعه إذن؟

ثاني ما أدركه من حقائق كان أن كريم الحفراوي لا يكترث للقيمة الأدبية لإعلانه فائزًا بجائزة د/ إبراهيم فؤاد الثقافية..

- ما الذي يرغب به إذن؟

اكتشف ما بدا عليه من سخافة حين عقد مؤتمرًا صحفيًا اعتلى منصته متوسطًا أعضاء لجنة تحكيم جاء معيار تشكيلها هذا العام بمن يقبل من مشاهير المثقفين المشاركة في تمثيلية سخيفة معدة النتيجة سلفًا، وجد ضالته في بعض الأسماء التي لمعت يومًا قبل أن يواريها النسيان. ليبدو في النهاية أكثرهم سخافة، وهو يعلن منح جائزته لشخص لم يكترث حتى بالحضور..

- كم ستحتمل صورته وسمعته للمزيد من تلك التصرفات؟

TW/ @Rabe3_elkotob

أتاه السؤال التالي من داخل المؤتمر الصحفي ذاته، حين وجَّهه إليه أحد الصحفيين:

- دكتور إبراهيم، حضرتك أعلنت أن البحث الفائز هو لشخص يُدعى كريم الحفراوي عن بحثه حول رواية « الحفرة » وهي الرواية التي لم يسمع بها أغلبنا من قبل. وحتى بعد علمنا بها، من خلال جائزتكم وبحثنا الطويل عنها بدا لنا أن الحصول على نسخة منها هو أمر مستحيل، حتى ذهب البعض للقول بإنها رواية خيالية لا وجود لها.. كنت أتمنى بعد سماعي لخطاب سيادتكم الافتتاحي أن تزول الكثير من علامات الاستفهام المحيطة بتلك الرواية المجهولة.. إننا وإن أدركنا بعض المعلومات حول أحداثها والرموز الواردة بها كما أتى بالبحث المقدم إلا أن الأسئلة الأبسط والأكثر تلقائية بقيت من.دون جواب.. ألا وهي، مَن مؤلف رواية الحفرة؟ وهل لعنوان سلسلة مقالتكم الجديدة والمماثل لعنوان الرواية أي دلالات؟ هل تخبرنا بطريق غير مباشر أن رواية الحفرة هي من تأليفكم؟ هل تستخدم جائزتك الأدبية كحملة دعائية لروايتك الجديدة؟

ألقى إليه إبراهيم بالإجابة ضاحكًا:

- لا، أحب اطمنك، الرواية موجودة بالفعل وأحب اطمنك كمان اني شخصيًا قريتها، وأشكرك لتنبيهي أنها تعد من النسخ النادرة ، حتى لا أعيرها..

لا أكترث لعدد النسخ المتاح منها بالمكتبات حاليًا فهذا ليس شرطًا من شروط الاشتراك بالمسابقة. والجائزة كما تعلم مخصصة للبحث وليس الرواية ذاتها. أما بخصوص السؤال الثاني فالإجابة هي نعم، إن تشابه عنوان مقالاتي مع عنوان الرواية له معنى، وإن لم أكن أقصده في حينه.. هو رسالة فعلاً، ليس من مضمونها أنني كاتب رواية الحفرة.. أنا فقط

TW/ @Rabe3_elkotob

عطلت كتابتي لشخصية بطل الرواية قبل سقوطه بالحفرة.. حاولت تخيُّل حياته وصفاته التي أدت لأن يلقى به الكاتب - الذي لا أعلم من هو حتى الآن - وسط ذلك الكابوس الأبدي. فالرواية على غير العادة لم تأتِ بأي ذِكر لأوصاف بطلها والذي لم أملك إلا الاندهاش لإدراك مدى كره الكاتب الغامض له، دون أن أتمكن من التكهن بأيٍّ من أسبابه.. يمكنك اعتبار أنني قررت كتابة الجزء الأول لها، ربما في محاولة لإيجاد تفسير ما. أما بخصوص روايتي الجديدة فهي بعنوان السيرك، وصدقني، بعد طباعتها، لن يكون العثور عليها صعبًا على الإطلاق.

لتتوالى اكتشافات إبراهيم مع مرور الأيام.. اكتشف إمكانية أن يستمر الأرق لأكثر من أسبوعين. تلا ذلك، معلومة أخرى متوقعة، أخبره بها أدهم عوني في سعادة عبر الهاتف:

- المقالات الجديدة مكسِّرة الدنيا، بالتوفيق يا باشا والف مبروك..

اكتشف أن الإجهاد يمكنه إحالة أي شخص إلى وغد حقيقي، وبسهولة تامة.. اكتشف حاجته للذهاب للسيرك مرة أخرى. ليأتيه سؤال بسمة استنكاريًا، مع اقتراحه اصطحاب الأولاد إليه ثانية:

- سيرك إيه تاني؟ دي تالت مرة.. أنت لسا واخد العيال هناك من كام يوم..

أذهب رده عليها باندهاشها على الفور، حاملا إليها سر هوسه الجديد بالسيرك..

- بصراحة يا بسمة أنا مش رايح هناك عشان الولاد.. أنا رايح عشان الرواية الجديدة، البطل بتاعها مهرج وكل أحداثها بتدور في السيرك.. أنا اتعرفت على الأراجوز اللي هناك، باتكلم معاه وبيدخّلني الكواليس وبيحكيلي قصصه وقصص العاملين،

TW/ @Rabe3_elkotob

يعني من الآخر كذا دراسة لشخصيات الرواية عمري ما كنت أ ه ا، بيها.. لم تكرر بسمة سؤالها أو استنكارها بعدها، حتى وهو يعود لم ا مخفيًا تذكرة دخوله السابعة والعشرين للسيرك. لم يدرِ إن كان دا ا اقتناعًا منها بالعُرف السائد لعادات المبدع الشاذة والمنطلقة مع أي عما جديد أم أن ذلك كان استسلامًا لواقع تحملته منذ سنوات في صمت.

وإن لم تشغله الإجابة كثيرًا، فقد توارت خلف جبال من الأسئلة الأكثر إلحاحا.

منحه تفسير ذهابه للسيرك الحق في التوقف عن اصطحاب ولديه ليستحيل بعدها لروتين شِبه يومي سرَّه القيام به من دون الاضطرار لتحمُّل ضجيج ولديه. وليعود منه كل مرة محملاً بأفكار ومشاهد وشخصيات خط تفاصيلها طويلاً. وليكتشف أثناء قيامه بذلك، أن بإمكانه كتابة روايته حقًّا، حتى والشك ينهش عقله..

وإن بقي سؤاله الأخير عالقًا بذهنه من دون جواب، يعبث به أثناء كتابته لكل سطر من سطورها:

- هل كتبه كريم الحفراوي قبله؟

TW/ @Rabe3_elkotob

الفصل الثالث والثلاثون

استيقظ إبراهيم مبكرًا، قبل شروق الشمس بساعات. بإعادة النظر لما كان عليه نومه ليلة الأمس فالحقيقة أن كل ما فعله هو أنه اعتدل من تمدده بسريره - والذي استمر لساعات - مبكرًا.

ذهنه أضحى مؤخرًا أشبه بخلية نحل أصابها الجنون، انتجت إليه بكمٍّ هائل من الأفكار، والتي جعلت من فكرة نومه ليست مستحيلة أو سخيفة فحسب بل وبغيضة أيضًا.

بدأ في توضيب حقائبه، مستمر بمتابعة تلك الأفكار كالمجذوب. ليلقي بأى شيء بدا وكأنه قد يحتاج إليه في الأيام القادمة من دون اكتراث. حاول رغم الطوفان العاصف بذهنه، الحفاظ على سكون الغرفة قدر استطاعته. لتشعر به بسمة رغم ذلك، كالعادة. فتحت عينيها ببطء وتأملته في صمت وهو يستعد للرحيل.

أخبرها ليلة أمس بقرار سفره للصومعة باكرًا، ليبدأ في كتابة روايته الجديدة. ودَّعها هي والأولاد، مدركًا أنه - في الأغلب - لن يلحق بأي منهم مستيقظًا مع انطلاقه فجرًا. سمع صوت حركتها، استدار إليها وابتسم حين شاهدها تعتدل بالسرير، مدركًا أن ذلك يعني طلبها لوداع آخر، وأنه لن يكون عابرًا. أخبرها - وابتسامته تتسع رغمًا عنه - بنبرة تظهر عدم اكتراثه: أنا هاتحرك بقا يا حبيبتي..

أجابته بنفس النبرة: مع السلامة يا روحي، good luck.

وإن أشارت إليه بسبابتها أن تعالى إليَّ. توجه إليها تاركًا حقائبه

TW/ @Rabe3_elkotob

من خلفه ليَلْقَى شفتيها بقُبلة حارة نقلت إليها ما يَشعره من حما
شعرت بالسخافة لغيرتها المتزايدة تجاه رواية لم تُوجَد بعد، حتى و
استطاعت بخبر ميلادها المرتقب وحده أن تُشعره بهذا القدر من الحما

أخبرته وهى تزيل شيئًا ما عالقًا برموشها: ما تتأخَّرش علينا.

ألقت بها من باب العادة لا أكثر، دون أن تتوقع لها تأثيرًا حقًّا. كا
تعرف أنه لن يعود قبل أن يفرغ من عمله تمامًا. واقع الأمر أنه لم يعد م
أي من رحلاته السابقة قبل عدة أسابيع على الأقل، ينخفض بها مستو
الاتصال بينهما ليصل لأدنى معدلاته. سألته كثيرًا عن الداعي لحم
هاتفه المحمول إن كان لن يرد عليه، لم يجب فعليًا على هذا السؤال أبدًا

توفي أخوه أثناء أحد تلك الاعتكافات بالصومعة ، اضطر
عائلته للذهاب إليه لإبلاغه بالخبر المشئوم بعد أن يئسوا من رده عليهم
وجدوه وسط أكوام من الأوراق ينظر إليهم من دون فكرة عما يتحدثون
عنه، وحين استعاد استيعابه للغة أهل الأرض أمسك بهاتفه في محاوله
لإثبات براءته من ذلك الهراء الذي ألقوا عليه به، مقتنعًا باستحالة أن
يصل شروده لهذه الدرجة بالفعل. أخبرته شاشة الهاتف في خجل أن
عدد المكالمات التي لم يتم الرد عليها قد تخطى المئتين بقليل. وإن استمر
الوضع بعدها كما هو، من دون تغيير..

يكلّمها كل بضعة أيام ليبدو انشغال ذهنه واضحًا بالرغم من اختيار
هو لمواعيد تلك المكالمات. لا تحتاج للتنقيب كثيرًا خلالها لتتيقن من عدم
استماعه لما تخبره به مطلقًا، حتى وإن ردد عليها مرارًا كم هو يفتقدها هي
والأولاد وحتى إن استمع من دون تملل لكل ما حملته إليه من أخبار
كانت تعي تمامًا أن تلك الهمهمات التي يصدرها بانتظام بين الحين
والآخر معلنا بها انتباهه إنما يقوم بها وهو يخط شيئًا ما بورقة أمامه أو على
حاسوبه، ليأتيها بالفعل صوت نقره للوحة المفاتيح في بعض الأحيان،
ودون أن يثنيها ذلك عن الاستمرار في حديثها.. هي طقوس مرحلة بناء

TW/ @Rabe3_elkotob

معظم الرواية التي اعتادتها. والحقيقة أنها لم تكن تمانع حقًّا. فهو كاتب، مبدع، وناجح.

هو زوجها، مِلكٌ لها هو وما أبدعه، حتى وإن لم يرغب في إدراك ذلك أو الاعتراف به. ستظل مهما حدث المرأة التي وقفت وراء إبراهيم فؤاد.

زاد حماسه البالغ هذه المرة من فضولها تجاه ما سينسجه خياله. تساءلت إن حمل في جعبته بالمزيد حقًّا، تمنت أن يأتي بأفضل مما كتب مؤخرًا. شيءٌ أقرب لأعماله القديمة التي عشقتها هي ومعظم قرَّائه. لم تخبره بهذا مطلقًا، لكنها لم تحب أبدًا آخر روايتين له. بدتا لها سطحيتين، مليئتين بأفكار وشخصيات تقليدية نمطية.

أدركت بعد الانتهاء منها -آسفة- صحة ما ردده عدد من النقاد، وهو أن ما أصاب الروايتين من نجاح إنما جاء بسبب حمل غلافهما لاسمه فقط، الذي هو أقصى ما جاء بهما من قيمة أدبية.. تركها غارقة في أفكارها وتوجه لباب الغرفة حاملاً حقيبته، قبل أن تتشير إليه بسبابتها ثانية تستدعيه. عاد إليها مطيعًا، لتشكره على تواضعه بقُبلة أخرى، قبل أن تتركته وتغوص وسط أغطية السرير وتعود لسباتها سريعًا.

لينطلق هو بذلك قاصدًا صومعته..

إن أخبره أحدٌ يومها بأن غيابه بالصومعة سيزيد عن الأربعة اشهر، لربما عاد إبراهيم لمنزله ليضيف بعض الثياب الثقيلة بحقائبه لتقيه برد الشتاء القادم على الأبواب، موقظا بفعله هذا بسمة ومثيرًا بداخلها ما يكفي من الحنق - حين يخبرها عن مدة غيابه - لتتشاجر معه وتحاول إقناعه بالبقاء معهم، كان ليقتنع برأيها بالنهاية مدركًا استحالة انغراقه أو استمتاعه بالكتابة وصورة زوجته الغاضبة تؤرِّقه.

إن حدث أي من هذا، لما كان ما تبع سفره - أو بالأحرى عودته- من أحداث أن تقع.. ولكن لجهل إبراهيم بكل ذلك، سافر قاصدًا صومعته، غافلاً عن بقائه بها مدة أربعة أشهر.. وأن ما سيحدث بها، سيكون أبشع من أن يتمكَّن أحد تصوُّره..

TW/ @Rabe3_elkotob

الفصل الرابع والثلاثون

لم ينقطع سيل الأفكار المنهمرة بعقله طوال فترة إقامته بالصومعة، استمر في متابعتها فاغر الفاه دون أن يجرؤ على مقاطعتها ولو بالكتابة راقبها، تملأه رغبة عارمة في إدراك إلى أين ستصل به، وإن تولّد بداخله إحساس عارم بالفخر لأبدعها، تخيَّل ما ستحدثه روايته الجديدة من هوس لدى القرَّاء والنقاد على حد سواء.. وبعد عدة أشهر، حين صمتت تلك الأفكار تمامًا، كان قد أدرك الخطوة الواجب عليه تنفيذها.

نهض ببطء متوجهًا لحاسوبه، كان يتحرك بشكل هادىء لم يعتَده من قبل. لم يكن يهرع كالعادة للقاء ما يتوجب عليه فعلّه متمنيًا الانتهاء منه بأسرع وقت. شعر كأنه اخترق جدارًا منعه طويلاً من إدراك الحاضر.

شعر بكل خطوة يخطوها. يتذوقها ويختبرها كأنها أول خطواته.

استمتع بكل مرة لامست فيها قدماه الدافئتان ذلك الرخام الأسباني البارد. استمتع بتلك النسمات الباردة القادمة إليه من إيطاليا أو فرنسا لتموت أخيرًا بين خصلات شعره وبين أصابعه. استمتع بامتلاء صدره بذلك الهواء المنعش وبما حمله إليه من إحساس هائل بالرضا لكل ما منّ الله عليه به. استمتع حتى بضغته على ذلك الزر الصغير الوامض باللون الأزرق والمختص بتشغيل حاسوبه وبانطلاق تلك النغمة المميزة المعلِنة استعداد الحاسوب للعمل..

لم يقلقه أيٌّ من تلك الأشياء التي اعتاد التوجس منها دائمًا، كانقطاع التيار الكهربائي أو نسيان حفظه لما كتب، أو إصابته بجمود فكري

TW/@Rabe3_elkotob

ماجيء يستمر البحث عن الكلمة المناسبة بسببه عدة ساعات. أدرك - بلا سبب حقًا- أن كل ذلك لن يحدث وأن كل شيء سيسير على ما يرام.

نظر لشاشة الحاسوب في ثقة، قبل أن يبدأ فورًا في تفعيل ما أتاه من إبداع طوال الأشهر الماضية.

وعندما انتهى، بعد عدة أيام، لم تعد الثقة أو الهدوء الهائلان اللذان ملآه طوال الأيام الماضية كافيتين لإيقاف انتفاضه، والذي لم يدرِ إن كان حماسًا أم ترقبًا.. ألقى بمتاعه المبعثرة في حقائبه ووضعها بسيارته، قبل أن يقودها عائدًا للقاهرة فارغ الذهن مستكينًا مستسلمًا. لم يرد بباله شيء طوال طريق العودة، لم يحتَج حتى لتشغيل مذياعه. لم يكن يرغب في تلويث ذلك الفضاء اللانهائي الذي يسبح فيه الآن بسلام.

قرأ قديمًا أن خلو العقل البشري من الأفكار لا يأتي سوى بلحظة النشوة الجنسية. اعتقد حينها أن ذلك يعكس قدرة تلك اللحظة - بما تحمله من متعة حسية - على طرد أي أفكار، ليتفرغ العقل البشري فيها للإحساس.

رأى تلك الحقيقة على نحو مختلف الآن.. لمَ لا يكون خلو العقل من أي أفكار هو ما سبَّب تلك الحالة من النشوة، والتي لم نعرف لها سبيلاً سوى الجنس. فهو يشعر الآن ومنذ ساعات مضت بذات القدر من المتعة. لم يكترث لتسمية اكتشافه هذا أو تحليله، فكل ذلك يعد أفكارًا، وهو لم يعد يرغب في أي منها. أراد فقط الاستمتاع بذلك الفراغ والهدوء المحيطين به إلى الأبد.

وصل منزله دون أن يضل طريقه إليه هذه المرة. بدأ عتاب بسمة له فور دخوله الفيلا، قبل إلقائه لحقائبه. انتهت بعد ساعات باحتضانه هي والأولاد طويلاً، ودون أن يظهر أيهم نية إفلاته قريبًا. اعتذر عن تغيبه الطويل لهم جميعًا، خاصة بسمة، وإن نقلت إليها نبرة صوته تيقنه مما أنجزه من عمل كان يستحق، أي شيء.

TW/ @Rabe3_elkotob

ما أثار استغراب بسمة كان شيئًا آخر. إذ إن إبراهيم عاد إليها هذه المرة بنصف ما حمله فقط من ثياب على الأكثر، ودون أن يصاحب متاعه - كما جرت عليه العادة- أكوام الخرائط أو الملفات التي تخص روايته الجديدة.

أخبرها بالسبب لاحقًا، في هدوء.

لقد كتب كل ما يحتاج إليه هناك. أتت أفكاره هذه المرة مرتبة وواضحة لدرجة سمحت له بالتجرؤ على كتباتها وصياغتها تزامنًا مع ورودها إليه قبل أن يرسل بكل شيء لنفسه عبر رسالة إلكترونية سبقت تحركه من الصومعة.

- يعني إيه؟! خلصت؟؟!

- تقريباً.. هركنها، أسيبها تتخمر شوية.. وارجع لها أنقّحها بعد شهرين تلاتة. وخلاص على كدا..

كان يتحدث بثقة وبساطة مدهشتين تنقلان إليها أن ما يحمله من أنباء إنما هو حقائق مجردة، لا دخل له بها..

وكأنه يخبرها أن روما هي عاصمة إيطاليا، هي أمور واقعية، بسيطة، حقيقية، لا داعي للشعور تجاهها بأي شيء..

أتى سرورها بالغًا وقد أدركت أنه قد انتهى من كتابة روايته أخيرًا، لتعود بذلك حياتهم لروتينها المعتاد سريعًا، دون أن تتوقف بسمة ثانية أمام تساؤلاتها، ودون أن تنتبه لتلك التغيرات التي أصابت زوجها خلال الأسابيع التالية لعودته.

والحقيقة، أن انتباهها إليها لم يكن بهذا القدر من الأهمية، لأنه لم يكن ليحول دون وقوع ما حدث لاحقًا..

فلم يكن لأحد القدرة على تخيله..

TW/ @Rabe3_elkotob

الفصل الخامس والثلاثون

غادرالروتين حياة بسمة بشكل أسرع مما كان قد عاد به إليها، ليعلن برحيله هذه المرة، انتهاء حياة بسمة كما عرفتها، إلى الأبد. وليحل محله شك سرطاني نهش بكل ما اعتبرته يومًا من المسلمات. أدهشها أن يتطلبها إدراك ما حدث كل ذلك الوقت، في البدء لعدم قدرتها تخيله، ثم بسبب رفضها تصديقه لاحقًا.. فبعد عدة أشهر من عودة زوجها، مصرِّحا بانتهائه من أعظم أعماله الأدبية، اختفي د/ إبراهيم فؤاد من دون أثر..

ودون أن تراه زوجته ثانية..

لم تلحظ بسمة كل تلك التغيُّرات التي سبقت اختفائه سوى لاحقًا، بأيام كئيبة لم يعد لديها ما تفعله بها سوى التفكير والشك ينهشها. بدا إبراهيم بالفعل قبيل اختفائه متحفزًا متوترًا طوال الوقت، شارد الذهن بلا رغبة او قدرة على فعل شيء. توقف عن الذهاب للجامعة ولمكتبه، قبل أن يبدأ في إهمال مظهره شيئًا فشيئًا، حتى طال شعره وذقنه. ليخصص ما توفر لديه من وقت إضافي لأولاده، يلعب ويلهو معهما بلا كلل.

الشيء الذي جعل تبرير بسمة لما يحدث على أنه تعويض عن غيابه المطول عنهما ليس سهلاً فحسب، بل ومنطقي أيضًا. أدركت خطأ ذلك التفسير لاحقًا، إلا أن إدراك تلك «العلامات» في حينه لم يكن ليجعلها تتوقع المصير الذي لاقته. كيف كان لها أن تستنتج بواسطتها أن وجوده بينهم سيتلاشى قريبًا.. وإلى الأبد..

TW/ @Rabe3_elkotob

أخجلها حقيقة جهلها بميعاد اختفائه بالضبط، في الأغلب لتغ
روتينه المعتاد بأيامه الأخيرة بينهما. على الأقل هذا هو ما حاولت إقنا
نفسها به. في البدء لم تبالِ بعدم عودته حتى موعد متأخر من الليل، الأم
الذي وإن ندر حدوثه فقد تكرر مسبقًا، خاصة في الأشهر الأخيرة. نام
دون أن تنتظر عودته لكنها عندما استيقظت في صباح اليوم التالي دون أن
تدركه، ومع استمرار إخبار هاتفه لها بأنه - أي الهاتف- ربما يكون مغلقًا
أو خارج نطاق الخدمة، بدأت بسمة في الشعور بالقلق..

وحين استمر غياب زوجها عن المنزل لمدة يومين، أبلغت بسمة
الشرطة بالنهاية.. بدأت حملة بحث ضخمة، أصرت هي في الحفاظ على
سريتها واستجابت لها الشرطة على مضض، بعد أن قام والدها ببعض
الاتصالات الهاتفية التي أحالت طلبها هذا إلى أمرٍ ميري. أخبروها
لاحقًا أن ذلك سيقلل من فاعلية حملة البحث كثيرًا، خاصة وأنه لا داعي
لهذه السرية كونها لم يأتِها طلب فدية أو تهديد في حال إن قامت بإبلاغ
الشرطة.. لم تجرؤ على إخبارهم بالسبب الحقيقي وراء طلبها هذا وهو
خوفها المبهم من فضيحة ما.

انقضَّت الهواجس عليها لاحقًا لتتساءل بسمة طويلاً إن كانت قد
اتخذت القرار الأنسب للعثور على زوجها.

لم تخبر أولادها بحقيقة ما حدث. اكتفت بتبرير غياب والدهما بأنه
جاء نتيجة لسفر اضطراري للخارج، لم تدرِ إن جاء أداؤها الباهت وهي
تلقي عليهم بهذا الهراء كافيًا لإقناعهم.

ازدادت حملة البحث اتساعاً بمرور الوقت، لتشمل المطارات
وسجلات الفنادق بعد أن اقتصرت في البداية على استفسارات روتينية
بالمستشفيات والمشرحة وأقسام الشرطة، لتصل أخيرا لسؤال بسمة عن
أي خلافات حادة تكون قد نشبت بينه وبين أي شخص آخر مؤخرًا أو

TW/ @Rabe3_elkotob

من وجود أعداء له يتمنون موته أو اختفاءه. عندها فقط وبعد عثورها على رسالته الموجهة لإبراهيم، سطع اسم كريم الحفراوي ببالها.

لم تدرِ لما شعرت أنه يملك تفسير ما حدث..

كريم الحفراوي، الرافض لمئتين وخمسين ألف جنيه، كريم الحفراوي الذي ما زال يستخدم البريد الورقي للتواصل، كريم الحفراوي الذي أخبر زوجها بأنهما سيلتقيان قريبًا..

أخبرها أحد الضباط لاحقًا أن تحرياتهم عن كريم الحفراوي هذا لم تؤدِ للعثور عليه أو على أي شخص آخر بهذا الاسم. عندها فقط ولأول مرة منذ اختفاء زوجها أقلقها تخيُّل احتمالية ان يستمر بحث الشرطة عنه لسنوات دون جدوى..

إلا أن هواجسها هذه زالت سريعًا. فحملة البحث عن زوجها - على عكس ما خشيت- لم تستمر لأكثر من أسبوع. لم تنتهِ بعثورهم علي إبراهيم أو على جثته أو حتى على أشلائه، أو لأن تحرياتهم توصلت أخيرًا لمعلومات مؤكدة عن كريم الحفراوي أو مكانه..

أو حتى بسبب تراكم ملفات أحدث وأكثر أهمية فوق ملف اختفائه..

لا، فالسبب وراء ذلك كان أبسط بكثير..

ففي الموعد المحدد له تمامًا، أرسل د/ إبراهيم مقالته الخامسة للمجلة..

TW/@Rabe3_elkotob

الحفرة
المقالة الخامسة

ما حدث أولاً كان رغبتي في كتابة رواية من أروع قصص المغامرا
رواية يبحث فيها بطلنا عن كنزٍ مخبأ بالأدغال، بعد أن دفنه قرصان م
أثناء هروبه من مسوخ أتت إليه من المستقبل.

ولكن قبل أن يبدأ بطلنا في مغامراته يقرر توديع مدينته، جلس
مسترخيًا بذلك المقهى الأنيق مستمتعا برشفات من عصير البرتقال،
مفكرًا فيما سيقوم به من مغامرات. قبل أن يلمح العاشقين اللذين
جلسا إلى جواره.. رمق بطلنا ذلك الشاب الممسك بيد حبيبته في رقة
وهو يتحدث إليها همسًا، يخبرها بأنه يحبها. لم تحتَج هي إلى كلمات للرد
عليه. ابتسمت فقط في خجل، لتحمل عيناها الواثقتان ردها في وضوح
تخبرانه بأنها تحبه أيضًا. تسمَّر بطلنا بجانبهما، يستمع لما يتهامسان به وقد
أدهشته تلك السعادة البادية على وجههما، من دون حاجة أيهما للركض
وسط الأدغال.

تمنى لو أنه مكان ذلك الشاب. لم يرَ بطلنا بذلك المشهد أمامه سوى
ألوانه الزاهية الرومانسية. لم يرَ أن ذلك الشاب قد أضحى توًا أقل حرية
ووقتًا ومالاً وحياة منه. لا يعير بالاً لكون ذلك الشاب لن يمر بأي من
المغامرات الرائعة التي كنت أدخرها له، وأن عليه إن أراد القيام بها
حقًا، مغادرة ذلك المكان فورًا. يرفض بطلي القيام بذلك، يخبرني - وقد
تخيَّل حبيبته مسبقًا - بأنه سيحيل روايته لواحدة من لأروع القصص
الرومانسية..

يظن أن عينيّ حبيبته تستحقان التضحية بكنزه، وأن شعرها يستحق

TW/ @Rabe3_elkotob

التضحية بالأدغال، وأن ابتسامتها تستحق التضحية بالقرصان، وأن جسدها يستحق التضحية بالرواية بأكملها.

كل ما أمكنه التفكير - به من قبل لقائها حتى - كان التساؤل عن أفضل هدية يمكنه ابتياعها لها، لقاء ألف جنيه. أو ما هو أفضل مطعم بمكنه دعوتها به، لقاء ألف أخرى.. استسلم له، مرغمًا. لا يمكنني إطلاقه وسط الأحراش بعقل كهذا، لن ينجو أبدًا.

أحاول إخباره أن بإمكانه الحصول على خمس جواري بالأدغال في مقابل الألفي جنيه، بل ربما يحصل على عشر منهن إن قلل بعض متطلباته.

يرفض الاستماع إليَّ، يعتقد أن ذلك الحل غير رومانسي على الإطلاق..

أطيعه مرغمًا، مخبرًا إياه أنني سأكتبه بطلاً لإحدى أعظم قصص الحب على الإطلاق. يشرق وجهه فورًا

ويشكرني لكوني مؤلفًا عظيمًا. بالرغم أن ما كنت أقصده في حينه كان الانتقام منه لإهداره العشر جواي.

وبعد فصول طويلة مملة قضاها أو بالأصح قضا عليها بطلنا باحثًا عن حبيبته، يجدها أخيرًا..

صدقني، أنت تعرف مسبقًا كل شيء عنها..

هي مختلفة.

هي رائعة.

هي مرحة.

هي لبقة.

هي ذكية.

هي مثيرة.

TW/@Rabe3_elkotob

عيناها بريئتان.

شعرها كالحرير.

ابتسامتها رقيقة.

ساقاها مثيرتان.

صدرها ومؤخرتها رائعتان.

لديها ثلاثة هوت شورت وأربعة مايوهات بيكيني.

أخبرتك، أنت تعرف كل شيء عنها..

وحين يجدها بطلنا أخيرًا يمسك بيدها مرتجفًا، قبل أن يلقي عليها بكلماته الساحرة التي حبسها داخله طويلاً.

يخبرها:

- أحبك..

تخبره:

- وأنا أيضًا، طالما بقيت وسيمًا غنيًا ومرحًا ومثيرًا للاهتمام، ومِلكي.

لا تنطق بالجزء الثاني من الجملة، نظرًا لبديهيته..

هو ليس بخداع ، بقدر ما هو المنطق..

هو ليس بحب، بقدر ما هو تسوُّق..

وبعد عدة فصول من قضاء بطلنا لوقته بصحبتها، تبتسم هي عبرة بنفس الابتسامة، تتصرف بنفس الكيفية، ترتدي نفس الثياب تفكر بنفس الأسلوب وتلقي بنفس النكات. يتوقف بطلنا عن إدراكها فجأة، بعد أن اعتاد تلك الابتسامة السخيفة، والثياب المفتعلة، والجمال المصطنع، والمرح الساذج وملَّهم جميعًا. يدرك بطلي أخيرًا أنه قد دمَّر

TW/ @Rabe3_elkotob

روايته وقضى على مغامراته في سبيل سخافات. لأنه لا أحد جميل بقدر ما ظنه، ولا شيء مثير بقدر ما تخيَّل. ما كان لذلك أن يحدث مع العشر جواري، الأمر الذي حاولتُ إخباره به منذ البداية..

أو أن ما حدث كان أن حبيبته ملَّته أولاً. يبصر بطلنا فتاته وهي تتحول لشخص متبلد، بارد المشاعر، وتتوقف عن الاكتراث له، من دون مقدمات. ليجن بطلنا، شاعرًا بالإهمال والرفض والإهانة.

يتغيَّر بطلنا لاحقًا من كونه رائعًا وسيمًا مرحًا لآخر قبيحًا مملاً. من البديهي أن يصبح قبيحًا، فهو لم يعد يضحك، لم يعد يهندم ثيابه أو يصفف شعره. لم يعد يتذكر إغلاق سوستته.

من الطبيعي أن يصبح مملا، فهو يتصل بها ٤٣٨٧٤٩ مرة يوميًا، مرددًا نفس الشيء:

- لم لم تَعُودِي تتصلين بي.. لِمَ لم تعودي تحبينني..

في الحالتين، يكتشف بطلنا أن هناك ما هو أفضل من ابتياع شريك للحياة. أن حياته لم تكن أسعد أو أكثر حرية أو أغنى من أن يعيشها وحده، باحثًا بذلك عن شريك يقبل مقاسمته إياها. يكتشف أن الاهتمام والحب لا يأتيان تلقائيين أبدًا، بل مستحقين. يكتشف أن الحب لم يكن أبدًا لعبة قلوب وإنما لعبة عقول. وأنه خسر اللعبة يوم أن أصبح تلقائيًا. يوم أن أصبح متاحًا. يوم أن أصبح محتاجًا..

يحمل بطلنا كل ما اكتشفه ويسافر به من «أرض المحبين» لكوكب آخر يحمل اسم:

«لقد-زرت-أرض-المحبين- مسبقًا- يا-ولاد-الـ(*#^*٪@)».

المعروف أيضًا باسم كوكب الأرض.

يعود بآلامه وبفراغه وبغضبه، وبخبراته.. تلك القواعد التي تعلمها

TW/@Rabe3_elkotob

جراء خسارته، والتي سيستخدمها لاحقًا.. لن يتكرر ما حدث، سيقوم بالأمر هذه المرة على الوجه الأكمل، سيمضي في حياته متسلحًا بكتيب التعليمات والقواعد التي حفظها رغمًا عنه. ما يشغله هذه المرة لم يكن مقدار حبه بقدر ما كان مدى احتياجها إليه.

ما أقلقه هذه المرة لم يكن الإحساس بشوقها بقدر ما كان عدم الشعور بالإهمال أو الإهانة مجددًا.

ما يطمح إليه الآن لم يكن حبًا بقدر ما كان القدرة على التحكم.ما يشعر به لم يكن قريبًا من روميو بقدر ما كان من هانيبال لكتر.

لم يعد مقبولاً إظهاره مشاعره، الأمر اليسير حقًا، فهو لم يعد يحمل الكثير منها على أي حال.. لم يعد مقبولاً إظهار شخصيته، في الأغلب حتى لا يخيف أحدًا.. ليدهشه لاحقًا النجاح الساحق الذي يلقاه جراء اتباعه لتلك القواعد. حين يمسك بطلنا بيد تلك الحسناء، مبتسمًا تلك الابتسامة المثيرة التي تدرَّب عليها طويلاً حتى تشنجت عضلات وجهه. ينظر إليها حالمًا.

والأهم، صامتًا.. تخبره هي:

- أحبك..

تتسع ابتسامة بطلنا وهو يجيبها في هدوء:

- وأنا أيضًا..

مدركًا أنها لا تحبه حقًا. هي تحب تلك الابتسامة الزائفة والثياب المنتقاة والنكات المنقولة والهدايا المبهرة.

تحب مجموعة من المهارات التي تدرب عليها طويلاً حتى أتقنها. تحب شخصًا آخر يرتدي وجهه قناعًا.. يدرك بتلك اللحظة لم كان تكراره السخيف السابق لعبارات مثل «أحبك» أو« أكترث لأمرك» بلا تأثير..

TW/@Rabe3_elkotob

لأنه أمر طبيعي وبديهي.. من الطبيعي أن تحبه، فهو نسخة مدروسة لكل ما برمجت على الإعجاب به يومًا.

من المنطقي هو أن تهتم لأمره، فهو نتيجة متوقعة لمدى إجادته قواعد تلك اللعبة.. لعبة الجاذبية.. يفكر بطلنا بأنه لإثبات خطأ نظريته فإن عليه العثور على إجابة للسؤال التالي:

هل يمكن أن تحب ما لا تجده جذابًا؟

وإن كان لا يرغب في العثور على إجابة حقًّا. لا يرغب بعد إدراكه لها، في التفكير بمن أملى عليه تعريف ما هو جذاب. لا يرغب في التفكير أن سبب اختياره لحبيبته هو مجرد تراكُم بضع خلايا دهنية بانسيابية ببضعة مناطق من جسدها.. تساءل فقط في صمت إن كانت تلك الانسابية التي يبصرها الآن رائعة بما يكفي للزواج منها، بعد أن أضحى الحب والرومانسية مشكلتها اللعينة، وليست مشكلته..

وكل ما أستطيع أنا التفكير به الآن، هو أنني فشلت..

فهذه ليست أعظم قصص الحب على الإطلاق..

TW/@Rabe3_elkotob

الفصل السادس والثلاثون

لم يأتِ برسالة إبراهيم لمجلته أي شيء غير معتاد، ذيَّلها فقط بملحوظة مقتضبة يخبر فيها الجميع أنه بخير، وأنه قد قرر التفرغ لإبداع تحفته الفنية التي سيختتم بها مسيرته الأدبية.

نشرت المجلة محتوى رسالته كاملاً، لينتشر بعدها خبر اختفائه كالنار في الهشيم. قرأتها بسمة بصفحات المجلة، مثلها مثل غيرها. لتشعر بغصة مريرة لقيام زوجها بإرسال رسالته الأولى منذ اختفائه لرئيس تحريره، يخاطبها عبر ملحوظة موجَّهة لجميع محبيه. بالإضافة لما ورد بمقالته اللعينة، والذي ضاعف من وساوسها وظنونها. الحقيقة أن ذلك كان أكثر ما أثار غضبها.

ما الذي يعنيه بتلك الكلمات الحقيرة؟ ما الذي يعنيه بقوله إن تلك ليست أعظم قصص الحب على الإطلاق؟ أو أن سبب اختياره لها هو مجرد تراكم بضع خلايا دهنية بانسيابية ببعض المناطق من جسدها؟

هل كان يشير لها حقًا؟

أيكون سر اختفائه هو تلبية قصة حب جديدة. أيكون تفسير ما حدث بالنهاية هو مجرد أزمة منتصف العمر.. المتوقَّعة. حاولت إقناع نفسها أن انتشار خبر اختفائه سيؤدي لتأجيج حملة البحث عنه ثانية. وأن العثور عليه ستزداد فرصه بعد أن يستحيل جميع قرَّاؤه لمحققين.

ستعرف عندها سبب اختفائه.

أدركت لاحقًا مدى سذاجتها، حين فاق الاهتمام الدائر حول عمله

TW/ @Rabe3_elkotob

الأخير أي تساؤل آخر حول مكان تواجده.

أخبرها ضابط بعد أيام أن حساب البريد الإلكتروني الـمُرسَلة منه مقالته تم إنشاؤه حديثًا بمعلومات شخصية زائفة، وأنه قد يتم إلغاؤه لاحقًا بعد إرسال المقالة منه مباشرة.

لم يخبرها أن ما عناه بكلمة « زائفة » هو أن اسم صاحب الحساب كان كريم الحفراوي.. ازدادت حدة السخرية التي تلقتها بسمة كلما ذهبت لقسم الشرطة، تسألهم عن أي معلومة قد يكونوا نسوا إخبارها بها، حتى نطق أحدهم أخيرا، وقد فاض به الكيل لإشغالهم بهراء المشاهير هذا أخبرها بما بدا أنه ما يعتقده الجميع..

- ما تسيبي الراجل يرتاح شوية يا ستي.. ما يمكن عايز يشوف له يومين حلوين بعيد عن البيت..

تاركها فاغرة الفاه لا تجد ما ترد به، قبل أن يعود في لا مبالاة لما بين يديه.

وبقيام إبراهيم بإرسال مقالته السادسة في الموعد المحدد لها أيضا، انتهت تحريات البحث عنه تمامًا.. اضطرت بسمة بعدها لاستكمال بحثها عن زوجها «المفقود» بجهود ذاتية. استعانت في ذلك ببعض الحمقى الذين استأجرتهم ليساعدوها في تحقيق تلك المهمة، ليتضح لها تدريجيًا كونهم محتالين. لم يأتوا إليها سوى ببعض الهراء والمعلومات المغلوطة، مطالبين بثمنها على الفور في فجاجة، ليخبروها في كل مرة وهم يعدّون بما ألقته إليهم:

- عقبال الحلاوة الكبيرة.

يأتي ذِكر الـ «الحلاوة الكبيرة» عانيًا أن مقابلتهم لها قد انتهت، لينصرفوا بعدها تاركين لبسمة مهمة القيام بأي تحرياتها حقيقة.

حتى تمكنت يومًا من تخمين كلمة السر الخاصة ببريد إبراهيم الإلكتروني. كانت ibrahimBASMA.

TW/@Rabe3_elkotob

إن ظننت أنها بديهية أو أن تخمينها لم يتطلب الكثير من الوقت فأنت أبله. لأنك لم تفكر مثلها في أسماء أولاده وكتبه وشركاته، لم تفكر في إمكانية أن يكون أيٌّ منهم متبوعًا برقم مثل ١٢٣٤ أو ٦٦٦٦ أو ٩٨٧٦٥٤٣٢١ أو بعيد ميلاده أو عيد ميلاد ولديه أو عيد زواجهما، أو أن تكون ناتج دمج أي اثنين مما سبق.

قبل إعادة كل ما سبق مرة أخرى باستخدام الحروف الـ capital.

تصاعدت ضربات قلبها وهي تلج لحسابه الإلكتروني، متوقعة أن تجد به ما يفسر سر اختفائه، كرسائل تهديد أو خلافات حادة أخفاها عنها، أو حتى مراسلات غرامية. لكنها لم تجد شيئًا على الإطلاق. ولا حتى تلك الرسالة التي كان قد أخبرها بأنه قد أرسلها لنفسه قبل عودته من العين السخنة حاملة روايته الجديدة..

قلَّ اهتمام الصحف بخبر اختفائه بمرور الوقت، انتظر الجميع في هدوء خروجه عليهم بتحفته الفنية، بعد أن أضحى التفسير غير الرسمي لرحيله أنه جاء لخلافات عائلية حادة، تضاءل أمل بسمة في العثور على أي خيط يدلها عليه، لتقوم بسمة لاحقًا ومن منطلق اليأس فقط بما ظنته أسخف من أن يؤدي لشيء. بررت لنفسها القيام به بأنه ربما يكون ضروريًا لمعرفة ما جاء بأيام إبراهيم الأخيرة. خاصة وأن ذلك المكان

الذي ستقصده - وإن بدا تافهًا في سياق ما يحدث - فقد تردد عليه زوجها بشكل مريب بأيامه الأخيرة..

صدقته في السابق حين أخبرها أن سبب قيامه بذلك هو روايته الجديدة، ولكن في ظل الظروف الراهنة ربما كان من الواجب عليها مراجعة كل شيء تعرفه عنه..

ولذلك ومن دون أن تدري بسمة أن زيارتها تلك ستحمل إليها من المعلومات ما يدمر حياتها إلى الأبد..

ذهبت بسمة للسيرك..

TW/@Rabe3_elkotob

الحفرة
المقالة السادسة

ما حدث أولا كان رغبتي في كتابة رواية جديدة. رواية تاريخية، أقصُّ عليك بها عن طفولة بطل روايتنا.

أصف لك كيف كان في الخامسة من عمره، مليء بالشغف والحماس والمرح، سعيدًا بكل ما يراه. مدركًا تمامًا لما يرغب بفعله، الآن ولاحقًا. ما يرغب به الآن هو تناوُل المزيد من الحلوى، ما يرغب بفعله لاحقًا هو أن يصبح رائد فضاء..

انظر أيضا: مهرِّج.

انظر أيضًا: ساحر.

انظر أيضًا: باتمان.

كل شيء كان ممكنًا بالنسبة إليه، هو هنا لإثبات ذلك لكل أولئك البالغين من حوله. سيحقق ما يعتقدونه سحرًا. سيثبت لهم ما يتيقنون استحالته. سيخترع أشياء عبقرية ويشفي أمراضًا مستعصية.

لن تظل الحياة على حالها أبدًا بعد قدومه لهذا العالم.

لا يناقشه أي من أؤلئك البالغين الموجودين من حوله، لا يسفهون أفكاره أو يسخرون منها..

فطالما بقي بطلنا بالخامسة من عمره، بإمكانه أن يرغب في أن يكون أي شيء، وسيرونه محببًا..

ما حدث تاليًا هو أن بطلنا يكبر، وهم ملَّوا.

يخبرونه يومًا بأنهم قد سكتوا طويلاً عن أفكاره السخيفة، وأن رغبته في أن يصبح مهرجا أو رجل مطافئ أو حتى سبايدرمان لهو شيء سخيف للغاية.

TW/ @Rabe3_elkotob

لا يردّون عليه حين يسألهم كيف يمكن لسبايدرمان لأن يكون سخيفًا

ما يحدث تاليًا هو أنهم يفاوضوه.. بإمكانه أن يصبح أيًا من أحلامه السخيفة تلك، ولكن بالعطلات الرسمية.. بإمكانه أن يفعل ما يرغب به أحيانا لو أنه قام بما يريدونه طوال الوقت.. بإمكانه أن يصبح الرجل الأخضر من السادسة للثامنة مساءً إن فرغ من واجبه المدرسي.

بإمكانه أن يصبح قرصانًا قبل نومه بساعة إن انتهى من استذكار دروسه.

بإمكانه أن يصبح فنانًا مرة أسبوعيًا إن استمرت علاماته مرتفعة بمادة الكيمياء.. ليبدأ بطل روايتنا في تنفيذ المطلوب منه، ليتمكن فقط من فعل ما يريده حقًا يومًا ما. بالرغم استهلاك ما يطلبونه منه للمزيد من الوقت والمجهود، تاركًا القليل جدًا منهما متاحًا لبطلنا للتمرُّن على أن يصبح زعيمًا للنينجا.

لا يخبره أحدهم أن ذلك هو التدريب المطلَق لحياته، بكل ما ستحمله من صداقات وعمل وزيجات.. وأنه لكي ينجح بأي منها، فكل ما عليه فعله هو الالتزام بالقاعدة الأساسية:

« لتتمكن من فعل ما تريده لبعض الوقت، عليك أن تفعل ما يُطلَب منك طوال حياتك.. »

ربما لم يخبره أحدهم بذلك لاعتقادهم جميعًا أن ذلك أمر منطقي، وأن هذه هي قواعد الحياة الطبيعية.. فالحرية والأحلام لا يفترض استشعارهما إلا مؤقتًا، والتميُّز والتفرُّد لا يجب التعبير عنهما إلا بالأوقات والوسائل المتفق عليها..

ما يحدث تاليا هو بلوغ بطل روايتنا للثلاثين من عمره..

وبهذا، يكون بطلنا قد اكتمل.. يكون قد صار مثاليًا، مثلهم.. يصبح كل ما يملك بطلنا فعله هو التصرف بواقعية.. لم يعد مطروحًا له - ببلوغه

TW/ @Rabe3_elkotob

الثلاثين - أي خيار آخر سوى الاستمرار في فعل ما يقوم به منذ أعوام.

ليحيله بطلنا باستسلامه له لواقع دائم، حتى وإن أعلن رفضه له طوال الوقت.. إذ كيف يمكنه تغيير وظيفته من طبيبٍ لرائد فضاء في الثلاثين من عمره.. ببلوغه الثلاثين يتغير مستقبل بطلنا من كونه واعدًا لبضحى مقلقًا.. توضع أمام عينيه آخر قطعة من اللغز لتكتمل بها صورة حياته القبيحة التي جمعها القطعة تلو الأخرى.

لا يعني انهماكه طوال الثلاثين عامًا الماضية محاوِلاً تجميعها أنها تستحق العناء، لا يعني ضرورة إمضائه للثلاثين عامًا القادمة ناظرًا إليها في غباء محاوِلاً إثبات صوابه.. مجهود تجميعها لا يعني أن تحطيمها ليس الشيء الصائب..

إدراكه لتلك الحقيقة متأخرًا لا يعني أنَّ عليه إنكارها..

وببلوغ بطلنا الفصل الثلاثين من روايته، تضحى قمة إبداعه هي اختيار خلفية جديدة لشاشة حاسوبه أو كتابة ستيتس جديد على الفيسبوك. يصبح تعريف بطلنا للنجاح هو مدى إجادته لتنفيذ تعليمات مديريه. يصبح بطلنا أسوأ أب يمكن أن يُرزَق به طفل في الخامسة من عمره.

ويضحى أعظم ما بروايته من أحداث هو ذهابه للمقهى..

أسعد نهاية ممكنة لها هي ترقية بعمله..

حمدًا لله أنك لست بطل روايتي.

لو أنك عزيزي القارىء كنت قد تخطيت الثلاثين من عمرك بحلول تلك السطور إليك، أرجو منك ألا تعر للأمر أي اهتمام.

فأنت، غالبًا، تقوم بعملك على أكمل وجه..

TW/@Rabe3_elkotob

الفصل السابع والثلاثون

شعرت بسمة بالسخافة فور دخولها خيمة السيرك العملاقة، كان خانقة بالرغم من إصرار الإعلان المعلَّق بالخارج على وصفها بمكيفة الهواء. أيقنت مع كل خطوة لها بأعماقها ألا فكرة لديها عما يتوجب عليها فعله، وازدادت شكوكها كثيرًا حول ما إذا كان بإمكان ذلك المكان أن يأتيها بأي إجابات حقًا.

بدأ العرض وتابعت بسمة فقراته المتتالية في توتر، حاولتْ تخيُّل إبراهيم وهو يكرر مشاهدته لها المرة تلو الأخرى لم زاد عن الشهر وعندما انتهت الفقرة الأخيرة وبدأ الجمهور في الانصراف تجمدت بسمة بكرسيها، تحاول السيطرة على أطرافها المرتجفة وإدراك أول ما يتوجب عليها القيام به. حاولت مقاومة الفكرة المسيطرة عليها بتلك اللحظة، وهي ضرورة الانصراف فورًا. كيف صدقت أن سؤالها لمهرج ما أو لاعب إكروبات أو حتى ساحر عن مكان زوجها المفقود قد يأتي إليها باي اجابة واقعية.

افاقت من شرودها على صوت أحدهم. كان أحد عمال النظافة..

- في حاجة يا فندم؟

التفتت حولها لتدرك عبر عين مترقرقة أن السيرك قد فرغ تمامًا، وأنها على وشك البكاء..

أسرعت وأخبرته بما ترغب قبل أن تجبُن:

TW/ @Rabe3_elkotob

- ممكن.. لوسمحت.. أقابل مدير السيرك؟

- المعلم رحمي؟؟ اشمعنى.. فيه حاجة؟

- كنت عايزة اتكلم معاه ضروري.

- بخصوص إيه يعني؟

- معلش.. أفضل اني اتكلم معاه هو..

نظر إليها العامل في ارتياب قبل أن يتركها في صمت متوجها للطرف الآخر من ساحة السيرك. اختفى لوهلة خلف ستائرها الحمراء الباهتة قبل أن يأتيها صوته الجهوري من خلفها:

- يا معلم.. في واحدة عايزاك برة..

هالها ما لقيه قوله من تعليقات فورية..

- قشطة يا معلم، ماشية معاك فلالي..

- براحتك يا معلم، بس ابقى باصي بقا..

انتفضت تلملم حاجاتها وتهم بالانصراف قبل أن تسمع الصوت الأجش القادم من خلفها. جاء حنونًا مهذبا رغم نبراته المتحشرجة:

- خير يا هانم أؤمري..

استدارت لتبصر ذلك الشيخ الضخم القادم إليها متأرجحًا، تتلاحق أنفاسه قبل وصوله لمنتصف المسافة بينهما. انهمرت فور رؤيته في بكاء حار، لم تدرِ ما الذي أطلق عنان دموعها الحبيسة طويلاً بتلك اللحظة خاصة أمام رجل غريب، وإن أدركت على الفور فقدانها القدرة على إيقافها.

هرع الشيخ الضخم إليها بقدر ما استطاعت ساقاه الضخمتان أن تفعل، جلس على الكرسي المجاور لها وهو يحاول التقاط أنفاسه

TW/@Rabe3_elkotob

ويجاهد سكتة قلبية وشيكة. صمت المعلم رحمي حتى فرغت بسمة من بكائها تمامًا.. تأمل قدميه في حرج طويلاً دون أن يتفوه بكلمة طوال فترة نحيبها - التي جاءت طويلة- إلى أن أمر أحد العاملين بأن يأتي لها بكوب من عصير الليمون.

شربته دفعة واحدة غير عابئة باتساخ الكوب الذي احتواه، لتشعر فور الانتهاء منه أنها قد أضحت أفضل حالاً بقليل. انكمشت بكرسيها مع رؤيتها لسيل النظرات المتفحصة الآتية إليها من كل صوب. رمقها بها كل من أثار مشهد بكائها فضوله فأتى من خلف الكواليس ليقف بجوار معلمه آملا في سماع قصة مشوقة. رمقت وجوههم في صمت وهي تجفف عينيها. ومع وضعها للكوب الفارغ على الصينية أمامها كرر المعلم رحمي سؤاله لها ثانية:

- خير يا هانم أؤمري..

خرجت الكلمات من فمها بصعوبة:

- أنا.. أنا.. بسمة.. أنا مرات كاتب مشهور اسمه د/ إبراهيم فؤاد ما اعرفش إذا كنت تعرفه ولا لأ..

صمتت لحظات تحاول تبيُّن أي علامات تفهم بملامحه، وعندما ظلت جامدة أيقنت ألا فكرة لديه عمن تتحدث.

استكملت:

- ساعات بتيجي صورته في الجرايد، هو كان بييجي السيرك كتير من فترة كدا.. من حوالي ٨ شهور.. كان بييجي كل يوم تقريبًا..

لمحت النظرة القلِقة التي رمى المعلم رحمي بها أحد صبيانه..

- عرفته يا حاج مش كدا؟

قالتها مُخرِجة صورة لإبراهيم من حقيبتها، لتكفي نظرته السريعة

TW/ @Rabe3_elkotob

المتوترة لها لتأكيد صواب تخمينها.

ليأتي رد فعله مفاجئًا، صاح بالعاملين من حوله دون أن يجيبها:

- يلا كله على جوًا مش وراكم شغل ولا إيه.. «جيكو» ما تنساش نبقى تنقل التقفيصة زي ما قولتلك. انصرف الجميع يجرون أقدامهم، غير عابئين بإخفاء حنقهم الواضح جراء تفويتهم سماع رواية بدت مشوقة.

نادى المعلم على أحدهم:

- مونجي.. خليك معانا انت هنا..

أتى مونجي مسرعًا ليقف خلف معلمه مطيعًا..

التفت إليها المعام وقد استحالت نظراته لتحمل شرودًا عميقًا. بدا وكأنه لا يدري من أين يبدأ أو كيف. حتى خيل لبسمة بعد فترة أن ذلك عنى انتهاء حوارهما من قبل أن يبدأ حتى.

أتاها سؤاله مباغتًا:

- انتي بقا مرات الراجل المهم؟

نظرت إليه متسائلة. لم تفهم ما الذي يقصده، أجابها شارحًا:

- معلش احنا كنا مسمينه كدا.. أصل كان شكله نضيف وغني وواضح قوي انه ابن ناس ولما فضل ييجي السيرك كل يوم قلنا دا أكيد بيراقبنا، سميناه الراجل المهم، الكلام دا كان قبل حتى ما يبتدي يتكلم معانا ويتعرف علينا.. بس ساعتها بقا كان الاسم لزق وهو لما عرف ما اتضايقش منه.. قالنا انه بيكتب رواية عن السيرك.. وانه عايز يتعرف علينا كلنا، واننا هنبقى موجودين في الرواية بتاعته.. ساعتها الواد مونجي هزَّر معاه وقاله طب هتدفع كام عشان تتعرف عليا، وبصراحة الراجل عمره ما بخل على حد أبدًا.. إيشي فلوس وإيشي هدايا

TW/@Rabe3_elkotob

وإيشي عزومات على أكل عُمره ما حكّلنا جوف..

صمت للحظات، قبل أن يضيف في وهن:

- لحد ما في يوم أسود قابل الواد شكري.. وبعدها.. بدأنا كلنا نقلق منه..

شعرت بالفضول يبرز من مقلتيها، سألته متلهفة:

- شكري مين يا حاج؟

- يا سيتي أنا لسا ما حجتش قوليلي يا رحمي يا أما يا معلم..

أومأت برأسها موافقة دون أن تجرؤ على مقاطعته، ترجوه أن يكمل

- شكري.. أقولك إيه عنه بس، الله يحرقه وينتقم منه مطرح ما راح.. شكري دا أسود حاجة حصلت للسيرك من ساعة ماوعيت عليه.. وصدقيني، أنا شفت قرف كتير.. إنما في وساخة الراجل دا ما شفتش.. شكري مش كان هيقفل لنا السيرك ويشردنا كلنا وبس، لا دا كان هيودينا كلنا السجن.. أنا من الأول ما كنتش مرتاح له ابن النجسة دا.. بس أقولك إيه، دخل عليا دخله صح..

- مش فاهمة حاجة يا حا.. يا معلم، إيه اللي حصل بالظبط..

- اللي حصل انه من سنة كدا جاني واحد وقالي انه عايز يشتغل معانا. الغريب مش إنه كان مُصرّ يشتغل أراجوز في السيرك وبس لا، الغريب ان الراجل ما كانش شاكله بتاع بهدلة أبدًا، شكله كان متعلم وابن ناس ومثقف، صحيح ما كانش في شياكة الأستاذ إبراهيم إنما برضه كان من نفس العينة كدا.. يعني ما يبانش عليه خالص انه بتاع مرمطة..

المهم، قولتله اننا مش محتاجين حد واننا مش طالبين حد يشتغل. قاللي انه مش هياخد فلوس لأول شهرين وراح مطلع البتاع دا اللي اسمه أي باد وقعد يفرجني على فقرات للسيرك من كل حتة في العالم ويتكلم

TW/@Rabe3_elkotob

انه ازاي ممكن نعدل فيها كذا وكذا ونعملها عندنا، عجبتني دماغه، وعجبني انه مش هيكلفنا حاجة.. فكرت اننا لو طلعنا منه بفكرة ولا اتنين نقدر نعملهم عندنا هنبقى احنا الكسبانين.. تعرفي.. قبل ما ييجي، فقرة الأراجوز ما كانتش اتغيرت من ييجي أكتر من عشرين سنة كدا.. من أيام الواد ميمي.. المهم ساعتها قلت لنفسي لما يبقى الشهرين يعدوا هابقى أقوله اني مش هقدر ادفعله.. وساعتها أكيد هيمشي، ماهو مش هيشتغل ببلاش يعني.. وعشان كدا وافقت.. سألته اسمك إيه؟ قاللي شكري. طب تقدر تيجي تشتغل معانا من إمتى يا شكري، قالى من دلوقتي. طب فين حاجتك يابني قاللي ما معيش غير الأي باد دا، خده وادِيني فَرشة أنام عليها واكّلني معاكم الشهرين اللي جايين لحد ما تبقى تقبَّضني..

بدا المعلم وكأنه يتفقد طريقًا طويلاً من الذكريات المؤلمة، هتف بعد فترة:

- يا ريته كان اتقطع لساني قبل ما اوافق..

صمت وهلة ليتيح لها إخباره أنه بعد الشر عنه، وحين ظلت بسمة متجمدة صامتة تنتظر منه استكمال ما يحكيه، أخذ نفسًا عميقًا واستطرد:

- ما خادتش منه الأي باد طبعا.. أنا قلت اهوه يشتغل معانا بلقمته وبياته لحد ما نشوف هنعمل معاه إيه.. المهم زي ما قلتلك كانت دماغه نضيفة قوي، حاجات كتير اتغيرت في السيرك بسببه. دا غير إنه كان فقري وابن نكتة ويموت في الهزار.. الكل حبه على طول.. وفي ظرف شهر كدا كانت فقرة الأراجوز بتاعته بقيت من الفقرات المهمة اللي الناس بتجيلها مخصوص.. المهم..

لحد ما في يوم جاتلنا شكوى غريبة.. في اليوم دا جات واحدة ست شيك متنرفزة قوي ومنهارة، قعدت تصرخ فيا..

TW/@Rabe3_elkotob

قالت لي إن ابنها كان عندنا امبارح في رحلة تبع المدرسة وانه لما رجع البيت قعد مبلّم ما بيتكلمش طول اليوم.. وانها لما قعدت معاه طول الليل تحاول تعرف منه ماله.. قلها في الآخر ان الاراجوز اللي في السيرك طلب حد يعمل معاه الفقرة بتاعته.. وانه اختاره.. ولما الواد راحله قعد الأراجوز يحسس عليه طول ما هو شايله، ويمسك.. لا مؤخذة.. انتي فاهماني.. وانه لما حاطّه في الصندوق العجيب عشان يخفيه حط إيديه تحت البنطلون بتاع الواد.. الست كانت منهارة وبتهبّل في الكلام وشكري زي ما قلتلك كان محبوب جدًا ومحترم جدًا.. ما كانتش ممكن اصدق انه يعمل كدا.. دا غير ان ما فهمتش ازاي ممكن يكون عمل كدا قدّام كل الناس اللي بتتفرج عليه ومن غير ما حد ياخد باله. المهم لما الست هددتني، طردتها وقولتلها اللي عندك اعمليه. ما قولتش لحد على اللي حصل.

اتعاملت مع شكري وكأن ما فيش حاجة حصلت.. بس بقيت اخلي عيني عليه.. ماهو برضه ما كانش ينفع اصهين خالص.. ما هو إيه اللي يخلي ست زي دي تتبلى عليه؟ دا غير الفضيحة اللي ممكن تعملها لنفسها ولابنها.. ما بقتش اخليه يتصور مع العيال لوحده.. كان لازم أنا أو أي حد تاني نبقى موجودين معاه.. أكدت عليهم على الحوار دا من غير ما احكي لحد على حاجة.. وكمان لغيت الحتة اللي بيطلب فيها حد من الولاد يطلع معاه في الفقرة.. قولتله ان في ناس بتقلق وتضايق واحنا مش ناقصين مشاكل، وهو وافق من غير ما يسأل كتير.. قلت لنفسي خلاص، كدا مش هيبقى فيه أي احتكاك ما بينه وما بين أي عيل.. مش هاطوّل عليكي.. الدنيا مشيت وبدأت أنا نفسي انسى الحوار القديم دا.. وبعدها بفترة ظهر الأستاذ إبراهيم.. وبدأ يتعرف علينا كلنا زي ما قولتلك.. لحد ما اتعرف على شكري.. ومعلش سامحيني.. كأنه اتهبل.

لم تبدِ أي امتعاض، أخبرته ببرود:

TW/@Rabe3_elkotob

- كمِّل يا معلم.

- بقولك كأنه لقى لقيَّة.. بقا بيقضي وقته كله مع شكري.. بنكلموا في أي حاجة وكل حاجة.. سياسة، كتب، أفلام، فلسفة، سفر.. ساعتها اتأكدت فعلاً إن شكري دا وراه حاجة.. ماهو إيه اللي يرمي واحد زيه على الشغلانة دي.. اتصاحبوا جدًّا.. كانوا ممكن يقعدوا في عشة الواد شكري بالساعات ما حدش عارف بيعملوا إيه.. وساعات كمان كان الأستاذ إبراهيم بيفوت عليه بالعربية بعد الشغل ويخرجوا مع بعض.. ما حدش كان عارف بيروحوا فين.. شكري عمره ما حكالنا.. معلش يا أستاذة الوضع كان غريب.. يعني حصل قبل كدا ان تيجي واحدة ست لا مؤاخذة مش ولا بد وتعزم واحد من بتوع الأكروبات على حاجة برا ويكملوا سهرتهم في بيتها.. إحنا ما بنعلقش.. عادي يعني ما هو فنان ولازم يبقى له معجبين.. إنما ان الهبل دا ييجي من راجل، دا اللي أنا عمري ما شفته قبل كدا.. قعدت أقول لنفسي ما يمكن هو دا اللي قالنا عليه انه بيدرس شخصياتنا وان اكيد دا عشان الرواية بتاعته.. بس برضه ما كانتش راكبة.. اشمعنا يعني الواد شكري.. أكيد كان فيه حاجة غلط..

رمقها بنظرة جانبية فاضحة يحاول بها تأكيد ما يرمي إليه، في حالة أنها لم تستوعبه بعد. وحينما شاهد فمها المتسع وعينيها الذاهلتين أدرك انها قد فعلت.

- ما حدش غيري كان مستغرب قوي.. ماهو ما حدش غيري كان يعرف بالموقف القديم بتاع شكري دا.. قلت لنفسي كلها كام يوم والراجل المهم يزهق من اللعبة الجديدة بتاعته.. لحد ما في يوم الأستاذ إبراهيم جاب ولاده للبسيرك.. والله ما أنا فاكر إذا كانت دي تاني مرة ييجوا فيها ولا تالت مرة.. المهم.. اتفاجئت يوميها ان شكري رجَّع

TW/@Rabe3_elkotob

الفقرة اللي بيطلب فيها حد من الأطفال يتطوّع معاه..

من غير ما يقولي.. عمل كدا من نفسه.. من غير ما يرجع لي.. وراح واخد ابن حضرتك من جنب الأستاذ إبراهيم من غير ما ياخد إذنه حتى..

انتفضت وهي تتخيل المشهد وقد أمسك متحرش بابنها وحمله إليه أمام نظرات أبيه الغافلة..

- لما الفقرة خلصت.. مسكته فشخته.. قلتله احنا مش اتفقنا ان الفقرة دي خلاص.. قعد يهبِّل ويقول أي كلام ما لوش لازمة.. واحنا بنتخانق لقينا أستاذ إبراهيم داخل علينا شايل الولاد وبيقول انهم عايزين يتصوروا مع شكري.. فضلت واقف لغاية ما خلصوا تصوير وبعديها لقيته رايح بيهم لأوضة شكري.. حبة كدا ولقيته خارج، مش عارف عشان يجيب إيه من عربيته.. تخيلي كان سايبهم معاه جوا.. مش هكدب عليكي أنا اتحسرت.. طلعت اجري وراه وقلتله يقولي هو عاوز إيه بس وانا ابعت حد يجيبهوله من العربية، ولما لقيته مصرّ ومش فاهم حاجة من اللي بقولها.. حكيتله على كل حاجة..

- وبعدين يا معلم، عمل إيه؟

رد رحمي في برود تام: ولا حاجة..

- يعني إيه ولا حاجة..

- يعني زي ما بقولك.. بصلي كدا بتناحة وكمل لغاية عربيته ولا كأني قولتله حاجة..

صمت المعلم تاركًا لها تفسير ما بدا أنه يحاول تفسيره منذ شهور، وحينما لم يجد لديها ما تخبره به استطرد:

TW/ @Rabe3_elkotob

صحيح انه ما جابش ولاده للسيرك تاني، بس علاقته بشكري زادت أكتر.. خروجهم كتر.. كلامهم كتر.. وقعدتهم في أوضة شكري طولت أكتر.. كأنهم عارفين بعض من ساعة ما اتولدوا.. المهم، في يوم كدا جالنا واحد وطلّع ميتين أم شكري من الضرب.. على ما خلصنا الواد من إيده كانت كل حتة فيه مدغدغة.. الراجل وهو بيطحنه ضرب كان بيزعق بكلام شبه اللي الست قالته.. بس المرة دي قاله في وسط الناس كلها.. وانا ما بقتش فاهم دا حصل إمتى؟؟ ولما سألت الراجل، قال انه في يوم كذا وولاده بيتصوروا معاه.. ولما سألت البهايم اللي معايا، عرفت ان ما حدش منهم كان موجود معاه ساعة التصوير يوميها.. لما الموضوع اتعرف، كل واحد بدأ يحكي عن حاجات غريبة.. ازاي انه واحد منهم شاف شكري والأستاذ إبراهيم في عربية إبراهيم بيتكلموا مع شوية عيال من الشارع، العيال اللي بايتة تحت الكباري دي.. وازاي انهم بيجيبولهم حلويات وأكل وانه ساعات كان بيبقى في عيال منهم معاهم في العربية.. فهمت ساعتها ان إبراهيم دا نجس زيه.. دخلت كمّلت على الـ(---) اللي اسمه شكري دا وطردته من السيرك.. قولتله لو شفت وشك هنا تاني هاخلص عليك.. قالولي ان بعدها بنص ساعة إبراهيم جيه وخده معاه في العربية.. دي كانت آخر مرة اشوف فيها شكري.. بعديها بكام يوم لقيت في الجرايد خبر ان جوزك المحترم اختفي، تقريبًا في نفس اليوم.. أنا ما شوفتش إبراهيم وهو جاي ياخد شكري من هنا، الواد مونجي هو اللي كان حاضر.. ممكن يحكيلك على اللي حصل..

قام من على كرسيه بصعوبة، قبل أن يخبرها دون أن ينظر إليها:

- صدقيني يا أستاذة كدا احسن.. الحمد لله انه اختفى من حياتك.. كله إلا النجاسة.. ومع مين.. مع شوية عيال.. غلابة..

TW/@Rabe3_elkotob

يلعن أبو المزاج المريض.. احمدي ربنا انك عرفتيه على حقيقته.. كمِّلي حياتك وما تفكريش في الحيوان دا تاني.. على الأقل دا اللي أنا بحاول اعمله..

انصرف مع انتهاء كلماته، ليجلس مونجي مع إشارة المعلم إليه بذات الكرسي.. نظرت إليه بعينين متسعتين ذاهلتين، رأى بهما مونجي أنها تحاول إيجاد مخرج يقيها من تصديق ما أخبرها به المعلم توًّا. أضاف مصدِّقًا على كلامه:

- بصي يا أستاذة أنا ما اعرفش أكتر من اللي المعلم قاله.. كل اللي قاله أنا شوفته.. هو بس في آخر يوم دا أنا كنت برمي لشكري حاجته بره، في عربية الأستاذ ابراهيم.. والله يا أستاذة كانوا بيضحكوا وهما بيحطوا الحاجة في شنطة العربية ولا هامهم.. الواد شكري دا كان وشه معجون من الضرب وعينيه وارمة ومش قادر يبطل ضحك..

توقف مونجي برهة واقشعر لتذكر ذلك المشهد، قبل أن يكمل:

- سمعت أستاذ إبراهيم بيقوله ما تقلقش وانه هيوديه الغواصة.. الصومعة.. حاجة كدا.. أكيد مكان وسخ زيهم..

قام وتركها منصرفًا، دون أن يدرك أنه قد أبطل بجملته الأخيرة قدرة دفاعتها العقلية على الاستمرار في عملها تاركة لبسمة وحدها مهمة استيعاب تلك الحقيقة البشعة..

ولتُدرك وِجهتها التالية...

الصومعة

TW/@Rabe3_elkotob

الفصل الثامن والثلاثون

انطلقت بسمة على طريق العين السخنة بسرعة جنونية، لم تعبأ على غير العادة بالحد الأقصى للسرعة القانونية، والتي تخطت ضعفها منذ لحظات. تساءلت في لا مبالاة إن كان عدم اكتراثها هو نتيجة لما يجري حولها من أهوال أم أنه جاء استجابة لتلك الرغبة اللحوحة المنادية للموت والخلاص من هذا الكابوس.

فهي لم تعد تستطيع طرد هذه الفكرة من مخيلتها، خاصة منذ لقائها برحمي ليلة الأمس. ليأتي المانع الوحيد دون الاستجابة لها هو تفكيرها بمصير أولادها من بعدها. زادت من ضغطها على دواسة البنزين، لتنطلق السيارة بسرعة أكبر وكأنها تسابق بها ذكريات ليلة الأمس التي انهمرت عليها للمرة الألف.. استرجعت تفاصيل استجوابها لأولادها، جاء كريمًا- بطينًا. حاولت عبره مراوغة ظهور الهدف الأساسي منه.

تمنت أن تكون قد أتت أسئلتها إليهما منطقية في ظِـل تبريرها المتكرر برغبتها في معرفة ما الذي يحدث بهذا السيرك الذي لم تذهب إليه أبدًا.

لم يسفر استجوابها عن شيء، ترك كلا الاحتمالين قائمًا. فإما أنه لم يحدث شيء أو أن ولديها كانا أكثر سذاجة من أن يدركا أنه قد تم التحرش بهما جنسيًا.

انتفضت لتخيُّلها الاحتمال الثاني وتمنت أن تجد بالصومعة اللعينة ردًا على تساؤلاتها، خاصة المتعلق منها بمكان اختفاء إبراهيم. لم تتوقع العثور عليه بالصومعة، لكنها لم تستطع أن تطرد من مخيلتها احتمالية

TW/ @Rabe3_elkotob

أن تجد شكري بها.

ليتوقف عندها عقلها عن العمل تمامًا من دون العثور على أي جواب لكلِ الأسئلة الناجمة عنه. ما الذي ستفعله حينها؟ هل سيخبرها شكري حقًا بما ترغب في معرفته؟ كيف ستجبره - إن رفض - على القيام بذلك؟

أخبرت نفسها وهي تزيد من ضغطها على دواسة البنزين أنها ستقوم بأي شيء لتستخرج تلك الأجوبة منه، وإن لم تستطع تحديد ماهية ذلك الـ «أي شيء» حقًا..

لم تنغرق في هواجسها كثيرًا، وجدت نفسها تعبر بوبات القرية الفخمة لتتوجه بعدها مباشرة للشاليه الخاص بها وتركن سيارتها أمامه. مكثت بسيارتها متجمدة وهي تتأمل الشاليه، بدا لها وكأنه بوابة من بوابات الجحيم.

نظرت للصومعة في رعبٍ وقد بدت لها قابعة بعالم آخر، عالم لن تستطيع بسمة إن ولجته العودة منه أبدًا.. وعندما استعادت بسمة القدرة على تحريك ساقيها نزلت متوجهة للصومعة، تتسارع دقات قلبها مع كل خطوة لها باتجاهها، حتى خُيِّل لها أن قلبها سيتوقف عن العمل حتمًا قبل بلوغها، أدركت في هولٍ أن خشيتها مما ستجده بها فاق أي شيء آخر.

فتحت باب الشقة ودفعته بقدمها قبل أن تبتعد عنه سريعًا وهى تلقي بنظرة قلِقة لما يقبع خلفه.. بدت لها الشقة عادية، تمامًا كما تتذكرها منذ آخر مرة جاءت إليها. لا أثر لأي من تلك المشاهد التي اجتاحتها طوال الطريق. لا أثر للوحات الدماء المتناثرة على الجدران أو لجثث متحللة منتفخة ملقاة على الأرض. لا شيء مريب أو حتى في غير موضعه. فقط بعض الثياب التي تركها إبراهيم خلفه، بعد رحلته الأخيرة لها.

انهمرت في البكاء وقد ذكرتها آثاره بوهم حياة سعيدة ظنت قديمًا أنها تحياها.نادت عليه في يأس أكثر من مرة قبل أن تتجرأ وتدخل الشقة،

TW/ @Rabe3_elkotob

بحثت عنه بكل الغرف وهي مستمرة في النداء عليه، لتجدها جميعًا بالنهاية فارغة. ارتمت على الأريكة التي انتصفت بهو الشاليه تحاول استعادة السيطرة على أعصابها المرتعشة، لتلمحه سريعًا قبل أن تتمكن من ذلك.

حاسوبه المحمول. ذلك الجهازالذي قضى إبراهيم معظم وقته بصحبته حاملاً إليه بكل ما مرَّ بعقله من أفكار منذ سنوات، حتى أضحى أفضل أصدقائه. ذلك الجهاز المفترض به حمله لرواية إبراهيم الأخيرة.

«السيرك»..

حمل لها العنوان بتلك اللحظة ألف معنى جديد، جميعها مقززة مخيفة وقذرة. توجهت للحاسوب بالكاد

تحملها ساقاها المرتجفتان. وصلت إليه مترنحة لترتمي على الكرسي الموجود خلفه. وبعد لحظات انتظار

طويلة، ضغطت بسمة على زر تشغيله.

طلب منها الحاسوب على الفور إدخال كلمة السر. لم يستهلك تخمينها هذه المرة أي وقت، وضعت ذات الكلمة التي كان قد اختارها إبراهيم لتأمين جهازه بالمنزل.

..ibrahimBASMA

أتت صحيحة، لتمر بسمة على الفور لأغواره في رهبة.

لم يؤدِّ بحثها الأول به الذي جاء هيستيريا للعثور على أي شيء ذي قيمة. بضعة أفلام ومقطوعات موسيقية اعتاد إبراهيم الكتابة على ألحانها، بعض النسخ الأولية لرواياته القديمة وبعض الأفكار والخواطر الغير مترابطة، لا شيء بخصوص روايته الأخيرة المفترض بها انتهائها تمامًا.

TW/@Rabe3_elkotob

حاولت أن تتملك أعصابها، لتبدأ بحثًا ثانيًا بتركيز وعمق أكبر هذه المرة. كانت متيقنة – ومن دون سبب موضوعي تستند إليه – أن الإجابة تكمن بذلك الجهاز اللعين.

قررت ألا تترك أي ملف به مهما بدا اسمه تقليديًا حتى تقوم بفتحه وترى محتواه. وبفتحها الملف رقم ٥٤٩ الحامل لاسم windows updates كان بحث بسمة عن مكان زوجها المفقود قد انتهى تمامًا.. ليس لإدراكها سبب اختفائه أخيرًا أو لاكتشافها مكان إقامته الحالي أو لإدراكها من هو كريم الحفراوي أو مكانه.. بل لأنه وبفتحها ذلك الملف ورؤيتها لمحتوياته على شاشة الحاسوب أمامها، ذهبت أي حاجة لدى بسمة للعثور على زوجها إلى الجحيم.. لم يعد شيئًا مهما بالنسبة لها بتاتًا، لا شيء على الإطلاق..

تراصت أمام عينيها الذاهلتين آلاف من الصور القذرة الحقيرة لأطفال لم يتعدّوا الثلاثة عشرة من العمر.. وَقَفوا أو تمدّدوا بها جميعًا في أوضاع مشينة مقززة، عاريين.. صور يكفي الاحتفاظ بها للإدانة بالتحرش الجنسي بالأطفال والسجن جراء ذلك مدى الحياة..

وقبل أن تفيق بسمة من الدناسة التي امتلأت بها الشاشة أمامها، رأتهما..

صور أخرى..

صور ولديها، ياسمين وكريم.. بالمنزِل، أو بالأحرى بحمّام المنزِل.. يستحمّان.. عاريين..

ومن دون الحاجة للمزيد من التفسيرات، ألقت بسمة بحاسوب زوجها على الأرض، لتتهشم شاشته وتُظلم على الفور.

تمامًا كما أظلمت الدنيا من حولها وتهشّم كل شيء بداخلها..

TW/@Rabe3_elkotob

الحفرة
المقالة الأخيرة

ما حدث أولاً كان رغبتي في كتابة سلسلة من المقالات العبثية. وبحلول تلك المقالة منها، أرجو أن تخبرني عزيزي القارىء بسؤالك الأخير. إذ لم يعد لدي من الوقت سوى ما يكفي للإجابة عن سؤال واحد.

سؤالك الأخير..

هل هو «لماذا؟»

لماذا حدث ذلك؟

قلت لك مسبقًا..

لأننا نستطيع.. لأننا بالغون.. لأنك رغبت بالعيش آمنًا.. لأنك رغبت في تحويل قصتك لأخرى رومانسية..

لأنك رغبت في أن تكون ناجحًا..

أخبرتك بجميع الأسباب..

هل هو «كيف؟»

كيف حدث هذا؟

أخبرتك..

باتباعك مسار الحياة الطبيعي.. بالهروب من عقلك.. بجمعك للطوابع أو بمحاولتك علاج السرطان..

بإيمانك بالاختيارات الآمنة.. بشرائك تلك البدلة..

TW/@Rabe3_elkotob

أخبرتك بكل الوسائل..

هل هو «متى؟»

متى حدث هذا؟

أخبرتك..

حين كنت بالخامسة.. عندما قبلت بتلك الوظيفة أو تحملت تلك المسؤولية.. عندما وقعت بالحب..

عندما بلغت الثلاثين من عمرك..

أخبرتك بكل المواعيد..

هل هو «من؟»

من قام بهذا؟

أخبرتك..

والدك.. زوجتك.. حبيبتك.. مديرك.. كالفبن كلاين.. أنت شخصيًا..

أخبرتك بأسماء كل المتهمين..

هل هو «ماذا؟»

ماذا حدث..

أخبرتك..

لقد أهدرت حياتك.. لقد مللت وضجرت.. لقد نسيت ما الذي ترغب به.. لقد استسلمت لتيار الأغلبية..

لقد دمرت حياتك.. لقد تفاوضت..

أخبرتك بكل الأحداث..

هل هو «لمن؟»

TW/@Rabe3_elkotob

لمن حدث ذلك؟

أخبرتك..

حدث لي.. لأبي.. حدث لزوجتي.. حدث لنا جميعًا.. ولكن المهم حقًّا.. أنه قد حدث لك..

إن كان سؤالك الأخير هو أحد تلك الأسئلة السابقة بالفعل، أرجو منك عزيزي القارىء التوقُّف عن القراءة فورًا والتفكر في سر نسيانك لتلك الأجوبة بهذه السرعة.

لم تتصرف وكأنه لا فكرة لديك عمَّا أتحدث عنه؟

ربما لأنك لن تذكر سوى ما احتل عقلك ولفت انتباهك وحفظه إدراكك طوال حياتك..

بضع أغانٍ وإعلانات سخيفة، منتجات تافهة وأرقام توصيل الطلبات للمنازل، أسماء بعض الممثلات الحسناوات وعناوين بعض المقاهي الراقية.

ذلك هو كل ما جمعته من معلومات عبر حياتك، هو ما تحاول استخدامه الآن لإضفاء أي معنى..

ما تحاول به الآن حل مشاكلك الوجودية.. فإن كان ذلك هو ما دارت حوله روايتك فلمَ قد يختلف الفصل الأخير منها؟

لو أنك ركزت سابقًا في مقالاتي بما يكفي، لما بقى لديك أي كيف أو لماذا أو أين أو ماذا لتجهله، أو

ليفاجئك..

لما بقي ما يسحرك.

انظر أيضًا: ما يضلك.

TW/@Rabe3_elkotob

فقط لو أنك ركزت بما يكفي..

ولكنك لم تفعل..

أعرف هذا، لأنك استمعت اليوم لشيء أثارَ اهتمامك..

لأنك نافقت اليوم مديرك، متذكرًا شيئًا تحتاج ابتياعه..

لأنك أردت اليوم شيئًا أكثر من حريتك..

لأنك أجَّلت اليوم القيام بما تعرف أنه سيسعدك..

لأنك ابتعت اليوم شيئًا لا حاجة لك به.. لأنك صدقت اليوم وعدًا.. لانك أجريت اليوم محادثة ممتعة..

لم يكن يفترض لأي من هذا أن يحدث..

ولكنك لم تركز أبدًا..

كان من المفترض - بحلول هذه المقالة - أن أكتب عن أي حوار لك في سطرين أو ثلاثة على الأكثر..

لم يكن ليفترض - بحلول تلك اللحظة - أن تحمل إليك مقالتي أي جديد..

كان ليفترض بك في تلك اللحظة معرفة كل ما سيقال مسبقًا..

فإن كتبت أن صديقك أخبرك:

- لقد جمعت تلك الأشياء على مدار حياتي.

كان المفترض أن يكون ردك عليه هو:

- أعلم ذلك.

لينتهي بذلك حواركما، ولتكون هذه إحدى أطول المحادثات التي خضتها مؤخرًا..

إن أخبرك صديقك:

TW/@Rabe3_elkotob

- أكره عملي.

كنت لأتوقع أن يأتي ردك عليه هو:

- أعرف.

كان يفترض لهذه المقالة أن تكون هادئة..

ولكن بسبب عِندك وتشتتك ستكون النهاية أعنف من أي شيء يمكنك تخيله..

لماذا لم تردّ بـ«أعرف» عندما أخبرك صديقك بـ« وقعت في الحب».

كل ما سيأتي من أحداث هو خطأك أنت..

كنت أتمنى بحلول هذا المقالة أن يكون حوارك مع صديقك كالتالي:

« حصلت على وظيفة»

«أعرف»

«سأتزوج»

«أعرف»

«لقد مللت»

«أعرف»

« تركتني حبيبتي»

«أعرف»

« الطاقة الحركية = ٥ , ٠ الكتلة X مربع السرعة.»

«أعرف»

«ابتعت هاتفًا وكاميرا جديدين»

«أعرف»

TW/ @Rabe3_elkotob

«لديّ ٩٨٣٤٧٩ صديق على الفيسبوك»

«أعرف»

«أوعدك»

«أعرف»

« أنت غير مسؤول»

«أعرف»

« أنا ناجح»

«أعرف»

«أنت متبلد المشاعر»

«أعرف»

«عليك اللعنة»

«أعرف»

«أحب تامر حسني»

«أعرف»

« اللامبورجيني سيارة رائعة»

«أعرف»

«أنا سبايدرمان»

«أعرف»

« انظر خلفك.. طبق طائر»

« أعرف»

« بلغت الثلاثين من عمري»

TW/@Rabe3_elkotob

«أعرف»

« ابني بالخامسة من العمر»

«أعرف»

« انظر لتلك البدلة، كم هي رائعة»

«أعرف»

«ولكن هذه الفتاة مختلفة حقًّا »

«أعرف»

«أريد غرس سكينٍ برأسك»

«أعرف»

«أنا ذاهب لحديقة الحيوان»

«أعرف»

«أنا ذاهب لموناكو»

«أعرف»

«أنا ذاهب للجحيم»

«أعرف»

« إبراهيم فؤاد كاتب أحمق، كيف يمكنه كتابة مقالةٍ كهذه»

«أعرف»

«هل تعرف ما هي أفضل هدية يمكنني ابتياعها لحبيبتي في حدود ألف جنيه»

«أعرف»

«أحتاج المزيد من المال»

TW/@Rabe3_elkotob

«أعرف»

«نمسيتبنكتسي نسيبتنماسي نمتيسبام تبلالاغعريقص صشبياص»

«أعرف»

ولكن - للأسف - لم يحدث أيٌّ من هذا..

ولذلك دعني أخبرك -عزيزي القارىء- أن المسار الذي تجبرني على كتابته لن يصل بك لأي شيء جيد أبدًا.

هذا المقال هو آخر فرصة لكَ لتعي أنك أهم شيء بروايتك..

آخر سطور يمكنها أن تجعلك تدرك حقيقة إهدارك لحياتك..

آخر فرصة لترى ذلك الفراغ المرعِب القابع خلف كل ما تشتهي..

لو أنك عزيزي القارىء ما تزال مُستمتعًا بالقراءة، أرجو منك التوقف فورًا.. فهذه الكلمات ليست لك..

TW/@Rabe3_elkotob

الفصل التاسع والثلاثون

رنَّ هاتفه بتلك النغمة التقليدية التي تطلقها معظم الموديلات القديمة، تلك التي تستطيع بطاريتها من البقاء على قيد الحياة لمدة تزيد عن الثلاثة أيام من دون الحاجة لإعادة شحنها. قبل أن تمتص الشاشات الملونة والاتصال الدائم بالشبكة العنكبوتية لاحقًا طاقة الأجيال الأكثر شبابًا لتقصف بعمرها الافتراضي مبكرًا، تمامًا كما فعلت بحياة البشر..

امتدَّت يد إبراهيم القذرة لتُخرج الهاتف البدائي من جيب بنطلونه الذي جاء أكثر اتساخًا. ابتسم وقد أدرك شخصية المتصل به من دون الحاجة لاستطلاع اسمه، لم يكن أحد غيره يعرف ذلك الرقم. ضغط على زِر تلقي الاتصال في حماس ورحَّب به في بشاشة غير مصطنعة:

- رحمي، ازيك يا كبير؟
- أنا كويس
- خير؟
- مراتك جت امبارح.... زي ما قلت..
- وبعدين؟
- ولا قبلين.. قولتها اللي اتفقنا عليه..

صمت رحمي قليلاً قبل أن يضيف:

- والله صعبت عليا يا إبراهيم.. أنا مش عارف انت بتعمل كدا ليه..

TW/ @Rabe3_elkotob

الست كان هيجرالها حاجة..

- معلش يا رحمي.. احنا اتكلمنا في الموضوع دا قبل كدا.. صدقني كدا احسن.. مش هاعرف اشرحلك...بس كدا أحسن.. للكل.. على العموم شكرًا انك عملت اللي وعدتني بيه..

- والله لولا اني عارف ان عقلك يوزن بلد ما كنت طاوعتك أبدًا.. الواد مونجي راخر قال لها الكلمتين اللي انت كنت قايله عليهم..

- ألف شكر يا رحمي.. سلملي عليه وقوله ان اللي اتفقنا عليه هيوصله.. رحمي.. ابقى خلينا على اتصال.. وانا أكيد هابقى اجي ازوركم.. سلام..

أنهى الاتصال قبل أن يتمكن رحمي من ردِّ السلام، مدركًا أن ما أختتم به الاتصال من كلمات هو آخر عهده بقواعد اللباقة والذوق. إذ كان يعلم تمامًا - وفي الأغلب رحمي كذلك- أنه لن يتصل به أو يلقاه ثانية.

أخذ إبراهيم نفسًا عميقًا وهو يذكِّر نفسه مجددًا بكل تلك القيود التي تحطمت عنه. نزع عن الهاتف شريحته التي كان قد ابتاعها منذ بضعة اسابيع لا لغرض آخر سوى تلقي هذا الاتصال. اشتراها من أحد تلك الأكشاك الصغيرة المختصة ببيع مستلزمات الهواتف النقالة والتي لا يتطلب التعامل معها لأي إثبات شخصية.

ألقى بالهاتف على الأرض بكل قوته، ليتهشم وتتناثر أشلاؤه بعرضِ الشارع المهجور. ثم ألقى بالشريحة - مع نظرة رضا أخيرة لأشلاء الهاتف- بأقرب مقلب زبالة، لم يأتِ العثور عليه صعبًا بذلك الحي الفقير. فبمثل هذه المناطق يتم تخصيص أي مساحة خالية به لهذا الغرض.

وبعد أن اطمأن على تدمير آخر وسيلة اتصال به، توجه لمكانه المعتاد. جلس على ذلك الرصيف النحيل

TW/ @Rabe3_elkotob

القذر في هدوء.كان قد تخلص قديمًا من وسواسه القهري المتعلق بنظافة ثيابه. ابتسم في سخرية وهو يستعيد ذلك الهراء الذي تحكم به طويلاً، قارنه بواقعه الحالي وهو يتأمل ثيابه التي أضحت أقذر من الأرض أسفله، ومن الحائط خلفه بل ومن القمامة المنتشرة حوله. شعر بها على الرغم من ذلك أكثر راحة من كل ما ارتداه يومًا ما.

اتكأ بظهره على الحائط وركن برأسه إليه، قبل أن يغمض عينيه مفكرًا فيما أتى به رحمي من أخبار.

حاول التحكم في ارتجافه وهو يستوعب معنى أن بسمة زارت السيرك ليلة أمس..

عنى ذلك أنها بالصومعة حتمًا.

وأن آخر ما خطط له إبراهيم من خطوات، يتحقق بتلك اللحظة.

حاول استعادة هدوئه وهو يسترجع تفاصيل خطته المحكمة منذ بدايتها.

TW/@Rabe3_elkotob

الفصل الأربعون

الحقيقة كانت أن إبراهيم فؤاد لم ولن يكتب أبدًا رواية باسم السيرك، ولا حتى أي رواية أخرى تدور أحداثها بهذا المكان. ولكن إعلان انشغاله بكتابتها سهَّل عليه كثيرًا مما كان قد قرر القيام به لاحقًا. تردد في البدء كثيرًا في اختيار المكان الأمثل لبدء خطته.

مكان يتواجد به الأطفال بصورة طبيعية ويمكنه الاتفاق مع العاملين به في مساعدته بإطلاق إشاعة قذرة كالتي أنتوى إطلاقها. ليأتي السيرك بالنهاية كأفضلها جميعًا. كون الأطفال يذهبون إليه بصحبة ذويهم يجعل العاملون عليه غير مسؤولين عمَّا يقع لهم من أضرار. مثل السيرك في هذا مثل الجراج الذي اعتاد إبراهيم رَكنْ سيارته به أو الكافيه الذي يترك حاسوبه على طاولته أو النادي الصحى الذي يترك محفظته بخزانته بل وحتى مثل أي شركة تأمين.

فكلهم وإن رغبوا في نقوده فإنهم يعلنون فور حدوث أي شيء لمتعلقاته عن عدم مسؤوليتهم بتاتًا، مشيرين في ثقة للوحة مخبأة بركنٍ هادىء حملت في وضوح ما يفيد ذلك.. احتاج - بعد اختيار مسرح أحداثه - لعذرٍ مناسب، يمكِّنه من الذهاب إليه يوميًا، ليتعرَّف على العاملين به ويتودد إليهم بما يكفي لأن يوافقوه لاحقًا على تنفيذ العبث الذي سيطلبه منهم، لتاتي حجة كتابته رواية عن السيرك وتقوم بذلك في سلاسة، من دون إثارة الشك في نفوسهم أو في نفوس المقربين منه ولتعطيه لاحقًا عذرًا للذهاب لصومعته والقيام بآخر خطوات خطته.

TW/ @Rabe3_elkotob

ذلك المتعلق بمحتويات حاسوبه.. فكَّر كثيرًا في كل الآثام والفضائح التي يمكنه بها نعت نفسه، لتأتي جميعها أقل وقعًا من تلك التي اختارها في النهاية. ولتبدو له تلك التي استقر عليها عبقرية، لا يضاهيها أي شيء آخر. إذ بدا له أن اصطناع جريمة قتل شيء معقد للغاية، يتطلب منه التعامل مع الكثير من الأدلة الجنائية والتحايل على خبراء الطب الشرعي.

وكذلك افتعال خيانة زوجية - وإن كان سهلاً - فإنه لم يكن ليأتي أبدًا بالنتائج المرجوة. فخيانته لبسمة لم يكن ليجعلها أقل رغبة أو إصرارا في العثور عليه، بل إنه في الأغلب كان سيحيل أي رغبة لديها في إيجاده

لوسواس قهري، ترتب عبر ما يستهلكه من وقت لذلك المشهد العبثي التقليدي، حين تأتي إليه لتواجهه وهي تصيح به باكية:

- ليه عملت كدا.. قوللي أنا قصرت معاك في إيه..

اقشعر لتخيُّل هذا الاحتمال، لم يكن من الممكن قبول أن يقوم بكل ما قام به ليشغله التفكير لاحقًا في مدى احتمالية أن تأتي خطته بالنتائج المرجوة منها. ولذلك، اختار أضمن تلك الآثام..

التحرش بالأطفال..

العبقرية في اختياره هذا كان أنه لن يضطره لفعل شيء حقًّا، فقط ملء حاسوبه ببعض الصور لتأكيد

التهمة. إن تغيُّر المشهد اللطيف المحبب لرجل يضع طفلاً بحجره ليلاعبه، لآخر في غاية النفور والاشمئزاز

بمجرد معرفة أن ذلك الرجل متحرش بالأطفال - من دون أدنى اختلاف لما يقوم به الرجل في المشهدين- لهو خير دليل أن اختياره كان عبقريًا بحق.. لتتحول - وبمنتهى السلاسة - صور أطفاله التي اتقاط أغلبها في وجود بسمة بجواره لأخرى غاية في التقزز بمجرد نقلها من مكانها المعتاد بملف الصور العائلية إلى آخر أكثر انحطاطًا.

TW/@Rabe3_elkotob

لربما كان التحرش بالأطفال هو الجريمة الوحيدة التي لا يحتاج الإدانة بها لأكثر من الشك بنيةٍ مرتكبها، لتأتي جميع الوقائع والأدلة الملموسة بعده ثانوية بلا قيمة حقًا. وليأتي مجرد الشك في قيام أحدهم بها اشد نفورًا من الادانة الفعلية لما عداها.

كل ذلك أكد له أن اختياره كان منطقيًا وعبقريًا.. إذ كان لا بد للإثم الذي انتوى وصم نفسه به، من أن يأتي كأبشع ما يمكن لأحدهم تخيّله. لم يكن ليقوم بما هو أقل من ذلك اشمئزازا لأنه لم يكن ليقبل بما هو أقل منه كفاءة، لم يكنٍ ليرضى بنتائج أقل قسوة.

كان عليه التيقّن من أن بحث بسمة عنه سينتهي فورًا بمعرفته، وإلى الأبد.فهي وبما تمتلك من إمكانيات - أقلها علاقات والدها الأمنية - لقادرة على العثور عليه مهما جاهد في إخفاء آثاره. ليستحيل بذلك أمر العثور عليه لمسألة وقت فقط لا أكثر.

كان عليه إقناع بسمة - وهي الزوجة المحِبة المخلصة والأم المتفانية - بالتوقف عن البحث عنه. فتبِعات عثورها عليه - إن حدث- ستكون وخيمة. لن تخرج أبدًا عن تشخيصه بالإصابة بفصام متفكك حاد.

ذلك المرض النفسي الذي عادة ما يترك المصاب به الاهتمام بنفسه وبنظافته ليعيش كالمشردين في الشوارع.

سيحجزونه بعدها بمصحة نفسية ليعيش ما بقي له من أيام بها، طالما أنه لم يعدل عن قراره واستمر رفضه للعودة لعمله ولعائلته، فسيصبح التفسير المنطقي لجميع من حوله أن ما أصابه هو مجرد أعراض مرض نفسي مزمن. لن يتمكن أحد من استيعاب أي سبب آخر لما قام به بل سيرفضون حتى مجرد التفكير في وجوده.

سينامون بشكل أفضل كثيرًا إن آمنوا أن ما أصابه هو بسبب خرف الشيخوخة.

TW/ @Rabe3_elkotob

أدرك إبراهيم مبكرا أن أي محاولة لجعل العثور عليه مستحيلاً هو أمر ساذج وسخيف. الحل الوحيد يكمن في إقناع بسمة بالتوقف عن البحث عنه، وإنهاء أي رغبة لديها في العثور عليه، إلى الأبد.

ابتسم وهو يعبث بذقنه، مدركًا أن خطته لم تكن موجَّهة إليها فقط، وأن قِسمًا غير بسيط منها جاء بغرض تصميم ذات الفخ المحكم له. رغب إبراهيم في ضمان يمنعه شخصيًا من العودة لعالمه إن أراد ذلك يومًا.

كان لا بد له من طرد أي احتمال لاستجابته لتلك الفكرة. أراد قرارًا لا يملك العودة عنه، مهما ضعف أو ندم أو توسلت إليه لنفسه لاحقًا.

يطلقون على ذلك في الطب مصطلح «عطب دائم غير قابل للإصلاح»..

وهو بالضبط ما كان يبحث عنه، عطب دائم غير قابل للإصلاح يصيب به ذلك النظام المعقد الكريه الذاتي العمل الذي كوَّنه بنفسه، والذي أعلن إليه فور اكتماله في وقاحة ألا فرصة لديه لتغييره. عطب دائم غير قابل للإصلاح يضمن به نجاح ما خطط فعله ويجبره على ترك حياة الفراغ والملل التي ظل حبيسًا لها.

عطب دائم غير قابل للإصلاح يبدأ به مغامرة لا يدري عنها شيئًا، ولا يملك أثناء قيامه بها سوى مراقبة ما ستأتي به من نتائج.

الشيء الذي لم يختبره منذ عقود.

فمنذ أعوام وذلك الظلام يبتلعه، دون أن يشعر بهذا أيٌّ من المحيطين به. لم يلمح أيًا منهم تلك العلامات التي دلت أنه قد امتلأ بذلك الفراغ والخواء والإحساس بعدم جدوى أي شيء وفاض به، حتى لم يعد بمقدوره الشعور بأي شيء آخر.

لم يدرك أقرب الناس إليه انشغاله المتزايد بفكرة الانتحار، وأنها أضحت بالنسبة إليه السبيل الوحيد للخلاص من هذا الفراغ الثقيل الذي لازمه،

TW/@Rabe3_elkotob

بعد أن بات التخلُّص منه مرادفًا للتخلص من حياته، خاصةً من تلك الأعوام الأخيرة التي سبقت اختفاءه والتي وصل تشبُّعه من تلك الحياة إلى حدٍّ لا يطاق. أبصر في ذهول يوم انتقال فكرة الانتحار من خانة أحلام اليقظة لخانة التنفيذ. حين أغلق باب الحمَّام من خلفه في هدوء، قبل أن يتابع يده الممسكة بموس وهي تمتد لقطع شرايين رسغ الأخرى.

وعندها أتاه الحل ساطعًا..

وإن عجز رغم ذلك عن إقناع يده بالتوقف، ظلت متشككة لما توصل إليه من حلول، تتطلب السيطرة عليها مجهود شاق وقد بدا إصرارها على استكمال ما همت بفعله واضحًا.

حاول إقناعها بما أتاه، حاوَرها..

ما الداعي للاختباء خلف ستار الموت لإعلان مللـه ومقته وزهده لهذا العالم أجمع؟

إن كان قد قرر خسارة كل شيء حقًّا، إن اعتقد حقًّا أن تركَ كل شيء خلفه هو الحل، فلماذا لا يقوم به حقًا؟

لمَ لا يقوم به حيا؟

أليس ذلك أفضل؟ ألن يأذن ذلك الحل البديل بميلاد جديد عوضًا عن الموت كافرًا؟

ألا يكفيه ما أتى عليه جبنه واستسلامه من نتائج، أيلزمه الفرار من نتائجهما خسارة آخرته كذلك.

وبإخباره ليده عما انتوى فعله، توقفت في ذهول..

في الأغلب، لأنه لم يكن يقل فداحة عن الانتحار.

TW/@Rabe3_elkotob

الفصل الحادي والأربعون

اكتشف إبراهيم بعد تدميره لتلك القيود التي كبَّلته طويلاً أنها قد تعدَّت الواضحة له منها، لتظهر من خلفها قيود أخرى أشد عُمقًا وتكبيلاً. لم تكن المشكلة كما اعتقد في البداية في عمله أو في متطلباته العائليه أو في تلك المظاهر الاجتماعية السخيفة المحيطة به. فتلك القيود كانت هيِّنة إذا ما قورنت بالتي تحكَّمت به ودمَّرت حياته حقًا. تلك المختبئة خلف كل ما اعتبره إبراهيم يومًا من المسلّمات. كعاداته ورغباته وشخصيته وأفكاره.

بعد أن أضحت جميعها وبلا استثناء تقليدية سطحية، وتأثّرت بمرور الوقت بجميع من حوله وامتلأت بما أرادوا أن يقنعوه به، حتى لم يعد يعلم من الحق بإعلان ملكيته لها، إبراهيم أم هم؟

كان لا بد عليه من القيام بحلٍّ يقضي على تأثير ذلك عليه، ويحد من قدرته على توجيهه. لم يكن يرغب في الانتهاء ثانية لذلك المكان الذي قادته إليه أول مرة.

بحمَّام ما، منتويًا إنهاء حياته.أتته النتائج لاحقًا مبهرة بالفعل.. لم يشعر بهذا الأمان من قبل. كم استأجر قديمًا من الخفراء وأفراد الأمن وخزن البنوك. كم ابتاع من كلاب الحراسة ومن الأسلحة الشخصية.. لياتي قلقه بعد كل ذلك بالغًا، يرتعد من فكرة فقدانه لأيٍّ من ممتلكاته..

يكفي نباح أحد كلابه أو أن علوّ صوت أحد أفراد أمنه ليوقظه من نومه وليستحيل عليه بعدها العودة إليه.

TW/ @Rabe3_elkotob

اكتشف فيما بعد أن رائحته النتنة وثيابه الرثة كانت أفضل جهاز أمني عرفه العالم. بإمكانه إخفاء ملايين الجنيهات بثيابه دون أن يفكر أحدٌ في التعرض له. فما الذي قد يجده أحد بحوزة متسكع مثله؟

لم يشعر بهذه الحرية من قبل. كان على الدوم مشغولاً متأخرًا عن القيام بشيء ما يجب عليه فعله، وحتى عند انفراده بنفسه بصومعته كان ما يزال متأخرًا عن ميعاد نشر أو حتى عن توقعات القرَّاء أو النقَّاد. كم أنهكته محاولات التصرف - بكل دقيقة يحياها- لنيل استحسان المحيطين به ومقابلة توقعاتهم، والتي دائمًا ما أتت مبالغًا بها وسخيفة للغاية.

حين أدرك أن مصدر تلك القيود والعبء النفسي الذي لازمه طويلاً كان كل ما بذلَ من جهدٍ يومًا في سبيل الحصول عليه، أصبح لزامًا عليه أن يأتي بحلٍ يقضي عليهم جميعًا، وبلا رجعة. ليعود بعده ما بقى له من وقت مِلكًا له، دون شريك، أيًا ما كان.

حل مجنون، أخرق، حقير، أناني، أسمِه ما شئت. لكنه بلا شك حل فعال. الثغرة الوحيدة الكامنة به كانت بحاسوبه أيضًا. وإن كان لم يعتقد في إمكانية انتباه بسمة إليها. لم يتخيل أن تلمح ذلك الشيء الذي يمكنه - إن فعلت - أن يثير ما يكفي من الشك بداخلها لإعادة التفكير فيما أبصرته توًا.

هل يمكنها حقًا ان تلاحظ - وسط ذلك السيل من صور الأطفال العراة، ومن بينهم أطفالها - أن تاريخ إضافتها جميعًا بحاسوبه جاء في يوم واحد سبق اختفائه بأقل من أسبوع، نافيًا بذلك كونها مرتبطة بهوس مزمن أو إدمان سري أخفاه صاحبه طويلاً؟!

لم يعتقد في إمكانية حدوث ذلك، أو حتى في استنتاج بسمة لما يحمله ذلك من تفسيرٍ إن حدث. ولذلك كان تيقنه اليوم من نجاح خطته كاملاً، ومن أنه قد تخلَّص أخيرًا من كل شيء يربطه بحياته القديمة.

TW/@Rabe3_elkotob

حتى هو شخصيًا..

فقد أضحى شخصًا آخر كلية. عمل بوظائف لم يكن يتخيل إمكانية قيامه بها. نادل، عامل بمحطة بنزين، عامل نظافة، وحتى متسول. قام بما لم يكن يملك القدرة يومًا على تخيله، وكرره مرارا حتى أضحى عادة من عاداته. لم يعد يستشعر أي حرج أثناء قيامه بأي شيء يرغب بفعله.

وكأنما أراد تأكيد ذلك لنفسه، تناول زجاجة المياه القذرة الملقاة بجانبه، شرب منها في نهم قبل أن يتجشأ بصوت عالٍ مُستمتعا بنفور الناس من حوله. هؤلاء الذين أفنى عمره في محاولة استمالتهم واسترضائهم ونيل كلمات الإعجاب منهم. كل ذلك أضحى ماضيًا بعيدًا..

الشيء الوحيد الذي جاء صعبًا كان تركه لولديه. بل إن ذلك كاد يقضي على خطته قبل تنفيذ أولى خطواتها.. لم يخفف شيئًا من وقعها عليه سوى إدراكه أن بديل القيام بها سيكون الاختفاء من حياتهما أيضا، ولكن هذه المرة منتحرًا. ألم يفنِ عمره في سبيل توفير ما ظنه كافيًا لإيقاف قلقه حيالهما، وكأن المال والمزيد منه هو الحل الوحيد لضمان سعادتهما. ليمضي بالرغم من ذلك معظم وقته بعيدًا عنهما، دون أن يعلمهما أي شيء سوى أن طلباتهما مجابة.

سيكونان أول من يلفظانه إن تباطأ في تحقيق أي مطلب لهما. ولهذا جاءت مقالاته الأخيرة.. لتصل إليهما يومًا بعد نضوجهما، إن ظلا حتى ذلك الحين يتساءلان عن مصيره، ليجدا فور البحث عنه آخر ما ألقى به من كلمات والتي جاءت بعد اختفائه. لا بد أنهما سيدركان أنها تحمل سرًا.

تمنى أن يستوعبا عند الاطلاع عليها سر اختفائه، وليأتي عندها كأهم ما علمهما إياه عبر حياته الخاوية.

تمنى أن يأتي كافيًا للفت انتباههما لأن ثمة خطأ فادح بحياتهما. ما كانا ليصدّقاه أبدًا إن أخبرهما به مرارًا وسط حياتهما السهلة المليئة بالطلبات

TW/@Rabe3_elkotob

المجابة. لن يتخيلا أبدًا ان آخرها سيكون ندمًا هائلًا لا قِبَل لهما به. كان لابد أن يحاول تجنيبهما المصير البائس الذي آل إليه.

لن يحتمل أبدًا أن يتخيل أحدهما وقد حبس نفسه بحمَّام ما، مقررًا إنهاء حياته. كان لا بد له من توجيه صفعة هائلة لوجوههما، ليدركا بها أن ثمة خطب هائل ما..

صفعة ليست أقل وقعًا من اختفاء والدهما..

آخر ما رتب له إبراهيم قبل اختفائه كان استخراج مبلغ نقدي من المال، خبأه واعتبره طوق نجاة يمكنه من مساعدته يومًا إن اتضح له أن تلك القيود القديمة ما زالت مستمرة في تسييره والتحكم به. إن أثبتت له حقًا أن الاستمتاع بالحياة من دونها بلا جدوى. سيمكنه عندئذ توفير مبلغ كاف يطير به إلى جزيرة نائية بالمحيط الأطلسي أو بعاصمة من العواصم الأوروبية، ليتسكع بها لما بقي له من عمر مترددًا على مطاعم فخمة أو عروض فارهة.. لكنه لم يستشعر تلك الحاجة مطلقًا حتى اليوم. يبدو أنه قد نجح بالفعل. أضحى سعيدًا راضيًا عن كل ما يفعله، أو بالأحرى عن كل ما لم يعد يفعله..

تخيل إبراهيم أن يستمر به الوضع هكذا إلى الأبد. يحيا دون أن يفعل سوى ما يرغب حقًا بفعله، فقط ومن دون الاكتراث لأي شيء أو شخص آخر.

سيجده أحدهم بعد عدة أعوام بذلك الركن القذر الذي يجلس به الآن، وقد أضحى جثة.. جثة مجهولة لن يتعرف عليها أحد. لن يدرك أيهم أن ذلك الوجه الكالح يمكن أن يخص د/ إبراهيم فؤاد، الكاتب الناجح ورجل الأعمال الثري والشخصية الإعلامية المرموقة. سيعتبرونه شحاذًا مسكينًا ويدفنه أصحاب البر في هدوء، ليبقى شيء واحد، لن يتمكن أحدهم من تفسيره أو تجاهله، وهو ما ستحمله تلك الجثة من ابتسامة رضا هائلة..

TW/@Rabe3_elkotob

تمت..

أو هكذا اعتقدتُ..

TW/@Rabe3_elkotob

TW/ @Rabe3_elkotob

الخاتمة
الفصل الأول

أبدلت ثيابي في حماس قاصدًا الخروج للاحتفال بإتمام روايتي ويخلو ذهني أخيرًا من التفكير بشخوصها وأحداثها السوداوية المأسوية. أتى الاحتفال لاحقًا - ككل شيء آخر - مختلفًا عن تلك الصورة الذهنية التي كنت قد رسمتها له. أحبطني واقعه الذي جاء باهتًا. لم أقم بشيء منذ ساعات سوى السير بشوارع القاهرة المطلة على النيل بلا هدى، أتأمل بها المارين من حولي في برود..

شيء ما بدا لي ليس صحيحًا، ذهني لم يأتِ خاليا أو مسترخيًا كما توقعت. أمسكت به أكثر من مرة متلبسًا بالتفكير في أحداث الرواية. ينبش بقلق وحرص بحواف ثغرة اكتشفها بها توًّا. والتي إن صحت، يمكنها أن تدمر الرواية بأكملها.. حاول إهمال ما توصل إليه والالتفاف حوله أو حتى اختلاق سببًا آخر لما أشعر به تجاه الرواية يأتي إصلاحه أسهل، دون جدوى.

فقد بدا لي السبب وراء ما قام به إبراهيم بالرواية غير منطقي. كان يمكنه القيام بالعديد من الحلول الأخرى والتي كانت لتأتي إليه بنتائج مشابهة، من دون الحاجة لارتكاب تلك الأهوال، أو بالأصح من دون الحاجة لأفتعل ارتكاب تلك الأهوال. اعتصرت رأسي باحثًا عن مهرب يغنيني عن تغيير أحداث الرواية بأكملها ويجعل تفسير ما قام به إبراهيم

TW/ @Rabe3_elkotob

يبدو أكثر منطقية.

أفاقني من شرودي نداء جهوري قضى على تلك الحلول المشوَّهة المبتورة التي كنت أحاول اختلاقها.

- الجزمة يا دكترة؟

التفتُّ لمصدر الصوت لأبصر ذلك العجوز الذي افترش الأرض ومن أمامه العدة التقليدية المعلِنة أن تنظيف الأحذية هي مهنته، تعجبت كيف أدرك الرجل مهنتي، وتساءلت إن أضحت هموم المهنة واضحة عليَّ إلى هذا الحد. نظرت للرجل العجوز ثم لحذائي أحاول إفهامه أنها ليست مصنوعة من الجلد.

أضاف على الفور وقد فهم ما أعنيه:

- ما تخافش يا دكترة معايا عدة تنضيف الشامواه..

توجهت إليه مبتسمًا، معتقدًا أن سر استجابتي لندائه هو ما أظهره من فراسة ورغبتي الدفينة في معرفة سرها الذي قد يصلح فكرة لرواية جديدة..

لم أكن أعلم حينها أن سبب قيامي بهذا كان شيئًا آخر، شيء أدركته لاحقًا ليأتي بالطبع مختلفًا عن كل ما اعتقدته..

وإن كنت - آسفًا - لن أستطيع إخبارك به أبدًا.

لأنني فور إدراكه لم أكن أملك أن إخبارك بالمزيد..

فبمجرد معرفته، فقدت السيطرة على كل ما يخط بتلك الرواية اللعينة..

TW/@Rabe3_elkotob

الخاتمة
الفصل الثاني

طَرَق بمَمسحته على الصندوق الخشبي أمامه لينقل - بفعله هذا- أوامره إليَّ لأن أضع قدمي عليه، ليبدأ فور تنفيذي لذلك في عمله بحرفية بالغة. أخبرني من دون النظر إليَّ، منهمك في التعامل مع الحذاء الذي قبع بين يديه:

- إيه يا دكترة.. لسه مش عارفني؟

حاولت التركيز فيما استطعت إتيانه من ملامحه وهو مطأطىء الرأس هكذا، ليأتي القدر اليسير الذي تبينته منها دون دلالات، ولكني حين لمحت ضحكته البلهاء المتسعة الغير مبررة، تكهنت أن سر معرفته لكوني طبيبًا -نفسيا- عني بالتأكيد أنه أحد مرضاي، وبالنظر لحالته المادية أتى بديهيًا استنتاج كونه من المرضى المترددين على المستشفى الحكومي التي أعمل بها. يتوقع هؤلاء المساكين دومًا أننا نذكرهم، متجاهلين حقيقة أن كشفنا على أكثر من عشرين مريض باليوم الواحد يجعل من حفظ ملامحهم أمرًا مستحيلاً..

ذَبَل اعتقادي السابق في فراسته فورًا، واستبدله خجل عميق من سذاجة توقعي لسرٍّ غامض خلفها.

طَرَق على الصندوق الخشبي ثانية يخبرني بوجوب تغيير القدم التي تعتليه. أطعته في صمت ليكرر سؤاله إليَّ ثانية: إيه يا دكترة،

TW/@Rabe3_elkotob

لسه مش عارفني؟

أجاب بنفسه، دون أن يمهلني المزيد من الوقت. لتلقي كلماته التالية بي لخارج ذلك العالم الذي عشت به طويلاً.. أظنه واقعيًا، إلى الأبد.

إذ هتف في هدوء تام:

- يا دكتور أنا إبراهيم.. إبراهيم فؤاد.. معقولة مش عارفني.

TW/@Rabe3_elkotob

الخاتمة
الفصل الثالث

انتفضتُ فور سماعي لما أخبَرني به، مُدركًا - رغم كل ما سأتفوّه به من اعتراضات وتبريرات لاحقًا - أنني أقف بوسيلة ما وجهًا لوجه مع شخص أتى من عالم خيالي.

- إبراهيم مين يا عم انت؟!..

قُلتها ساحبًا قدمي من بين يديه ومُطَوِّحًا - رغمًا عنّي - بقارورة الورنيش الملقاة بجانبه، لتنقلب وتنسكب محتوياتها على الأرض ويسيل السائل الأسود منها راسمًا خطًا فاصلاً بيننا. تراجعت للوراء خطوة، ما زلت أفضّل تفسيرها حتى اليوم بأنها جاءت من منطلق خوفي على اتساخ حذائي من آثار الورنيش المنسكب.

رفع وجهه ناظرًا إليَّ في هدوء، ينتظر إتمام تعرُّفي عليه. كان واثقًا من أن ما أخبرني به توًّا يسطع جليًا بتفاصيل وجهه، ومن أنني لن أملك القدرة على إنكار تماثلها مع ما حملته لها بخيالي طوال الأشهر الماضية.

استمر في متابعة ردة فعلي بنفس النظرة الهادئة، ينتظر عبور غيمة الذهول والإنكار لأعترف صاغرًا بعد زوالها بما أوقنه جيدًا.

- أنا إبراهيم فؤاد يا دكترة.. مؤلف رواية الحفرة..

عندها فقط، انتهى تسمُّري الأبله أمامه. لم أشعر بنفسي إلا وأنا أركل ذلك الصندوق الخشبي القابع بيننا ليحلق ويرتطم بالحائط من خلفه

TW/@Rabe3_elkotob

ويتهشم وأنا أصيح به في غضب هادر: انتَ هتصيع؟!!

لم أدرك في تلك اللحظة أن غضبي هذا كان أكبر أخطاء حياتي وآخرها، وأنه قد أعماني توًّا عن إدراك ما يجب عليَّ فعله فورًا، وهوالركض دون أن ألتفت خلفي. فبخروج تلك الكلمات من فمي، كنت قد اعترفت بوجودنا في عالم واحد.

أيًا كانت درجة واقعيته.

TW/@Rabe3_elkotob

الخاتمة
الفصل الرابع

لم أجد ما أتفوه به، لذا ألقيت عليه بالشيء البديهى الوحيد الذي ظننت معرفته: انت شخصية خيالية..

ابتسم في هدوء وهو يجيب: طب بتتكلم معايا ازاي بس يا دكترة، ما هو يا إما أنت خيالي زيي، يا إما أنا حقيقي زيك..

هرع عقلي للبحث عن أي دليل دامغ أستطيع إخراسه به لأنهي ذلك الحوار العبثي سريعًا. ليأتي أولها: طب قولّي أنت ازاى كريم كتب مقالتك قبل ما تكتبها انت بشهور.. ازاي عرف كل كلمة هتيجي في بالك؟ إزاي اتوقع ترتيب كل جملة هتكتبها.. أقولك أنا.. ببساطة لأن أنا كنت عايز كدا.. لأن أنا كتبت إن دا هيحصل..

استكمل في هدوء وهو يزيل آثار الورنيش التي تتطايرت بوجهه، متجاهلاً نظرة الانتصار التي أحاول إتقانها: لو عاوزني العب معاك نفس الألعاب دي انت حر.. دا هيكون سهل جدًا.. بس أنا مش عاوز أطوّل عذابك.. لو اللي بتقوله دلوقتي دا دليل دامغ ما لوش أي تفسير عندك غير إني شخص خيالي، فأنا ممكن من دلوقتي أقولك على آخر سطر هتكتبه انت، في الرواية دي..

أخرج مع قوله هذا ورقة بالية مهترئة من جيب قميصه، قبل أن يقرأ عليَّ ما خطَّ بها.

TW/@Rabe3_elkotob

- «هرع لا يدري إلى أين تحمله ساقاه.. عالمًا أنه لن يجرؤ على العودة أبدًا، فما ينتظره - إن فعل - يجعل من فضيحة تحرشه بأطفاله أهون ما يمكنه مواجهته»

طوى الورقة ثانية وأعادها لقميصه مضيفًا:

- المفاجأة بقا يا دكترة ان السطر دا هيكون بيوصف حالك أنت في آخر الرواية..

ضحكتُ في عصبية دون أن أجد ما يمكنني الرد به عليه، تزاحم عقلي بكل التفسيرات الفورية لما يحدث الآن.. هو نصاب، أو محتال ما يمتلك القدرة على قراءة الأفكار. لا بد أنني أحلم، أو أنني سجين بكابوس ما.

ربما أكون قد تقمصت إحدى شخصيات الرواية حتى، أو أكثرت من شُرب الكحول أثناء احتفالي وأنني بتلك اللحظة سكران ملقى بركن حانة ما.

علمت دون اختبار أي من تلك التفسيرات كم هي أهون من أن أرتضي التشبث بها.

صحت به في عصبية: انت مين يا عم انت.. آخر سطر إيه وزفت إيه.. الرواية خلصت خلاص..

أجاب بنبرة تخبرني أن ما يقوله هو مجرد حقائق مجردة:

- أنا إبراهيم فؤاد يا دكترة.. والرواية، لسا ما خلصتش.. الحقيقة انها لسا بتبدي.. اهدى بقا خلينا نتكلم، الناس بتبص علينا..

أتت كلماته الواثقة متناقضة تمامًا مع ما كنت أتفوه به من هراء غاضب طوال الدقائق الماضية واللعاب يتطاير من فمي كالمسعور. لأدرك في تلك اللحظة أنه قد تمكن مني تمامًا، وأنه أيًا ما كانت لامعقولية ما سيتفوه به، فإنني سأكمل معه حواري، مرغمًا..

حتى النهاية..

TW/@Rabe3_elkotob

الخاتمة
الفصل الخامس

أخذت نفسًا عميقًا حاولت به تمالك أعصابي قبل أن أخبره بصوت خفيض:

- أنا مش هانكر انك إبراهيم فؤاد.. أنا عارف دا.. ازاي بتكلم معاك دلوقتي أو دا معناه إيه، ما عنديش أي فكرة.. بس أكيد في تفسير.. إنما بقا حكاية انك كتبت الرواية فدي وسعت منك شوية حركة حلوة وملعوبة انك تحاول تستغل مقدمة الرواية.. أنا فعلاً قلت اننا هنكتشف مين فينا خيالي، ومين فينا اللي كتب الرواية.. بس دا كان لتشويق القارىء، لا أكثر ولا أقل.. بس أنا عارف كويس قوي المجهود اللي عملته عشان اكتب الرواية دي.. ومش هسمح لحد يسرقها مني..

- طب روَّق..

أخرج من جيب قميصه المهترىء علبة سجائره، مدَّ بها يده إلى يدعوني لالتقاط واحدة. وحين تجاهلته هزَّ كتفيه في لامبالاة قبل أن يختار إحداهن ويشعلها في هدوء، لينفث بدخانها مع كلماته السامة المسرطنة:

- انت عارف طيب اني قابلت كريم..

- كريم مين..

ألقيت بها من دون تفكير، محاوِلاً اصطناع لامبالاة مماثلة. وإن كشف ارتجافي مع إدراكي لمن يقصده كم ما بثباتي من افتعال.

TW/ @Rabe3_elkotob

أخبرته: كريم مات.. مات من قبل ما حتى تقرا أنت عنه..

- الحقيقة بقا إني قابلته مرتين، مش مرة واحدة.. مرة قبل ما أقرا عنه، ومرة بعدها..

غمَز بعينه وهو يُضيف:

- يعني مرة قبل ما أعرف أي حاجة عن كريم الحفراوي ومرة بعدها..

- آديك اعترفت إنك ما كنتش تعرف أحداث الرواية.. يعني أنا اللي كتبتها أهوه..

ابتسم دون رد، لأُكمِل أنا بنفس القَدر من العصبية:

- بقولّك كريم مات.. مُستحيل تكون قابلته..

- كريم لا مات ولا حتى كان بيهلوس كمان..

صمت للحظات قبل أن يضيف:

- انت بس اللي كاتب ساذج.. بتصدَّق كل حاجة بتقولهالك شخصياتك..

- يعني إيه؟!

- يعني زي ما بقولّك، كريم لا كان بيسمع أصوات، ولا كان متهيأله إن فيه وحش جاي وراه..

لم تتطلَّب نظراتي البلهاء إليه أي شرح، استكمل:

- كريم لما قرا رواية الحفرة ، فهم إنها بتوصف حياته. اترعب.. اكتأب واتوتّر وجاله أرق وكان قرَّب يتجنّن فعلاً، بس لقا الحل قبل ما دا كله يحصل. لقا ثغرة في النظام المحكم اللي أنت حطيته فيه. حصلت لما عرف إنه شخصية خيالية. حاجة انت نفسك ما كانش ممكن تعمل

TW/ @Rabe3_elkotob

حسابها. ولا حد يتخيل إنها ممكن تحصل، جرأة وموضوعية أنا مش عارف هو وصلها إزاي. تخيل إنك تقعد مع نفسك، تفكر وتستنتج في الآخر إنك مش حقيقي. أنا بترعب كل ما بتخيل اللحظة دي..

توقف في انتظار تعليقي عليه، إلا أنني كنت في تلك اللحظة قد فقدت القُدرة على التحدث تمامًا..

استكمل بنفس البرود:

- كريم قرر بعدها انه لازم يعمل أي حاجة عشان يخرج من الحفرة اللي أنت حطيته فيها.

سحَب نفَسًا عميقًا من سيجارته قبل أن يُضيف:

- حتى لو حصلت إنه يعمل مجنون..

- كريم ماااااااااااات.....

صمتَ بعد انفجاري هذا به، أنهى سيجارته في هدوء قبل أن يخبرني:

- لو رجعت للفصل الأخير اللي انت كاتبه بإيدك يا دكترة هتلاقي إنك ما جبتش سيرة انه مات..

- يا عم أنا اللي كاتب الرواية وبقولّك إنه انتحر.. إنت هتعرف أكتر مني؟!

لم أستوعب إن كانت ابتسامته الساخرة هي تجاهل للرد عليَّ، أم أنها حملت الإجابة حقًا..

- اللي انت كتبته إن فيه رصاصة هو أذن بخروجها، وإنه اتمنى إنها تستقر في عقله. وإإنه بعدها غلّفه هدوء وظلام ساد إلى الأبد. وبصراحة يا دكترة، اللي بيعجبي فيك إنك ما بتكدبش. لا قلت مات ولا لفَظ أنفاسه الأخيرة ولا ألقى بنظرة أخيرة إلى كذا ولا أي حاجة خالص من الحاجات دي..

TW/ @Rabe3_elkotob

- حتى لو ماماتش.. إنت بتقول إنه كان عارف انه شخصية خيالية. يعني مش موجود، لو إنت حقيقي، يبقى المفروض إنه يفضل شخصية إنت قريت عنها في كتاب، لا أكتر ولا أقل. قابلته إزاي بقا؟ ولا هو راخر طلع حقيقي؟ ما بالمرة كدا واحنا قاعدين تكلّم لنا سندريلا خليها تحضرنا.

ضحك طويلاً قبل أن يرد:

- ما عندكش فكرة سخريتك دي فادتك قد إيه في الماضي، بس للأسف ما عادتش تنفع. ما تحطش قواعد أنت أول واحد هيتقرص منها. هاقولهالك تاني، حسب كلامك دا، لقائنا دلوقتي دا معناه انه يا إما أنا حقيقي يا أما انت خيالي.

حاولت إدراك ما يجب على قوله، ليأتي في النهاية سخيفًا ساذجًا:

- وقابلته فين بقا ان شاء الله؟

- على فكرة المفروض تتبسط اننا اتقابلنا. أنت بنفسك قلت في الرواية ان كريم الحفراوي وعدني بدا. تفتكر لو كانت القصة كانت خلصت من غير ما ما نتقابل كان هيبقي تأثير دا إيه على مصداقيتك عند القراء..

ابتسمت بصدق لأول مرة منذ لقائنا، كيف أمكن لذلك المغتر أن يفكر بسمعتي لدى القارىء في تلك اللحظة..

استكمل متجاهلاً ابتسامتي:

- كريم بعد ما هرب وساب شغله ومراته ودنيته كلها، راح اشتغل أراجوز في السيرك. ما تقوليش كمان يا دكترة انك من السذاجة انك ما تعرفش إن كريم هو شكري؟

صمتُّ قليلاً قبل أن أرد عليه:

TW/@Rabe3_elkotob

- كنت سايبها مُبهمة. ما هو ما كانش ينفع أوضَّح دا وانا لسا كاتب ان كريم مات. وعشان كدا سيبتها غامضة، أحرق بقا أحداث الرواية..

اتسعتت ابتسامته وهو يخبرني:

- مش بقولك سخريتك مذهلة.. حتى في موقفنا دا مش قادر تبطلها.. كريم اشتغل في السيرك فترة طويلة، مستنيني اخلص قراية الرواية اللي بعتهالي، مستني ان فكرة الرواية الجديدة تجيللي عشان اروحله السيرك. مستني اني اظهرله هناك، مستني يقابلني ويتكلم معايا، وكل أمله انه يقدر يقنعني باللي عرفه..

- كان عارف انك رايحله السيرك؟

- إذا كنت أنا نفسي كنت عارف اني هقابله، ومن قبل ما اقرا الرواية حتى. تفتكر يا دكترة اسم ابني دة جيه كدا، مجرد صدفة؟

شرد للحظات، أدركت بها أنه يسترجع ذكريات ابنه كريم، قبل أن يستكمل:

- مش هانسى أول مرة قابلت فيها شكري. يوميها كنت باتعرف على الناس في السيرك. كنت لسا فاكر اني هاكتب رواية عنهم. لسا باسلم عليه، راح مميل عليا وقايلي: أنا كريم. قبل ما يزعق وسط الناس بعلو صوته: إوعى الوحش جاي. وراح مسخسخ من الضحك، ما كانش قادر يمسك نفسه. ما حدش كان فاهم حاجة. فهمت ساعتها انه كريم الحفراوي بس ما كنتش متخيل انه كمان كريم بطل الرواية. وهو ما قاليش على دا غير في الآخر. بعد ما بقيت باصدق أي حاجة يقولها لي، مهما كانت.

ابتلعت ريقي في صعوبة وأنا أسأله: وإيه بقا اللي كان بيضحكه كدا؟

TW/@Rabe3_elkotob

- انك طلعت اضعف بكتير مما كان هو متخيل. الكابوس اللي كان عند كريم ما كانش انه عرف انه شخص خيالي وبس، لأ، دا كان كمان ان دا معناه ان خطته لازم أنا اللي أنفذها. وعشان هو ما كانش متأكد ان لقائي بي أصلاً ممكن، حاول يبلّغني بتفاصيل خطته من غير ما نتقابل. خطته كانت كل حاجة هو عملها في روايته من ساعة ما قرأ الحفرة وعرف انه شخص خيالي، علشان لو لقائنا طلع مستحيل فعلاً، يبقى وصل لي كل اللي المفروض اني اعمله. فضل بعديها مرعوب من أني مش هافهم اللي حاول يوصلهولي أو انه حتى لو فهمته مش هاصدقه أو مش هاقدر أنفذه. كان خايف ان سيطرتك عليا تكون بقيت أكبر من اني اقدر اخالفك. تخيل بعد دا كله سعادته لما يلاقيني قدامه ويحس أخيرًا ان الخطة اللي حطها ممكن تنجح..

صمتَ واتسعت ابتسامته وهو يضيف: وكوني قاعد باتكلم معاك دلوقتي دا أكبر دليل على انه عبقري، واننا نجحنا. وانك خلاص، انتهيت.

TW/@Rabe3_elkotob

الخاتمة
الفصل السادس

امتدت أصابعي المرتجفة بالموافقة هذه المرة لالتقاط إحدى سجائره، ابتسم وهو يراقب محاولاتي المتتالية لإشعالها بيدي المرتعشة قبل أن يقاطعني:

- فاكر رواية الحفرة الأولانية يا دكترة. الرواية اللي البطل بتاعها بيوقع في حفرة بعد ما خرج له وحش من المرايا. فاكر انها ما جابتش سيرة لاسم البطل بتاعها. عمرك فكرت في أول واحد وقع في الحفرة دي.. ساعتها ما كانش في أصلا حد خرج منها عشان يطارده. تفتكر وقع فيها ليه من غير ما يبقي في وحش بيجري وراه وبيوجهه للمصير دا، تفتكر إيه اللي خلاه ينط في أول مرة لما كان عنده كل الوقت اللي في الدنيا عند حافة الحفرة عشان يفكر في الحل الصحيح. تفتكر يا دكترة، مين أول واحد وقع في الحفرة..

ومع آخر حرف نطق به أظلمت الدنيا من حولي فجأة، انطفأت أعمدة الشوارع وأنوار السيارات وغاب انعكاس القمر المتلالىء على سطح النهر من خلفه، قبل أن يسود صمت هائل.. تلاشت أصوات السيارات ونداء الباعة الجائلين وصياح المشاة الذي كان يدب بالحياة من حولنا.. قبل أن يختفي إبراهيم من أمامي والمدينة الصاخبة بأكملها من حولي.. تسارعت دقات قلبي وقد أدركت ما لم يدركه عقلي بعد، أو بالأصح وقد أدركت ما رفض عقلي الاعتراف به. هيًا.. قُلها..

TW/ @Rabe3_elkotob

قُلها..

بالطبع.. كيف نسيت..

الحفرة..

أنا بداخلها..

منذ الأبد..

كيف آمنت بتلك الخيالات الساذجة التي نسجها عقلي عقب وصولي لقاعها. كيف صدقت تلك الأحلام

الساذجة التي اختلقتها لأقنع نفسي لاحقًا بأنني خرجت، أو أنني لم أصل هنا أبدًا..

كم مضى عليَّ بها قبل أن أنسى ذلك المصير.

دبت الهستيريا بي، ونبشت بأظافري جدران الحفرة القاسية محاوِلاً اختراقها وأنا أصرخ في هول..

لااااااااااااااااااااااااااااااااا

لا بد أن أهرب..

ولو إلى أي مكان آخر..

حتى وإن كان خياليًا..

أغمضت عيني، وعندما فتحتهما ثانية كنت على حافة الحفرة، أصرخ وأبكي في حرقة، لا أدري لماذا.. نظرة واحدة للأسفل أوضحت لي الأمر كله. حين أبصرت نفسي وأنا أهوي بعيدًا. بادئًا رحلة سقوط أبدية، بعد أن فشلت توًا في إنقاذ نفسي..

- « تفتكر يا دكترة مين أول واحد وقع في الحفرة.. »

لا أدري.. لا أريد أن أدري.. أغلقت عيني ولم أفتحهما ثانية إلا بعد أن أتاني صوته الهادىء. أبصرته أمامي، د/ إبراهيم فؤاد، جالس على

TW/ @Rabe3_elkotob

الرصيف وقد امتلأ الشارع من حولنا بالضجيج مجددًا. رمقني بابتسامة أوضحت لي إدراكه لما عدت منه توًّا.

- دا اللي انت بتحاول تهرب منه طول عمرك يا دكترة. انك مجرد خيال. انك شخص مش حقيقي، ومش موجود، ومش المفروض انه يكون له أي تأثير في عالمنا. شخص موجود في دماغي وبس. بس هي مش غلطتك، انت بتتصرف طِبقًا للغريزة اللي عند أي كائن حي، غريزة البقاء. عمرك فكرت يا دكترة ان أفكارنا زَيها زَي الكائنات الحية مكونة من دي ان إيه. عارف دا معناه إيه، معناه أن افكارنا هي كمان هيبقى عندها غريزة التكاثر والاستمرار والبقاء.

- كمان.. كمان أنا اللي طلعت في الأخر خيالي وانت اللي حقيقي.. من نص ساعة بس كان كل املك في الدنيا انك تمسحلي الجزمة..

قهقه طويلاً قبل أن يضيف: مش ممكن السرعة اللي بتشتغل بيها. ما تحاولش تزنقني عشان ادافع عن نفسي أو عن كرامتي. مش هيحصل.. مش عشان أنت ما بقيتش مصدر تهديد نهائيًا، إنما عشان التغيير اللي حصلي. أنا سيبت كل حاجة يا دكترة، الفلوس والشهرة وولادي ومراتي وبيتي وحياتي وقاعد بمسح جزم. تفتكر الخدع القديمة دي لسا ممكن تشتغل معايا؟ تفتكر اني لسا هاتنرفز واحاول اثبتلك اني أحسن منك أو من غيرك؟ عادل، لو انت لسا شاكك انك خيالي، فانا ممكن ارجعك الحفرة حالاً.

انهرتُ على الأرض باكيًا بجانبه:

- لأ.. ابوس إيدك.. أي حاجة بس بلاش ارجع الحفرة تاني.. أنا خيالي.. أي حاجة بس بلاش الحفرة..

ربت على رأسي في شفقة وهو يهمس بأذني: أي حاجة غير الحفرة.. طب ولو وجودك فيها هو الحقيقة الوحيدة الموجودة في حياتك.. ولو إن أي حاجة تانية انت عيشتها هي مجرد سراب.. برضه عايز تفضل براها..

TW/@Rabe3_elkotob

- آه.. أرجوك..

- دا الفرق اللي بيني وبينك يا عادل. أنا عايز الحقيقة وانت مش عايز غير إنك تستمتع. التسلية والترفيه بقوا عندك أهم من أي حاجة. عمرك ما هتتغير، هتفضل فخ ممكن يصطدني في أي لحظة. الحقيقة اللي أنت لازم تعرفها يا عادل هي انك ما لكش أي وجود، غير في دماغي. مجرد شخصية أنا اخترعتها ونسيت وجودها عشان تقوى هي كل يوم لحد ما اتحكمت في حياتي.

توقف بكائي فجأة واستحال لضحكة ساخرة طويلة لم أملك إيقافها.

- يعني في الآخر وبعد دا كله تطلع المفاجأة الخرافية لقصتك العبقرية هي اننا شخص واحد..

- يا راجل دي بقت نهاية نص الأفلام والروايات اللي موجودة دلوقتي.. بصراحة فاجئتني يا إبراهيم.. كنت متخيل انك هتطلع بحاجة مبتكرة شوية..

تخلل ذقنه بأصابعه وهو يجيبني مبتسمًا:

- أنا بس عايزك تنسى بقا موضوع الرواية دا شوية. هي خلاص عملت اللي عليها. كانت جزء من الخطة وأدت وظيفتها على أكمل وجه. مفيش داعي انك تحِز في نفسك عشانها قوي كدا..

- يعني إيه؟

- يعني إن نهاية الرواية هي عكس اللي انت بتقوله دا تمامًا، المفاجأة مش اننا طلعنا واحد. المفاجأة ان وجودنا احنا الاتنين في عقل واحد ما كانش معناه أبدًا اننا شخص واحد.

أخذ نفسًا عميقًا وأسند رأسه على الحائط خلفه، قبل أن يخبرني مغمض العينين:

- وبصراحة يا دكترة ، دي كانت أكبر مفاجأة ليا. طول عمري

TW/@Rabe3_elkotob

وانا فاكر اني الصوت اللي في دماغي هو أنا. وان شخصيتي هي أنا. وان أفكاري هي أنا. أن الأنا بتاعتي هي أنا. عمري ما كنت ممكن اصدق ان كل دا حد تاني.حد احتل عقلي وسيطر عليا وفهمني انه أنا. يا راجل دا حتى إدراكي سيطرت عليه. كل أما اشوف أو اسمع حاجة تقارنها انت بسرعة بحاجة شفتها قبل كدا وتطلع لي مجموعة من الأفكار الجاهزة للتعامل معاها من غير حتى ما اختبرها.. النتيجة الطبيعية كانت اني سيبتلك الدَّفة.. بعد ما أقنعتني انك أسرع وأجهز وأكثر قدرة على الحل، والأهم أسهل. المشكلة الوحيدة في تصميمك العبقري كانت الملل. الملل الرهيب اللي ملا حياتي. مستني إيه وانت عمال توصلي في كل لحظة انه مافيش أي حاجة جديدة تستاهل التفكير أو حتى الانتباه ليها. ودي كانت الحاجة الوحيدة اللي فضلت تفكرني ان في حاجة غلط. حتى لما ما كنتش عارف هي إيه. لولاها كان زمانك انتصرت للأبد. أنت طبعا حاولت تحلها بس كل أفكارك ما كانتش هاتنفع، لأنها ما كانتش هتحل المشكلة الأساسية.. اللي هي وجودك.. وعشان كدا موضوع الرواية دا كان فكرة عبقرية. ما اعتقدش ان أي حاجة تانية كانت ممكن تؤدي للنتيجة دي.

تفكيرك تقليدي يا عادل مش ممكن يبدع بس انت كنت عاوز نتائج الإبداع. الصورة الذهنية لكونك مؤلف وناجح ومشهور خليتك توافق على مشروع كتابة الرواية دا على طول. مع إن دا كان معناه انك لازم تاخد جنب وتقلل من سيطرتك على أفكاري عشان تسمح للتفكير الإبداعي انه يظهر، بس انت وافقت على داه على طول ومن غير ما تتردد كتير. طول فترة كتابتي للرواية كان لازم تبقى انت سايب الدفة من إيدك، كان لازم تقلل طوفان الأفكار اللي بتغرقني بي في كل لحظة عشان تقدر تجيللي أفكار تانية ما تكونش انت مصدرها. ولما سيبتلي الدفة لأول مرة في حياتي كان لازم اتأكد انك مش هترجع تاني أبدًا. كان لازم اتأكد انه من هنا ورايح كل فكرة أو شعور هيجيلي هو ملكي

TW/ @Rabe3_elkotob

وانك مش انت مصدره. الطريقة الوحيدة اللي كان ممكن اضمن بيها دا كانت اني اعمل اللي بقالي سنين بخاف منه، اللي بيقلقني واللي باهرب منه واللي مش ممكن افكر أبدًا في اني اعمله. لأن الحقيقة ان دي كانت الحاجات اللي انت بتخاف منها. دا اللي كان بيوترك وبيهدد وجودك. بقيت أي حاجة مش في شخصيتي أبدًا اني اعملها لازم تتعمل فورًا. أي فكرة بتوترني لازم تتنفذ. أي حاجة بكرهها بقت هدف. كان لازم ادمر النظام اللي انت حطيته طول الخمسين سنة اللي فاتت من حياتي.

صحيح أنه كان صعب وكلفني كتير بس أنا مش ندمان. ودلوقتي بعد ما نجحت، خلاص،ما عادش ينفع ترجع يا عادل. بعد الفضيحة أنا ما عدش ليا غير الحياة دي وعشان كدا بقولك ما ينفعش ترجع تاني. لأنك ببساطة مش هتنبسط فيها، لا فيها بيت ولا فلوس ولا شغل ولا نجاحات ولا شهرة ولا حتى عيلة. حياة ما ينفعش حد يستمتع بيها غيري.. ولو فكرت ترجعنا للحياة القديمة فالفضيحة مستناك. دا غير اللي أنا وكريم جهزناه ليك ومستنيك في البيت، دا لو قدرت بطريقة أنا مش متخيلها انك ترجع له فعلاً.

هتلاقي نسخة من كتاب الحفرة في درج مكتبك يفكرك طول الوقت انك مجرد شخصية خيالية فيه. ومن غير ما تجرؤ انك تقراه أو حتى تفتحه هتتلفت حواليك طول الوقت مستني اني اطلعك أنا ولا كريم من أي مراية. في أي لحظة هتلاقي وحش بيجري وراك بيوجهك لحفرة بلا قرار. وصدقني لو دا حصل تاني ما حدش هيقدر يطلع منها المرة دي.. هنموت فيها كلنا.. رجوعك مستحيل يا عادل..

لو أخدت بالك هتلاقي انك بقالك كام صفحة ما بتتكلمش ولا بتنطق ولا بتفكر ولا حتى ليك وصف في الرواية.. هو دا واقعك الجديد.. مش عايزك تقاومه.. عايزك تستمر كدا..

بلا وجود..

TW/ @Rabe3_elkotob

الخاتمة
الفصل الأخير

تنفست الصعداء بعد أن أن انتهيت مما أريد إخباره به. تأملته في نشوة طويلاً وعلامات الرعب والذهول تحتل ملامحه. رمقت ذلك اللعين الذي احتل عقلي لعقود حتى كاد يطردني منه. يتحكم بي ويقودني لتلك الحياة الكئيبة المملة عديمة الجدوى، حتى أوصلني لقاع تلك الحفرة. راقبته مبتسمًا في سخرية متأملاً عجزه عن الكلام أو التفكير، بعد أن توقفت أنا عن إمداده بأي منهما، الأمر الذي لم يختبره من قبل.

أيقنت أنه لن يفعل إلا ما سوف آمره به، ولكني أبيت أن أنقل إليه أوامري الأخيرة له سريعًا. تركته يتعذب بذلك الفراغ الهائل الذي ملأه، مستمتعًا بانتقامي من هذا الأحمق.

لا أدري إن كنت سأملّ أبدًا من مشاهدته وهو واقف أمامي هكذا في عجز.. سرَّني انعكاس قانون العمل بيننا أخيرًا..

القائل بـــ: «أنا أفكر إذن أنت موجود»..

مضت ساعات على تأمُّلي الهادىء لوجهه الملتاع القذر، نقلت بعدها إليه بما رغبت أن يقوم بفعله، لينفذه هو على الفور..

هرع لا يدري إلى أين تحمله ساقاه.. عالِما أنه لن يجرؤ على العودة أبدًا.. فما ينتظره -إن فعل- يجعل من فضيحة تحرُّشه بأطفاله أهون ما يمكنه مواجهته..

تمت

TW/@Rabe3_elkotob

بعض الأوراق التي يُعتقَد أنها لأبطال رواية الحفرة وإن ظلَّ بعضها غير معلوم المصدر

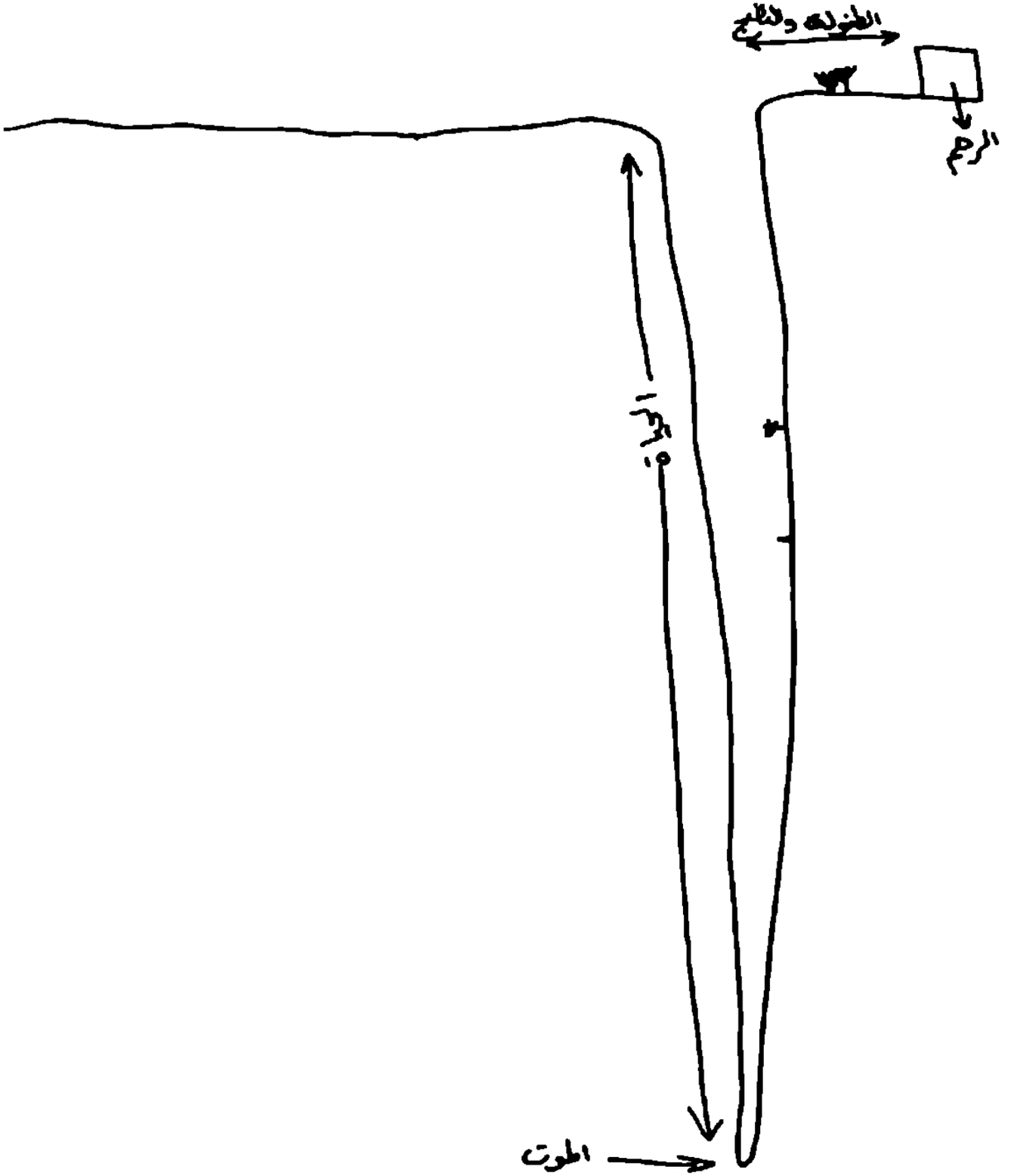

إحدى أوراق تحليل د / إبراهيم فؤاد لرواية الحفرة.

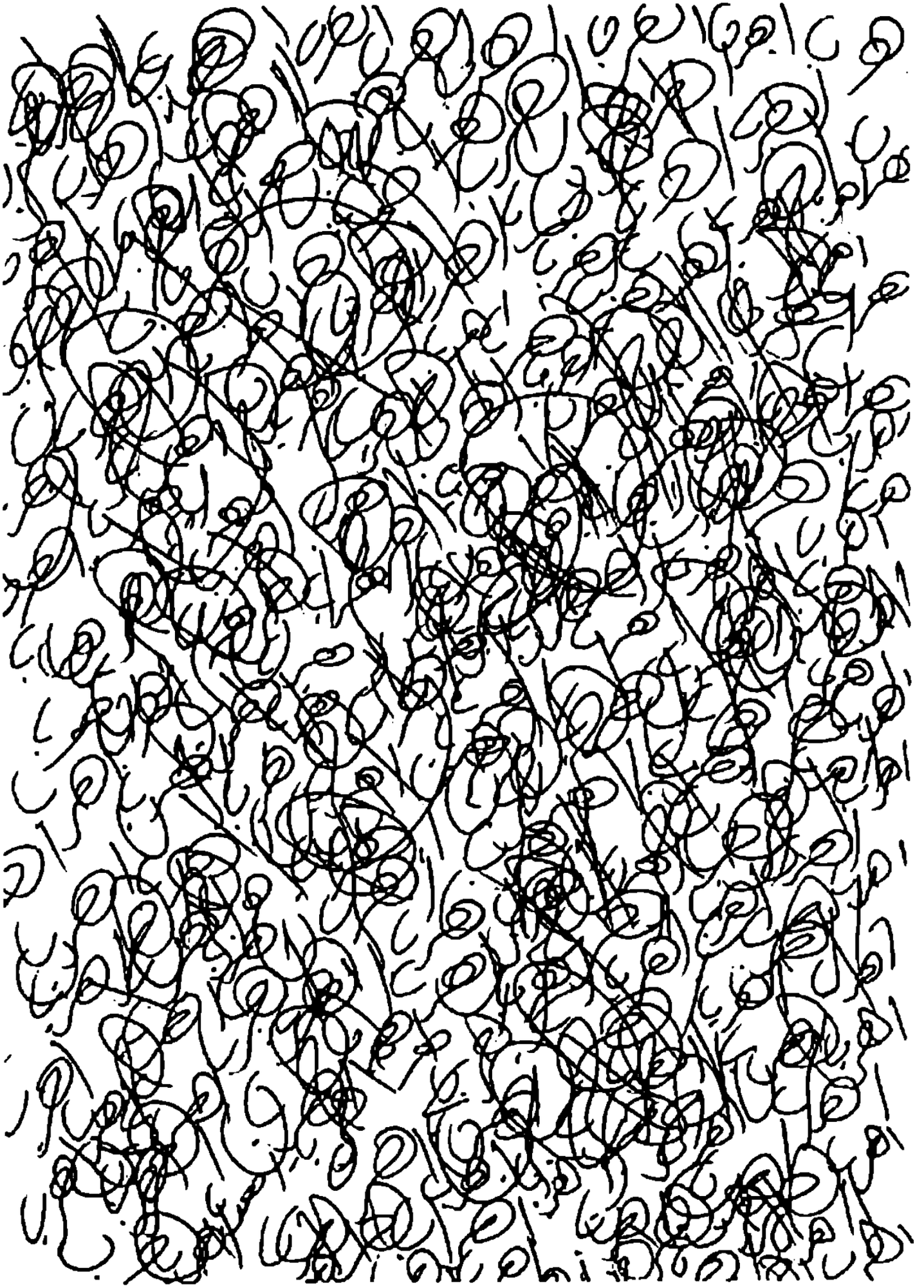

ورقة وُجِدَت بمنزل كريم رامز، خطَّ عليها مرارا كلمة «اهرب»

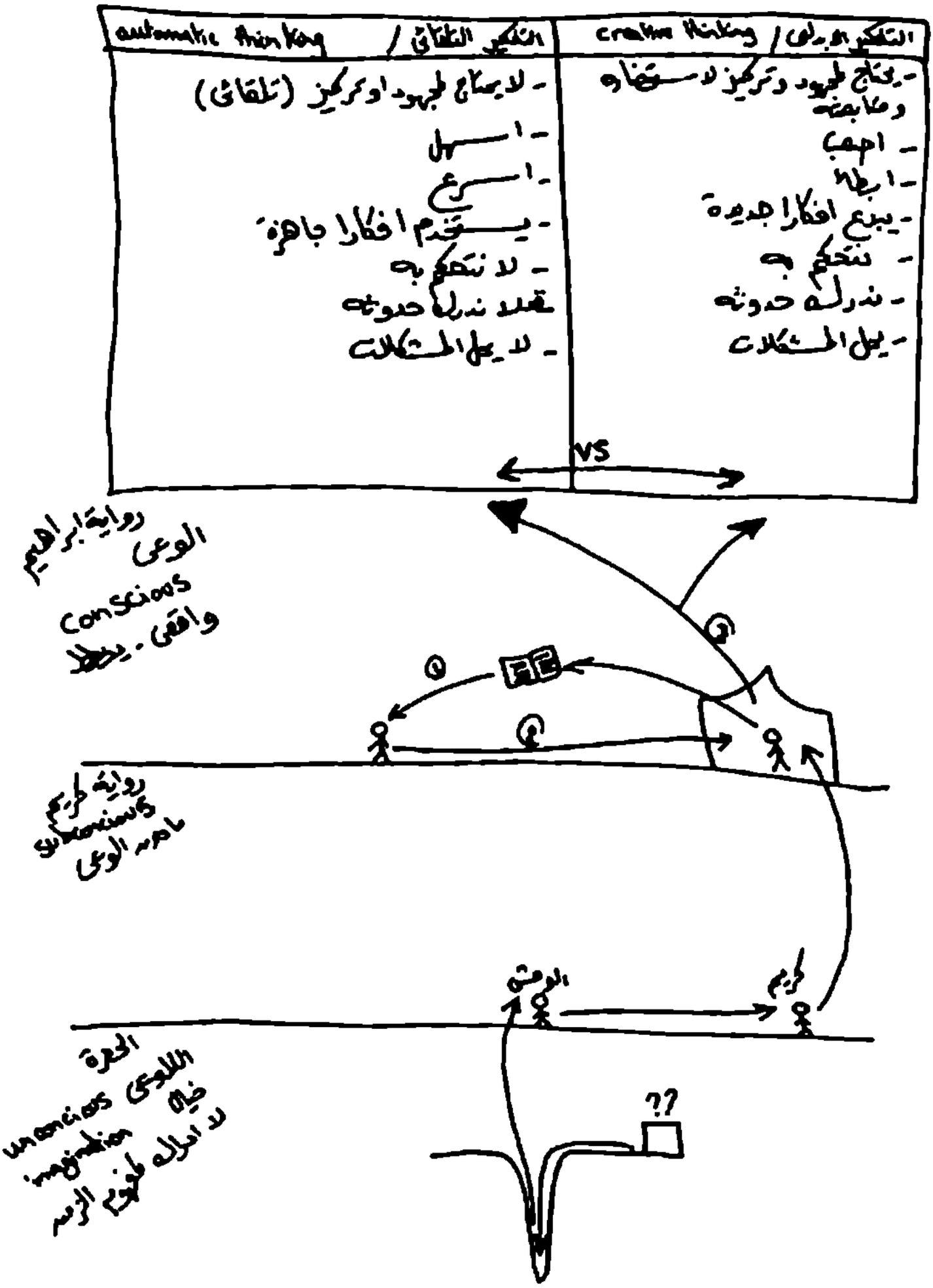

إحدى أوراق تحليل د / إبراهيم فؤاد لرواية الحفرة

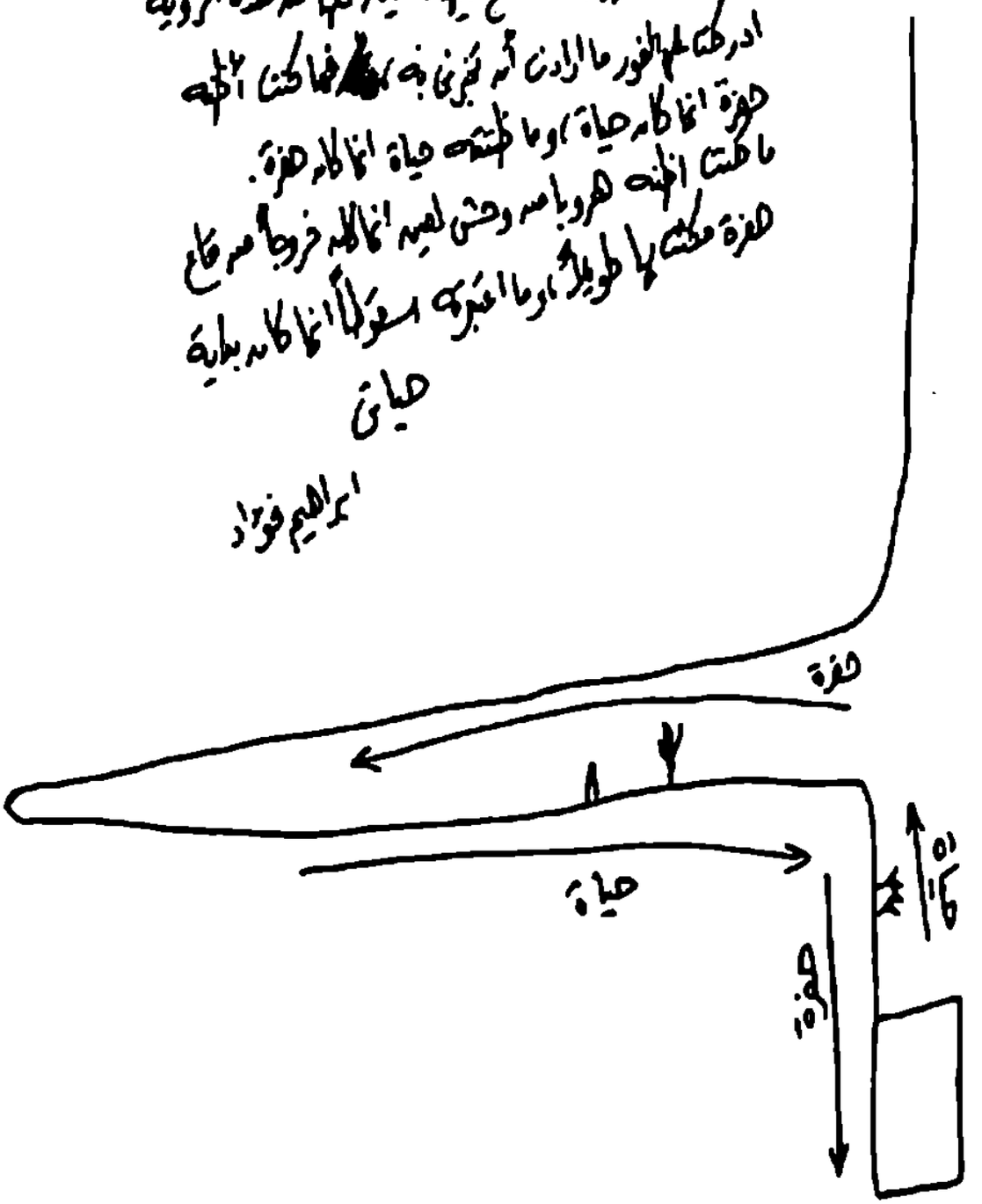

إحدى أوراق تحليل د / إبراهيم فؤاد لرواية الحفرة.
عُثِرَ عليها بفيلته الكائنة بالعين السخنة.

أما زلت تُنكر أنك شخصية خيالية، شخصية غير حقيقية.؟!

أما زلت تنكر أنك لا تفعل شيئًا بحياتك سوى المضي قدمًا في السيناريو الذي وُضِعَ لك؟

أما زلت تجهل أنك تهرول باتجاه حفرة بلا قرار؟ أو أنك تتخبط بالفعل بين صخورها؟

أما زلت تجهل أنك بالجحيم؟ وأنك تهرب من وحش يركض خلفك؟

أما زلت تجهل أن نهايتك ستكون اصطدامًا مروِّعًا بقاع تهوي إليه الآن بسرعة هائلة؟ قاع لن تدركه إلا بعد أن يصيبك حقًا..

أخبرني ما الفرق إذن بين السقوط بحفرة وبين المضي قدمًا في حياة لا سيطرة لك عليها؟

ما الفرق بين أن يصفعك قاعها في أي لحظة وبين موتك؟

ما الفرق بين أن يقودك وحشٌ لهلاكك وبين أن يوجهك إليه خوف لازمك طوال حياتك؟

ما الفرق بين الانتقام من نفسك وبين إصرارك على إهدار حياتك؟

ما الفرق بين تكرار ذلك مرَّاتٍ ومرَّاتٍ وبين فرض فكرك السخيف على أولادك وأولادهم من بَعدِهم؟

ما الفرق بين تلك الحفرة وبين حياتك البائسة؟

قلت لك، ليس فر ولكن يا...

فهي ليست حفرة، إنما هي الحياة..

يوميات لكريم رامز وُجِدَت بمنزله

يسألني متشككًا عن حياة ما بعد الموت..

أضحك لسؤاله السخيف طويلاً، فيغادرني متعجبًا من سذاجة تيقني..

يتركني لأفكر وحدي فيما تشككت في وجوده حقًّا..

وهل هناك حياة بعد الميلاد..

مجهولة المصدر

أُرسِلَت للناشر مع الرواية

المسار الطبيعي للأحداث هو ألا تجد رواية الحفرة أبدًا..

ففي حال نجاحي لما خططت فِعْله، سأكون قد عزفت قديمًا عن كل تلك السخافات، وإلى الأبد.. الأمر الذي لن يتمكن عادل من القيام به أبدًا..

إن رأيت رواية الحفرة برف إحدى المكتبات، إن ابتعتها أو حضرت حفل توقيعها فسيعني ذلك -غالبا - أنني قد فشلت..

وأن عادل قد استعاد بمرحلة ما السيطرة على حياتي.. لا فكرة لديّ كيف سيتمكن من القيام بذلك. عبر ثغرة استطاع بها العودة لعقلي، مختبئًا وسط أفكار عظيمة ظننتها مِلكي.. ليستعيد - فور استجابتي لها - من سيطرته على كل ما ورد بعقلي من حلول وأفكار، وعلى كل ما اعتقدت كونه صوابًا..

إن استقصيتَ عن مؤلف روايتك فوجدته يعمل بوظيفتين، ويحيا سعيدًا مع أسرته ويشهد له مديروه بالكفاءة.. فلتعلم أن ذلك يعني حتمًا أن عادل قد انتصر.. وأن ما قمت به لم يكن كافيًا.. وفي حالة حدوث أي مما سبق فأنا لم أعد أعلم ما الذي بقى لأخبرك به.. سوى أنني فشلت..

وأنني أتمنى لك ومن كل قلبي نهاية أفضل لروايتك..

جرافيتي بمنطقة وسط البلد

جاء تحت عنوان رسالتي الأخيرة

يُعتقَد أنه لـ د/ إبراهيم فؤاد نظرًا لتطابُق الخط

شُكر خاص

لمن عبرت خلالهم هذه الرواية للوجود..

وائل محمد نجيب، الذي لم يتوقف يومًا عن ترديد «روعة، هايلة، كمِّل» حتى وأنا لم أخطّ بعد سوى عنوانها..

إبراهيم السيد، الذي لم يملّ من تكرار « يمكنك عمل ما هو أفضل، أعِد» وحتى بعد انتهائي منها..

أحمد صلاح الدين، الذي أخبرني بعد قراءة نسخة أولية لها «هذا الشكل أقرب للمونولوج منه للرواية»..

دون أن يدري كم كان محقًا..

شُكر

لله.. على كل ما منحني وعلى كل ما منعني إياه، على كل ما جعلني عليه، وبالأخص على كل ما لن أصبحه أبدًا..

لأبي - رحمه الله- الذي علّمني ضرورة استخدام المنطق في كل شيء، مهما بدا خيالاً..

لأمي، التي حافظت على الطفل الموجود داخلي ولم تغفل عنه حتى أيقنت أن الحياة لم تعد قادرة عليه..

لأخي: أول أصدقائي، وأقسى نقَّادي، والذي لا أتخيل الحياة من دونه..

لزوجتي: الصبورة دومًا عبر أيام فقدتُ بها روح دعابتي، وأيام فقدت بها صبري، وأيام فقدت بها عقلي..

لأصدقائي: مُعتز صبحي، محمد الشاذلي، محمود القارح، أحمد منير، خالد يوسف، هند عادل، شيماء مِسلّم، محمود حجازي. شجعتموني حين سخَر منِّي الجميع، احتضنتوني حين لفظني الجميع، وأفسدتموني حين حاول الجميع تقويمي..

وأخيرًا إلى (إ.ف). اسمح لي أن أُلقي عليك الآن بما لم يسعفني الوقت لأن أخبرك به في حينه:

«مَن يضحك أخيرًا، يضحك كثيرًا»..

رواية

عادل العجواني

الحُفرَة

ما تحمله بين يديك الآن هو رواية، تدور أحداثها حول ذلك الشخص الذي ابتاع وقرأ كتابًا ما، أصابه بالجنون.

ولكن ربما يتوجّب عليّ أن أخبرك منذ بدايتها أن بطل روايتنا الذي تقرأ عنه الآن، هو أنت.. أنتما نفس الشخص..

قرأ عنك بطلنا بروايته أيضًا، مثلما تفعل أنت به الآن. ذلك الكتاب الذي ابتاعه والذي تحمله أنت بين يديك الآن، هُما نفس الكتاب.

قرأ بطلنا هذا السطر مثلك دون أن يُغلق كتابه أو يُلقي به بأقرب سلة مهملات، فقط كإجراء احتياطي. لم يُصدّق أيضًا أنه مجرد شخصية خيالية برواية يحملها بين يديه، حتى اقتربت نهايتهما

عادل العجواني طبيب نفسي شاب، وُلد بفرنسا في الخامس من ديسمبر عام ١٩٧٩، تخرّج من كلية طب القصر العيني عام ٢٠٠٣، ثم حصل على ماجستير الأمراض النفسية والعصبية في ٢٠١٢. يعمل حاليًا بمستشفى العباسية للصحة النفسية ويشغل منصب مدير إدارة الإعلام والعلاقات والعامة والتثقيف بالأمانة العامة للصحة النفسية، وهو مستشار نفسي لإحدى الجمعيات التي تقدّم الدعم النفسي للاجئين. متزوج ولديه ابن واحد؛ محمد. وهذه هي روايته الأولى.

Tele: @Borsippa_Library

المصري للنشر والتوزيع

تصميم الغلاف:
عبد الرحمن الصواف